عبير ضاهر

مذكرات زوجة أبي

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأيّ شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

❖ الكتاب: مذكرات زوجة أبي
❖ المؤلف: عبير ضاهر
❖ نوع العمل: رواية
❖ الطبعة الأولى 1441 هـ - 2020 م - القاهرة
❖ الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر
بوك بوتيك للنشر والتوزيع - مصر

❖ رقم الإيداع: 11047 / 2020
❖ الترقيم الدولي ISBN 9779786808379
❖ الغلاف: فريق تصميم بوك بوتيك
❖ تنسيق وإخراج: فريق إعداد بوك بوتيك
❖ المدير العام: جمال سليمان - ديانا حمزة
❖ العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
❖ تليفاكس: 0020226061014
❖ محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201001201153
❖ صفحة الدار على موقع فيسبوك: fb.com/bookboutique.eg/ & fb.com/bibliomania.eg/
❖ الموقع الإلكتروني: www.bookboutique.net www.bbibliomania.com &

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزي

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

مذكرات زوجة أبي

رواية

عبير ضاهر

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

www.bbibliomania.com

www.bookboutique.net

2020

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

بعد قليل سيعود أبي وفي هذه المرة لن يدخل ومعه وجبة عشاءً ساخنة أو حَلْوَى لذيذة، ولا هدايا أو ملابس جديدة لطالما أحضرها لنا للآن ومنذ كنا صغار، ولا أيضا بتورتة وشموع لنحتفل بعيد ميلادي أو أيا من إخوتي فالأمر اليوم مختلف!

أبي قادم ومعه زوجته فاليوم هو؟ ماذا يسمّونه هذا؟ شاهدت في عدد من الأفلام والمسلسلات -كما وليغيب عن مخيلتي أيضا ما أعرف- من ما يجري من حولنا في الظروف المشابهة أن الأبناء يعلمون بزواج الأب أثناء أو عقب شجار وقع بينهما والذي غالبا ما يكون مباغت ومفاجئ كانفجار قنبلة ووقوع زلزال يهز أرجاء البيت ليكتشف الأبناء أن الأب قد فعلها وتزوج على الأم والتي بدورها تنهار وتعلنها إحدى علامات قيام الساعة في هذا المكان بعينه وتشتعل النار ويتناثر الشرار وتنفجر صارخة باكية أو تسقط صريعة المرض تنتحب وتئن وتبكي بلا توقف وهي تتألم وتقول صراحة علانية أو في نفسها تبا لهم اللعنة عليهم وما يلحقونه بالنساء ثم تبا لنا ولكل الأبناء! أتذكر الآن ما رأيت وسأظل أرى أيضا في الأفلام حالة الضياع ونوبات الأسى والأنين التي تحاصر البطلة فور علمها أن زوجها فعلها! وقد تكتشف بحاستها السادسة الأمر، أو تتأكد بمحض الصدفة أن صديقتها هي من قامت بخطف زوجها، أو أن تكون الزميلة في العمل وهل الجارة أم إحدى القريبات! وقد تكون هي السكرتيرة من فعلها مُجدّدًا! تُرىَ من قامت بها هذه المرّة؟ فهو دائمًا بأيِّة ظروف معرض للاختطاف من إحداهن! إن نية الاستيلاء عليه متوفرة باستمرار.. ويعقب هذا تبرير من الرجل وتملص من أي غرض أو رغبة لِمَ وقع على الجانب الآخر نوبة من البكاء يتخللها اللوم والاستنكار مع عيون منتفخة ينساب منها الدمع ممتزجا بالكحل

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فيجري في خطوط طولية متعرجة على الخدين وخصلة شعر تهوي على جانب من الوجه ترفعها ومن ثمة تهوي من جديد في حركة تلازم البطلة وهي تسرد وتسترجع أعقد فصول معاناتها التي تعرضت فيها للغدر والطعن في مشاعرها، وهي تنظر لنا في الكاميرا مباشرة أو وهي تحكي للصديقة النادرة والوحيدة المقربة إليها والتي تنصحها عادة بأن يخرجا معا للتسوق! مذهل هذا حقا فأنا أحب مشاهدة الأفلام والمسلسلات وأيضا قراءة الروايات التي هي بإيجاز تعني أن أعيش وأرى وأسمع دونما أن أقوم من مكاني أو أخضع لأيّ تجربة وإن لزم الأمر وألحت الحاجة فأضاهى وأقيس ما يجري من حولي كما الآن وقياسه على ما شاهدت وقرأت مع سابق العلم لدي أن كُلّ هذا لم يحدث فأبي لم يتعرض للاختطاف من أحدهن، بكل بساطة أمي هي من تركته في هدوء وذهبت، لم أفلت من الشعور بالمرارة تجاهها وإلقاء اللوم عليها فأحيانا أراها مخطئة بل إنني أراها دائمًا مخطئة، فالأول كيف تتركنا وتذهب وفي الثاني أتعجب لأمرها كيف استمرت معه طيلة كُلّ هذه السنوات؟ ولا ينقص هذا من محبتي واحترامي لأبي في شيء ولكنّي أصل إلى حد الاختناق من فرط الرفض والضيق فيما يتعلق بأسلوب وطريقة معاملته لها ولا أكاد أتصور أن يحدث معي مثل ما كان يحدث معها ولا أن ألقى مثل هذه المعاملة، وقد حيرني حالته بعد أن غادرت بيتنا كانت عينه مليئة بالشيء الثقيل الذي أعرفه جيدا فقد رأيته في عيون أبطال الأفلام الرومانسية حزنه الكبير عندما تهجره الحبيبة لفترة أو أن يقع بينهما القطيعة والفراق!

ولكن متى كان أبي يحب أمي لأرى من حين لآخر الدموع تترقرق في عينه لا أتصوره كان يحبها ولا لمَ قسى عليها بتلك الصورة التي

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

لطالما أفزعتنا ومن كثرة تكرارها اعتدناها منه في معاملته معها كما وأنه قد اتخذ قرار الزواج على أي حال بعد الطلاق! ولمَ سعتّ هي للطلاق من الأساس؟ لا أدري، حولنا الكثير من الرجال يسيئون معاملة زوجاتهم ولا واحدة منهن أقدمت على الطلاق مثلما فعلت أمي وإن كنت هنا لا أجاملها فأنا حقيقة في أحيان كثيرة ألومها ولا تعجبني أسلوب وطريقة تفكيرها ولن أكون مثلها مع من سأتزوج فيما بعد، ولكنها إنسانة طيبة وراقية، حساسة ومتسامحة وإن كان ثلثا أي بني آدم ماء فهي الثلثين فيها مشاعر، هي كالنهر يروي كُلّ ما يصادفه في طريقه صافية ونقية كالماء العذب تمتلك قدرا من كُلّ شيء جميل في طباعها وشخصها ومظهرها ولكن على نحو مفرط ومبالغ فيه في اهتمامها بنا وبكل ما يحيط بها! ومشاعرها نحونا ونحو غيرنا ورقتها ولطفها مع الجميع كانت تدهشني بكل إنسانيتنا وتثير غضبي بالحلم الزائد عن الحد والاحتمال الغير عادي مع أبي!

كانت صبورة عليه بدرجة لا تحتمل ولا أصدقها بأنه كان من أجلنا، هي كانت تحبه وهو كان يحبها إذن لمَ افترقا؟ لا أريد أن أدينها ليس هذا وقته! تتلفت مريم على صوت طرقة على الباب وتظهر ريم وهي تضحك وهي تتأملها ساخرة:

- ريم: ما بك؟ مر أكثر من ساعة وأنت تجلسين في كوكب آخر بمفردك! شاردة! إن نظرك يكاد يثقب الحائط!

وتضحك بشدة ويهتز كتفيها بينما مريم تتأملها بلوم، فتتراجع ريم وتلقي بجسدها بجوار أختها وتحتضنها وتربت على كتفها وباليد الأخرى تمسك يدها كأنها ستحكي لها ثمة ما يروق لها، ولعلم مريم بما تقصد تلتفت الجهة الأخرى ولا ترد عليها، هنا تستشعر ريم أن

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

مريم ثائرة المشاعر ومضطرة العواطف فتتحلى بشيء من الرزانة وتقول بنبرة جادة ممزوجة بالود والشفقة على النفس؛

ريم: أعرف فيما تفكرين به، ما تراجعينه بينك وبين نفسك (وهي تشير إلى الغرفة المقابلة للصالة) - سبقتك هناك وكنت ممددة على سريري يأكلني الغيظ والضيق غارقة في الحيرة والملل والضجر

فخرجت لأجدك أنت الأخرى هكذا!

أعرف أن الظرف شديد السخافة وأن امرأة أخرى ستدخل في يده بعد قليل! ولكن ماذا سنفعل؟ ليس بأيدينا أي شيء، حظنا! فماذا سنفعل هذا قدرنا...

مريم تنصت لِمَ تقول ريم بدون أن تلتفت ناحيتها فتجلس ريم في هدوء، وكلٌ منهما تتجنب النظر ناحية الأخرى وبعد لحظات من الصمت فتزفر ريم بغيظ ونفاد صبر وتقول بنبرة حادة متهكمة وهي ترفع حاجبيها بغضب:

- أمك المبجلة، الأم نموذج الأم الحنون تركت أولادها الثلاثة وفضلت العودة لبيت أهلها! تركتنا هنا نمر من وقت لثانٍ بموقف أسخف من سابقه إلى أن وصلنا لانتظار... وتتراجع في استياء وحنق، إلى أن وصلنا لِمَ نحن فيه الآن كُلّ هذا بسببها!

وتلتفت ناحية أختها في محاولة منها لمصادرة أيّة بادرة للدفاع أو رفض منها لِمَ تقول، وبالفعل لم ترد مريم وظلت تتفحص وجه ريم بعين لائمة في استنكار.

لمحت ريم كُلّ هذا فاقتربت وجلست على أول طرف الكنبة التي تجلس عليها مريم وقالت في جدة وهي تمد رأسها باتجاه مريم:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- لن أسمح لك أن تدافعي عنها -وتحشرج صوتها بداخل فمها وتطلق زفرة غاضبة صارخة- كُلّ صديقاتي، كلهن يحكين لي على كم مشاكل بتفاصيلها تحدث في بيوتهم بين آبائهم وأمهاتهم، وما من واحدة منهن قررت أن تترك أولادها إلا أمك!

وفي استخفاف ممزوج بالمرارة

فشعورها شفاف كالزجاج وإحساسها رقيق ومرهف لا تحتمل الخدش! وقلبها آخر رقة فاض عن آخره ولم تعد تحتمل! هربت وتركتنا كما ترين!

- هي أنانية وكذابة، تعرفي؟ إنها كما قالت جدتي ووصفتها - *(وتتبدل نبرة صوت ريم كأنها تتقمص شخصية صاحبة الرأي قائلة)* - قلبها من حديد، لو كانت قطة لكانت عدت السبع بحور بعيالها. الأم ترمي نفسها في النار لتنقذ أولادها. قلبها حجر وكل ما قالته عنها جدتي صحيح، أمك كانت تريد أن تستعبده وترضخه وتحركه كاللعبة بيدها وكل هذا لأنه يحبها! -وصارخة - لا أريد أن أراها مرة أخرى.

تعرفين أفضل أنها مشت من هنا ما عدت أطيق رؤيتها ولا سماع أكاذيبها وحتى صمتها الكاذب كُلّ حاجة فيها مزيفة. إنها كاذبة، كاذبة، هي أنانية وكذابة -تلمع الدموع في عين مريم تظل تنصت بلا تعقيب أو إضافة في أسى وحيرة متزايدة تملأ بها عينيها- ولن أذهب ثانية لأزورها. تتهرب من مسؤوليتنا تريد أن تبقى مع أمّها هناك! - (وتشير بذراعها في عصبية وانفعال إلى جانب بعيد) - لم تفكر فينا. ولد وبنتين في مثل أعمارنا لم يرجعها كم حاجتنا إليها! -وكأنها أدركت شيئا فتتجاهله عن عمد،

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

تواصل ثورتها بنبرة رصينة في جزم وحزم - وإن أشعل فيها النار! كان عليها أن تحتمل وتبقى هنا معنا!

فترمقها مريم بنظرة عاتبة في ذهول مدركة نوعية تلك النبرة ولكن تعود ولكنها تظل على صمتها بينما ريم قد عادت تطغى على صوتها نفس نبرة الصوت الشبيهة بصوت الجدة محاولة نزع تصديق من مريم على ما تقول فيتراوح موقفها بين الالتماس والاتهام الصريح:

- إنها ليست أم، فالأم لا تبيع أولادها. هي اختارت راحتها على حساب راحتنا. هي اشترت راحتها وباعت أولادها...

تقوم مريم منسحبة من مكانها تجر قدميها وعينيها مثقلة بالأسى والحيرة والضيق معا، تزمّ شفتيها في فتور تتجه مباشرة إلى الداخل فتُفاجئ بوجود كريم الذي ينظر مباشرة لريم في غضب مكتوم وعينيه تفيض بالدموع يقف متسمرا في مكانه، فتتوتر وتلتفت بسرعة ناحية ريم ثم لوجه كريم وتحملق فيه بتوتر وتتلعثم قبل أن تتفوه بكلمة فتصمت فتنتبه ريم لهيئة مريم وهي مشدوهة مرتبكة فتلتفت بهدوء فتجد كريم فترتبك قليلا وتنظر أمامها ثانية متجاهلة هيئته الغاضبة ثابتة على موقفها وما قالت ويبدو بالفعل أنه قد سمعه. فتقترب مريم من كريم وهي تحاول أن تتحدث معه فيبادر وهو يشير في لوم على ريم وهو يقول:

كريم: سمعتي ما تقول عن ماما؟! لن أرد عليها

تتجاهله ريم تماما وهي تنظر جانبا باستخفاف ساخرة غير مبالية بتأثره ودموعه. مريم تربت على كتفه في ود محاولة تهدئته وتقول:

- ريم متأثرة ولا تقصد ما قالته..

فتهز ريم رأسها وتضع قدم فوق الأخرى قائلة:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- بل أقصد ما قلت...

فيقترب كريم من وجهها صارخا في وعيد:

- أنت حقيرة وقليلة التربية ومحتاجة تتربي من جديد...

وقبل أن يكمل كريم كلامه تستدير في سرعة وتهب واقفة وتقوم بصفعه على وجهه في غضب فتصرخ مريم بذهول مصعوقة وتقوم على الفور بدفع ريم بعيدًا وتحتضن كريم.

وريم ترمقه بغضب ساخرة:

- حقيرة؟ ومحتاجة أتربى من جديد! أنت يا ولد من سيعيد تربيتي؟

وتقرب نحوه بينما مريم تجذبه من ذراعه بعيدًا في حين تقترب ريم لترمقه باستخفاف تود أن تصفعه من جديد وهي تهز رأسها في تحدي؛ فيندفع باتجاهها محاولا التهجم عليها منكمشة في مكانها متظاهرة بلا مبالاة وتظل ثابتة في مكانها.

كريم: سأوقفك عند حدك إن تجاوزت حدودك يا ريم.

فتعمد إلى استفزازه بالقول وهي تضع يديها في جيب بنطالها وهي تهز رأسها وتتأمله ساخرة:

- مضطرة أعذرك لأن أمك لم تبقَ هنا كفاية لتربيك تركتك وذهبت. ولكن سأوصى زوجة أبيك بإحسان تربيتك.

يصفعها كريم على وجهها بشدة ويدفعها فتسقط أرضا فتصرخ بشدة، تمتم بالشتائم في غضب غير مصدقة لِمَ حدث بينما مريم تبكي بنحيب وهي تنظر إلى أختها وأخيها وهي تضع كفها على فمها في حين جسدها يهتز وهي تبكي ...

وبسخرية واستياء؛

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

كريم: من حسن الحظ أنها ليست هنا وإلا كانت ستعاقبني على أنّي قمت بضربك، ضرب أختي الكبرى! يا حقيرة! إياكِ أن تخطئي في حقها وستأتي لك زوجته بعد قليل سأربيها هي الأخرى أن تجرأت وأخطأت في حق أمي، ويندفع إلى الداخل وهو يتمتم بكلمات غاضبة.

ريم مازالت على الأرض مكانها ومريم مستندة للحائط غير مصدقة لِمَ حدث وهي تحاول فتح عينيها وتهز رأسها كأنها تراجع أفكارها تستعيد معاني إلى موضعها وينتقل بصرها إلى ريم وما حولها ومنظرها وهي ملقاة على الأرض فتنظر لها وكأنها تراجع كُلّ ما صدر منها كأنها تسمعه لأول مرة وهي تراجع ما قالته وسمعته من مريم فتتأمل هيئتها وهي على الارض بلوم ثم تلتفت بهدوء متجهة إلى الداخل تاركة ريم على وضعيتها تلك وريم تتلفت حولها غير مصدقة لِمَا جرى، وهي تشتعل غضبا وحيرة وتخبط وتغمض عينيها وتفتحها ولا تصدق.

مريم تدخل الغرفة ومباشرة تتجه إلى المرآة تتأمل وجهها فيها وتنظر مباشرة إلى عينيها تراجع كُلّ ما جرى، تتحرك شفتيها وهي تبتلع ريقها محاولةً استيعاب كُلّ ما وقع، وتلتفت فجأة جانبا إلى خلفها تستدرك ما فيه ريم الآن، ثم تلتفت بإصرار وتبتلع ريقها مُجدَّدًا وتنظر في عينيها وهي تسترجع كُلّ ما جرى وهي تستند بذراعيها الممدودين على طرفي التسريحة تميل برأسها للإمام قليلا تتنهد في تلك اللحظة تدخل ريم محدثة جلبة، تدفع الباب ثم تغلقه بعنف وتتجنب النظر لمريم وتلقي بجسدها على سريرها المقابل لسرير مريم وهي تزفر بضيق وصوت أنفاسها المتلاحقة مسموعة لمريم والتي تقوم برفع رأسها ودونما النظر لريم من خلال المرآة

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

تتعمد تتجاهلها، ويبدو أن ريم تتنظر أن تقوم مريم بتهدئتها ولم تتأكد أنها لن تفعل يخيب ظنها فتنفجر باكية وهي تنتحب ومن بين دموعها تقول:

ريم: سأخبر أبي سأقول له، بابا سيضربه لابد أن يبيت ليلته باكيًا، سأقول له أنه تجرأ عليّ وضربني، هذا الكلب ضربني، ضرب أخته الكبرى، ولد همجي قليل الأدب. بابا سيؤدبه.

فتلتفت مريم وتنظر لريم تنصت لِمَا تقول دون أن تؤيد ريم أو أن يظهر منها أي تعاطف معها وبهدوء تسير إلى سريرها وتجلس على طرفه قبالة ريم وهي تنظر في الساعة في يدها فترتبك ريم وتدرك أن مريم لا يهمها كُلّ ما قالت ولم تتأثر لِمَا جرى لها أو تلقى باللائمة على كريم وتتأمل مريم في صمتها بضيق محاولة أن تستنطقها ولكن مريم تظل صامتة تشبك أصابعها في بعضهم وهي تهز رأسها وتعاود النظر في ساعة يدها الفضية ولا تنظر لريم والتي لا تجد بدًا من أن تستنطقها فتقول لها ساخرة وقد ابتلعت دموعها على ما يبدو وتجاوزت من تلقاء نفسها كُلّ ما جرى لها وصفعها من كريم وتقول بنبرة ساخرة وفضول:

- كم الساعة إذن؟

فلا ترد مريم لعلمها ما تقصد ريم وتدندن في سرها مما يزيد من ضيق ريم وثورتها المكتومة. مريم وهي تنظر لها للمرة الأولى وتقول بهدوء:

- قومي اغسلي وجهك واستعدي للسهرة.

فترتبك ريم وتقول بصوت متهدج وهي مرتبكة: سهرة؟!

مريم: أليس هذا وصفك؟

ريم: يكفيني ما بي لا أحتمل منك أي استظراف.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

مريم: وهل قلت شيئًا خاطئ؟ فأنتِ من كنت في انتظار مجيء أبيك و... وعلى حد وصفك أيضا والعروس!

ريم: أرجوك يا مريم!

وتبكي.

فتقوم مريم من مكانها وتجلس بجوارها على سريرها وتلف ذراعيها مع بعضهما وتختار نبرة ودودة وعاتبة في نفس الوقت قائلة: لم يعجبني ما قُلتِه عن ماما.

ريم (وهي تبكي): بسببها نحن في هذا الوضع.

مريم: كانت تبكي مثلك كثيرا بسببه.

فتتذّكر ريم ما جرى لها فتبكي بحرقة وهي تقول:

ضربني كريم ضربني على وجهي وهددني وتبكي منتحبة

أول مرة أخي الأصغر يتجرأ عليّ، لقد تطاول عليّ نسى أنّي أخته الكبرى.

مريم: لقد كان حديثك عن ماما مستفز وفوجئت به واقفا ويبدو أنه قد سمع كُلّ ما قُلتِه..

ريم: وأنت سمعتني لِمَ لمْ تغضبي مثله؟

مريم: لا أعرف، ربما لأن بعض ما قُلتِه أسكتَ ثورة لا تهدأ بداخلي، الموقف أثار في خواطر متضاربة.

ريم: ما قلته هو الحقيقة.

مريم: أنت أكبرنا وتعلمي عنا بعض الأمور.

تبكي ريم وهي تكابر وتقول وهي تغالب دموعها:

- أعرف أنها كانت تعيسة معه وأنه كان يهينها متعمدا وكان يقسو عليها ويبالغ وإنه لا يطاق. كان حقيرًا.

مريم: حقيرًا!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ريم: بلى، كان حقيرًا، كُلّ من يضرب امرأة أو بنتا فهو حقير.

مريم تنفجر ضاحكة:

- أصبح كُلّ الرجال حقراء بنظرك لأن أخوك ضربك؟

ريم: بل لأنهم حقراء بالفعل. تعرفين، كان أبوك يفرح وينتشي كالمنتصر في معركة في كُلّ مرة يضربها فيها! فهو إذن حقير حقير.

مريم تضحك وهي تنصت لريم في جدية مبالغ فيها تتعمدها، فتنظر لها ريم زاجرة معاتبة قائلة: ما بك؟!

مريم: لا شيء! أنت غريبة اليوم يا ريم! أشعر وكأنّي أكتشف أختي بعد كُلّ هذه السنوات!

ساخرة وعاتبة وهي تتوقع ما ستقول، فتلتفت للجهة الأخرى لا تود أن تسمع.

مريم: حكمك على الأمور والأشياء يعتمد على ما يحدث معك على مواقفك الشخصية! ولا علاقة لها بالأشياء نفسها.

الكذب حرام لأنه أحدهم قد كذب عليك أنت!!

ريم تهز رأسها بنفاد صبر قائلة في رجاء:

- يكفيني ما بي لقد نَكَّدَ عليّ هذا الجرذ فرحة معايشة يومٍ هزلي كهذا، فتبتسم مريم محاولةً التخفيف عنها.

مريم: لا تغضبي منه، اعتبريه كبر وأنه صار شابا وسمع شتائم في أمه فثار وغضب!

تخفض ريم رأسها في حرج على استحياء قائلة بصوت متهدج

ريم: أنا غاضبة منها.

مريم: وليكن يا ريم لا يحق لك أن تتطاولي على مقام ماما مهما كانت الأسباب!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ريم وهي تفرد كفها في مواجهة فم مريم وتميل برأسها على كتفها وتغمض عينيها في التماسٍ منها لتغيير الموضوع وتجاوزه فتبتسم مريم وتجذب يدها وهي تقول:

ـ قومي وجهزي نفسك لبدء أول يوم غير عادي في حياتنا..

فتنهض ريم وهي تضحك وتجري قبالة المرآة وتنظر لوجهها وهي تميل مقتربة من المرآة تتحسس وتتفحص جانب وجهها الذي صفعها عليه كريم فلم تجد أثرًا عليه فتتجاهل ما جرى وهي تجز على أسنانها ومريم تنظر لها متفهمة ما جرى في شفقة تخفيها بتفهم وإيماءة مضافة لكل الحيرة التي استبدت بها طوال اليوم. ريم تخرج مسرعة من الغرفة وهي تقول

ـ سأغسل وجهي.

مريم تتلفت حولها في الغرفة وهي تتنهد في ترقب وتميل إلى الساعة مُجدَّدًا وهي تمسح بطرف إصبعها على شاشة الساعة ويبدو الوقت اقترب فتقول صارخة في تعجل:

ـ أووه، إنهم على وصول!!

فتهرول خارجة من الغرفة لتجد ريم قبالتها خارجة من الباب ووجهها يقطر ماءً وهي ممسكة بالمنشفة تجفف وجهها في حرص وخفة:

ريم: لا أطيق أن أرى وجهه.

وتلتفت لمريم مشددة على ما قالت وتضيف وهي مرتبكة في حرج:

هو أيضا لا يريد أن يراهم وخاصة أول مجيئه بها إلى البيت.

فتتأملها مريم بعتاب على خلفية ما جرى بينها وكريم وموقفها الآن فتلتفت ريم متجاهلة ما ترمي إليه نظرات أختها، فتقول مريم بصوت مرتفع قاصدةً كريم:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- تقول جهز نفسك، يجب أن يرانا في انتظارهم فور وصولهم حتى لا يقول إننا غاضبين من زواجه.

فتهم مريم بلومها فترمي ريم المنشفة على السرير بضيق وتشير على طول ذراعها المفرود باتجاه مريم قائلة:

ـ الرحمة لم أكفر بعد، الكل يريد رجمي اليوم!

فتضحك مريم من رد ريم على هذا النحو والصياغة تلك وتتراجع وتجلس على طرف السرير وهي تقول:

ـ هل هو سعيد الآن؟! وفرحان؟!

فترد ريم وهي تمشط شعرها وتلتفت وهي ممسكة بالمشط:

ـ الجرذ نسيَ أنّي كنت أحمله وظن نفسه كبر وصار كلبًا أقصد رجلا!!

مريم تكتم ضحكاتها وتفلت منها واحدة وسط استغراب ريم التي تراجع الكلام وتتوقع ما قصدته مريم بكلامها فتضرب الأرض بكعبها زاجرة وهي تقول:

ـ ظننتك تقصدين أخيك الأزعر.

مريم: بل قصدت أباكِ.

ريم نكاية فيها وهي تبتسم بمكر: العريس؟

فترمقها مريم بنظرة غاضبة عاتبة، فتضحك ريم مازحة:

ريم: ستعرفين بعد قليل من الآن.

مريم: هل تراهنيني؟

ريم: لا

وقبل أن تكمل جملتها تسمعا صوت من خارج الغرفة الباب يفتح. ريم وهي تشير لمريم بجدية:

- هششش، يبدو أنهم قد وصلوا!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وعلى الفور تكمل ريم هندامها في عجالة وهي تنظر لمريم بلوم بينما مريم ترتبك وتقوم بضبط شعرها بكفيها وتجذب بلوزتها لأسفَل، تمسح على صدرها وأكتافها وتسبقها أثناء ذلك ريم للخروج من الغرفة إلى الصالة فتنظر إليها مريم بلوم وضيق وتتبعها مسرعة. فؤاد يغلق الباب الداخلي للفيلا بإحكام ويلتفت متجها إلى الداخل وهو مبتهج، تلمع عيناه بالفرحة والرضا، يتنهد بارتياح وهو يربت على ظهر سحر ويتقدما إلى عمق الصالة بعدما قام بحمل حقيبة جلدية كبيرة الحجم عنها للمرة الثانية وعلى وجهيهما فرحة ظاهرة يبتسمان في ابتهاج فيميل فؤاد بنظره إلى سحر ويتأملها برغبة مغلفة بابتسامة ذات معنى؛ فترتبك سحر وتبتسم في خجل. فؤاد وسحر متقاربان في العمر لا يزيد عنها أكثر من خمس سنوات فهو في منتصف الأربعينات وهي بأولها، سحر ترتدي فستانًا لامعًا محتشمًا طويلًا، وتضع مسحةً لطيفةً وواضحةً من المساحيق على وجهها، أما فؤاد فهو يرتدي بدلة بنية كاملة بدون ربطة عنق مكتفيا بمنديل حريري مزركش يطل من الجيب العلوي للجاكيت وتضوي ساعة يده الذهبية، ويمد يده ويمسك يد سحر في لطف ورقة مبتسما ويسيرا للأمام خطوات، في نفس اللحظة يتم فتح الباب وهنا يظهر الذي يرحب بفؤاد وسحر في حرارة وود، كريم:

ـ بابا..

فؤاد: مساء الخير

كريم: أهلا يا بابا، أهلا بحضرتك، مساء النور.

مُرحبا بفؤاد وسحر، ينظر لهما في ود، لأبيه مبتسما بود، ولسحر بارتباك ويتقدم من تلقاء نفسه خطوات فيبتسم فؤاد له ممتنا ويلتفت لسحر قائلا:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ـ كريم ابني.

فيتقدم كريم ويصافحها بحرارة وود، بالغ مبتسما.

سحر: أهلا يا كريم.

كريم: أهلا بحضرتك.

سحر تبتسم مستبشرة من أسلوب الابن وتتنهد. وتظهر ريم ومريم فيلتفت فؤاد تجاههما، وعلى الفور تهرول ريم باتجاه أبيها وتقبله وتمد يدها وتصافح سحر وهي تهمهم بكلمات غير واضحة مبتسمة وهي تهتز في مكانها بدلال فتبتسم لها سحر وهي تومئ برأسها:

ـ أهلا حبيبتي.

فتبتسم ريم ابتسامة عريضة وهي تتأملها عن كثب بإعجاب وتفحص، وكريم يتجنب الالتفات ناحية أبيه وسحر بينما هو يلاحظ عن قصد كُلّ ما يبدر من ريم في الوقت الذي تعمد هي إلى تجاهله تماما وتنظر له بطرف عينيها بضيق مكتوم وتوعد. تتقدم ريم وينادي فؤاد: مريوم!

فتتقدم مريم والتي كانت تتأمل الجميع وكأنهم لوحة مرسومة تتحرك مكوناتها، تتأملهم برهبة ودهشة وحيرة معا تنتبه على نداء أبيها فتتقدم في رقة وتمد يدها مصافحة سحر:

ـ أهلا يا طنط.

فتبتسم سحر بود وهي تتنهد بارتياح وترمقهم جميعا مبتسمة فيجدها فؤاد بداية مبشرة أكثر مما توقع من أولاده فينظر لهم ممتنا وهو يمضي بعروسه إلى ردهة بمحاذاة الباب الرئيسي للمنزل إلى الشقة الكبيرة التي أعدها له ولزوجته الجديدة فينظر الأبناء نحوهما بترقب وهما يسيران بجوار بعضهما البعض، وبعد برهة يتفاجؤون بعودة سحر مسرعة بخطوات مهرولة في اتجاه مجدد وهي تنظر

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ناحيتهم مبتسمة وهم مترقبين مندهشين لعودتها ثانية دون أبيهم وينظر ثلاثتهم لها في انتظار ما ستقول ربما عادت لتعرفهم على نفسها أكثر! أو أنها تريد شيئا لا يعلمون عنه شيء بعد! فينظرون لها بترقب عيونهم تتركز عليها من كُلّ خطوة تتقدمها باتجاههم وهي عائدة في الممر المؤدي إلى الصالة ومن خلفها باب المنزل فتنحني في هدوء وترفع حقيبتها الجلدية الكبيرة وهي تنظر لهم مبتسمة ثم تلتفت وتمضي متوجهة إلى الردهة ثانيةً فينظرون لبعضهم البعض في ذهول وفضول.

ريم: حقيبة من الجلد؟!

مريم: وكبيرة إلى حد ما!

كريم: وعادت لتأخذها! كان أولى أن تتركها للغد فكانت ستجدها في مكانها كما وضعتها!!

مريم: أمس جلب بابا كُلّ ملابسها ومتعلقاتها ما تلك الحقيبة؟

ريم (ساخرة): ربما بها الميك أب الخاص بها.

كريم: اخفضي صوتك.

ريم: وهي تسترجع كُلّ ما حدث لا توجه لي كلاما. مفهوم؟

كريم: لا أريد أن أراكِ.

ويستدير باتجاه غرفته فتجذبه مريم من يده ليجلس وتجلس بجواره، فهي تجدها فرصة لاستعادة الصفاء فيما بينهم، وفي محاولة لإفراغ كُلّ ما في رؤوس إخوتها في جلستهم هذه، وفي هذا الوقت وهذا ما يدور بخاطر كريم فيجلس بلا مقاومة أو تردد ولا تطلب من ريم ولا تعرض الأمر فتجلس ريم من تلقاء نفسها، يجلس كريم بجوار مريم وقبالتهما ريم التي تتجنب النظر والالتفات

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ناحيتهم بينما مريم تبادر بالحديث وتوجه حديثها لكريم مباشرة قائلة بفضول:

ـ ما هذه الحقيبة؟

كريم: لا تشغلي بالك، بها أشيائها.

ريم: كنت أظنها أجمل من هذا، كما أنها ليست أنيقة.

كريم متهكما ويرد ولكنه ينظر لمريم: هذا كُلّ همك؟!

ريم تنظر له بضيق ولا ترد وهي تزفر ثم تنظر للجهة الأخرى

مريم وهي تتفق مع ريم في ملحوظتها:

ـ مظهرها هو أول ما يظهر لنا منها، وأراها ودودة بالفعل.

كريم: لا أتمنى غير هذا يا ريم، فهي في كُلّ الأحوال ستصبح جزءاً من حياتنا.

ريم: حياتنا؟!

فينظر كريم ومريم إلى ريم مباشرة في ترقب. فتقول وهي توجه حديثها لكريم مباشرة وبحنق ولوم ووعيد:

ـ أنت ستدفعها إلى ترك البيت في أسرع وقت.

مريم تضع كفها بجدية على يد كريم لتمنعه من الرد قائلة:

ـ ولمَ سيفعل كريم هذا أو أيٌّ منا؟!

ريم: أظنه قد قال هذا من منذ أقل من ساعة فقط.

كريم يتأملها بذهول ووعيد في محاولة لاستفزاه.

ريم: أليس هذا ما قلت أم أنك قد تراجعت؟! بابا لن يسمح لك وما حدث منك اليوم سأخبره به.

كريم: قومي أخبريه الآن. وأنا لن أتراجع عمّا قلته، إن هي أساءت لأمي وتحدثت عنها بقلة أدب سأعلمها الأدب هي الأخرى.

فتنظر له ريم بضيق.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

مريم: أرجوك يا كريم لا نريد أن نتشاجر مُجدَّدًا.

كريم: قولي لها يا مريم.

ريم: أنا أذكرك بما قلت.

كريم: وأنا قد أخبرتك فأنا لم أنسى ولن أنسى ما قُلت بل هو وعد بداخلي سأنفذه!

ويعيد على مسامعها بهدوء وبفواصل قائلا:

ـ لن أسمح لها أن تسيء إلى أمي، سأجعلها تندم إن تجرأت وبدر منها أي شيء. -وإمعانا منه في إغاظتها- ولا لأيّ أحد كان.

ريم في تحدي: حتى لبابا؟

فترمقها مريم بنظرة زاجرة، تتأملها في دهشة وذهول، فيضع كريم يده هذه المرة على يد مريم متحليا بالهدوء قائلا:

ـ إلا بابا طبعا. -فتهز ريم رأسها ضاحكة بانتشاء كالمنتصر، فيضيف في هدوء- لأنه أبي ولأنها تركته. فلو كان باستطاعتي أن أقنعه بالتوقف عن الإساءة إليها وأن يحسّن من معاملته لها ويكتفي بما تسبب لها من حالة التعاسة والحزن باستمرار أو أن أسأله لمَ يحاول عن عمد وباستمرار قهرها وتحطيمها، ولو كان يسمح لي بالحديث معه لأخبرته عن اقترابها من السقوط في المرض وأن صبرها قد نفد، لو كنت أقدر ولو كان يسمح لي لِمَ كان هو بالحال الذي مر به بعدها! هو أكثر من اكتوى بمعاملته لها، هو من تسبب في كُلّ ما حدث ومازال يحدث، لو يسمح لي ولو أقدر على شيء لم يكن ليحدث ويجري ما كان، ولكنه أبي وزوجها، وهي فعلتها وقررت أن تفلت منه واختارت واتخذت الإجراء الأنسب لها، تركته وذهبت.

تنزل كلماته على مسامع أختيه كالسهام في كبد الحقيقة، ريم تقف الدموع في عينيها المفتوحة بانتباه ويقظة وفاهها مطبق وجبهتها

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

منبسطة في حين ريم تنظر في اتجاه واحد بعين نصف مفتوحة وجفناها لا يكادان يتحركان ويترسم على ملامح وجهها علامات الأسى والشفقة والتأثر، ثابتة في جلستها التي تنحني فيها قليلا للأمام برأسها..

وكأنهم لأول مرة يسترجعون عن كثب كُلّ ما جرى بين أبيهم وأمهم وتقشعر ريم وتلتفت جانبا في وجوم ومريم ترتد في جلستها للخلف وهي تزفر بضيق، تدير وجهها إلى جانب في الغرفة بأسى كأنهم يهربون من عيون بعضهم البعض وكريم يشبك كفيه ببعضهما وهو ينظر في الفراغ لأسفَل ثم يرفع رأسه ناظرا أمامه في الفراغ كُلّ واحد منهم يتهرب ببصره من أن تلتقي بعين أيٍّ من أخوته، وتمر لحظات صمت ثقيلة وقد خلا المكان من أي صوت، تستفيق ريم من شرودها ولحظة محاسبتها لنفسها ومن نوبة خجل وارتباك وتحامل على أمّها وأخوها وتلتفت إلى إخوتها في ود وتأثر ممزوج بالضيق والشفقة، وهي تقف في هدوء بحيث تصبح واقفة في المنتصف مقتربة من كريم ومريم الجالسين بجوار بعضهما على الكنبة، وتقول بصوت متهدج وهي تنتزع ابتسامة من الداخل وترسمها على شفتيها:

ـ أنا جعت اعملكم ساندويتشات معايا؟!

مريم: أنا اتعشيت كويس. مش جعانة خالص.

كريم وهو يتجنب النظر إليها: اعملي لي نسكافيه معاكي.

فتؤمئ برأسها موافقة وتنتقل لمريم وتشير بكفها متسائلة: وأنت؟

مريم: نسكافيه.

فيلتفت كريم إلى مريم ثم ينظرا إلى ريم ويقفا بحيث يصبح الثلاثة واقفين يتبادلون النظرات وتقف دمعه في عيني ريم فيحتضنها

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

كريم ويقبل كتفها معتذرا فتمسح على شعره فيجذب كفها ويقبل باطنه وهو يقول بصوت خفيض:

ـ حقك عليا أنا آسف.

فتنبته مريم لِمَا فعله كريم وتسرح بعيدا، يبدو تذكرا شيئا فتهز رأسها وتتأمل ريم وكريم وهما يتبادلان القبلات والاعتذار ويمضيا إلى ناحية المطبخ وهما يتعاتبان وكريم مطأطئ رأسه مواصلا التماس العذر من ريم وهي تحتد عليه مازحة تسبقه بخطوات باتجاه المطبخ بينما بقيت أنا مكاني تقاذفني الخواطر وتساءلت هل يتأثر الأبن بطباع أبيه ويقوم بتقليده؟ فلقد صفعها كريم صفعة قوية لمّا ثارت واحتدت عليه وتطاولت وأساءت لأمي، والآن يقبل باطن كفها كما كان يفعل أبي مع أمي!

فتبتسم مريم ضاحكة في سرها مستنكرة وهي تقول:

- ولكن أمي لم تكن تثور عليه أو تحتد! هو الذي يثور ويفور ثم يعتذر من تلقاء نفسه! لا أدري هل سيكون كريم مثل أبي عندما يكبر، يضرب عندما يغضب، ويقبل وقتما يريد أن يعتذر، يقطع حديثها الداخلي في غمرة شرودها صوت نداء ريم عليها من الداخل:

- مريم؟!

مريم وهي تهرول باتجاه المطبخ: نعم!

الصباح يستعيد الفتنة والحضور مع كُلّ شروق للشمس من جديد، يحمل الهواء نسيم رائق يلف أرجاء حديقة البيت التي تضيئ واجهتها الرخامية من وهج الضياء كما ويظهر الأفق الرحب صاف بلا نهاية من بين فروع النخلات المحاذية لسور الحديقة من جانب منها تتدرج الأشجار بها الأطول إلى السور ثم المتوسطة فالشجيرات الصغيرة

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ومن حولها مجموعة من الزهور المتنوعة بأحجامها وألوانها في حين يأخذ الممشى بها شكل الحرف الأخير من الإنجليزية وينتهي عند كُلّ قاعدة منه باستراحة من الرخام على جانبيها شجيرة صغيرة ومن حولها أصاصين الزهور، تتسلل أشعة الشمس بأضوائها من خلف الستائر الرقيقة على نافذة الغرفة فتتقلب مريم في سريرها من بعد نوم عميق تسحب أنفاسها مع أول انتباهة مع أول لحظة باليقظة فتتنهد وهي تتنفس وتفتح عينيها ببطء ترخى ركبتها وتميل على جانبها وهي تزيح الغطاء ببطء وعلى الجهة المقابلة "ريم" مستغرقة في النوم .

"مريم" تغادر سريرها وهي تدفع الغطاء فوقه من خلفها وتمشي متجهة مباشرة خارج الغرفة تفتح الباب بهدوء ثم تغلقه خلفها تسير بضع خطوات في الصالة وهي تتلفت حولها، المكان غارقا في الصمت، وإضاءة المكان خافتة أقرب لوقت الغروب منه للشروق وتتلفت كأنها تلتمس وجود أحد فلا تجد سوى فوضى سهرة ليلة أمس كاسات العصير وزجاجة مياه كبيرة وأطباق التسالي المليئة بالقشر وبقايا أغلفة الشكولاتة! ترمق المنظر بنظرة من عدم اهتمام في اعتيادية ، فتمْضِي في الجوار إلى ردهة صغيرة مؤدية إلى الحمام، وتمشي باتجاهه في خطى ثابتة وهي تتململ متكاسلة، والمكان على اتساعه يخلو من أيّ حركة، غارق في سكون تام، وتظهر "مريم" من جديد وقد عادت مسرعة من وجهتها، فتلتفت يمينا ويسارا مرة واحدة، وتتجنب الالتفات والتلفت ثانية وتعود إلى غرفة نومهم وتغلق الباب خلفها وهي تنظر على "ريم" المستغرقة في نومها وتتجه إلى سريرها مباشرة وتتمدد عليه وتجذب غطائها عليه وتحاول النوم، ولكنها تظل مفتوحة العينين ويغلبها النوم،

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وتنام من جديد، بَعدَ لحظات يتناهى إلى سمع "مريم" صوت أبيها فتفتح عينيها وهي تحاول التأكد من النداء، فيعاود صوت "فؤاد" نداءه: "ريم"؟ "ريم"؟

"مريم" تهبُّ في مكانها تغالب نومها وتنادي على "ريم" التي تتقلب في مكانها ولم تنتبه بعد.

طرقات على باب غرفتهم، فتقفز "مريم" من على سريرها باتجاه الباب وهي تنادي على "ريم" التي تنتبه أخيرًا وتتقلب في مكانها.

"مريم": بابا، بابا ينادي عليك

"ريم" تنهض وترفع جذعها وهي تحاول الاستفاقة.

"مريم" تخرج من الغرفة إلى الخارج الغرفة:

صباح الخير يا بابا.

"فؤاد": صباح النور، أختك مازالت نائمة؟

"مريم": أيقظتها.

"فؤاد": بسرعة، تعالوا نتناول الإفطار معًا في الشقة الكبيرة.

"مريم" وقد استغربت لبرهة وانتبهت قائلة:

- حاضر يا بابا.

"فؤاد" وهو يستدير باتجاه غرفة "كريم" قائلا:

- وأنا سأوقظ "كريم" هو الآخر!

فنظرت عليه "مريم" مترقب ثمة تغيرات في البيت لِمَ يتناولان إفطارهم في الشقة الكبرى؟ لِمَ ليس هنا؟!

وهي تهُزّ رأسها وتتحاشى الرد وتكرر تساؤلها الذي تهرب من إجابته إلى التمعت في ذهنها على الفور، فتقول مُجدَّدًا لِمَ ليس هنا؟ وتنادي على "ريم" وهي تسير باتجاه الغرفة مُجدَّدًا:

-"ريم"؟ ريم...

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وما إن تدخل حتى تجد "ريم" جالسة على سريرها وعينيها التي تكاد تفتحهما بالكاد يفيضان بالأسئلة: ماذا جرى؟!

-"مريم": هيا قومي، سنتناول الإفطار في الشقة الأخرى؟!

-"ريم" وهي تدفع الغطاء عنها: الأخرى؟! وهذه ما حل بها؟!

-"مريم": لعلها صارت قديمة؟!

فتنظر لها "ريم" وتتفهم أنها هي الأخرى لا يرضيها هذا فتنهض وهي متململة متسائلة: بابا من أخبرك؟

-"مريم" وهي تبدل ملابسها: نعم.

وتخرج مسرعة وهي تلملم شعرها فتنظر لها "ريم" بجدية وتقول لا تتأخري بالداخل.

فتومئ "مريم" برأسها موافقة وتخرج مسرعة إلى خارج الغرفة.

"ريم": وماذا أيْضًا يا أبي؟ وتزفر بضيق وتململ وتقف أمَام سريرها وتتمطع وهي تقول بِنَبْرةٍ ساخرة: سنفطر في الشقة الكبيرة؟!

-"أووووو ماي جاد!" تشد "سحر" حزام فستانها بإحكام وهي تطبق ياقتيّ الفستان على بعضهما بعناية وتتناول قلم الروج وتضع قليلا منه على شفتيها وتتأكد من الكحل في عينيها وتبتعد عن المرآة لخطوات وتلتفت وتنظر على قوامها في المرآة وهي تعيد الإتمام على هندامها وتلمح مقبض الباب يتحرك فتعتدل في وقفتها وتبتسم بترقب وتستدير للمرآة مبتعدة عنها باتجاه السرير وهي تحاول ضبطه ولكنه "فؤاد" يقترب منها قائلا في نهي:

ـ ليس وقته الآن فلنفطر أولًا.

فتومئ برأسها قائلة مبتسمة في ود: عندك حق، نتناول الإفطار أولا، ويخرجا من الغرفة وهو يضع يده في يدها وتتلامس أكتافهما

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فيلتفتا لبعضهما البعض ويبتسما ويتأملها "فؤاد" بنشوة مبتسما وهي تراقب ابتسامته ونظرته وتتنهد في ارتياح مشوب القلق الخفيف وتنظر له وهو يمضي من الباب قبلها بخطوة فتتبعه.

تتجنب "سحر" النظر في وجوه أبناء زوجها وهي تتناول الإفطار كما يتجنب الجميع وسط رغبة ملحة أن ينظروا لبعضهم البعض، ولكن كلٌ ينظر في طبقه، ويتناولون الطعام في هدوء وجو مشبع بالهدوء والود، والوحيد الّذي أتيح له تفحص الوجوه جميعها هو "فؤاد"، ينظر لـ"كريم" الّذي يأكل في هدوء وأيْضًا "مريم" التي تأكل بشهية وفي تحفظ بينما "ريم" تختلس النظرات لإخوتها تود أن تعرف أين ينظران، فلم توقن بأنّهم لا ينظرون قُبَالَةَ وجهة "سحر"، فتمعن في النظر في طبقها وتتناول إفطارها بشهية متوازنة، بينما "سحر" تلتفت إلى ناحية "فؤاد"، تجده ينظر إلى أبنائه واحدا تلو الآخَر بترقب وفضول، فتبتسم قليلا بارتباك خفيف وتبتلع طعامها في أريحية وترمقهم بنظرة شاملة وتعاود النظر في طبقها، ينقضي وقت الإفطار طويلا على الجميع، كأنه كان بروفة لاختبار تقبل وجود شخص جديد فيما بينهما، وحيث أنه مَرَّ في هدوء فقد اطمأن "فؤاد" لِمَا كان قلقا بشأنه فيبتسم في ارتياح ويهب واقِفًا مبتعدا عن السفرة ويشعل سيجارة ويلتقط ولاعته ويشعل السيجارة وهو يقف بجوار النافذة المفتوحة على الحديقة مباشرة ليمتد نورها إلى آخر الريسبشن المنقسم إلى أنتريه في آخره، وفي أوله على جانب منه السفرة وكرسيين بجوار النافذة مباشرة وطرابيزة كبيرة عليها شاشة التليفزيون، يطرد دخان سيجارته بهدوء وهو يزفر كمية كبيرة من الهواء في هدوء وتعلو قسماته الرضا والترقب معا، ويلتفت بجانب عينه ليرمق الجميع في وضعهم بنظرة شاملة

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

بانورامية كأنه يستعيد تخيل اللحظة واستيعابها بعمق وبجلاء ويعاود الالتفات ثانية وينظر إلى خارج النافذة تلتفت "ريم" نحوه ثم تقع عينيها في عيني "سحر" التي تجدها تنظر إلى كُلّ واحدٍ منهم على حدة كمن يكون انطباع ويرسم صورة له في مخيلته، وحينما جاء دور "ريم" تجد "سحر" أنها تنظر هي الأخرى لها فتبتسم "سحر" وقد ارتبكت بينما "ريم" تتأملها مطولا، ثم تبتسم بتهذيب في لَحظةٍ تدرك "ريم" فيها واقع اللحظة، وتعاود للتأكد النظر إلى أبيها الواقف بجوار النافذة وجانِبًا إلى أختها وأخيها والطعام والوقت و"سحر" كأنها تتحقق مما تراه ما يجري بتلك اللحظة، فتتنهد وتنظر في طبقها وتواصل تناول إفطارها ببطء أكثَر من الأول، بينما "كريم" يحاول أن ينهي اللحظة ويقوم، و"مريم" ترفع نظرها وتنظر مباشرة إلى "كريم"، فتتلاقى أعينهم وكأن كلا منهم يود أن يفلت من الموقف ولا يدري كيف، فيرفع "كريم" حاجبه في تساؤل، بينما "مريم" تتجنب الالتفات وينتبها على صوت "سحر" قائلة:

أكملوا إفطاركم، سأعد الشاي، هل أعدُّ لكم؟ أم تريدون مشروبًا آخر؟

وتنظر لهم هم الثلاثة كُلّ على حده، فينظرون إليها مشدوهين، بينما يلتفت "فؤاد" لهم باستدراك من شروده ويتأملهم جميعًا فيرد الجميع في صوت واحد: نسكافيه!

وهي تفتح التليفزيون وتغلقه بنفاد صبر، ويلتفت صارخًا في أختيه:

ـ لمَ طلبنا نسكافيه؟ "ريم":

ـ اسأل نفسك؟!

فينظر إلى "مريم" التي تنظر لـ "ريم" باستنكار من ردها وتتأملها بخيبة أمل، على ما يبدو من ظن ما عقدته وتستند للخلف وتستريح في جلستها، ويجلس "كريم" متململا وينظر للجهة الأخرى، فتقوم

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

تترَدد "ريم" بين الجلوس وإعادة تشغيل التليفزيون، ثم تتراجع وتجلس وهي تستشعر انتظارهم ردًا منها على وجه الخصوص فتقول بلا مبالاة:

لِمَ لمْ تطلبا شايا بحليب؟! وتنظر لـ "كريم" متسائلة، ثم لـ "مريم" وهي تهُزّ رأسها مكررة السؤال فلا تجد ردا، فتزفر بضيق وتقولُ بتفهم وجدية وكأنها تنوب عنهم في تحليل وتفسير طلبهم هذا ومن ثمة تساؤل "كريم": لِمَ لمْ تطلب هي مشروبها المفضل بخلافهما على الأقل وقد طلبا مشروبا آخر؟

"ريم": بداخل كُلّ منا رغبة في تركه يعيش حياته لو طلبنا ما كانت تعده ماما كان سيتضايق ويظن أنّنا نتفق على زوجته ونلزمها بما كانت تقوم به ماما ويقاطعها "كريم":

من مشروب؟! "مريم": وهي تنظر لـ "ريم" بإكبار:

المشروب كان البداية هو اختصر كُلّ شيء فتنظر "ريم" لـ "كريم" والّذي بدا متفهما لتفسير ما قاموا به جميعهم دونما اتفاق:

هل سنذهب لماما هذا الأُسبوع؟

"ريم": لن أذهب هذا الأُسبوع، لديّ دورس واختبارات آخر الشهر ولا أوَدُّ التغيب عن أيّ منها سأذهب في وقت آخر.

"مريم": سنذهب معًا يا "كريم"

"ريم" تنظر لهم باستنكار وأنا إذن من لا تريد الذهاب، أنا التي لا تريد.

"كريم": أنت من قُلتِ إنك مشغولة بدروسك واختباراتك!

"ريم": وأنت لا دروس ولا مذاكرة خلفك؟!

"مريم": "ريم"!

لك أسبَابك ولا داعي للشجار من وقت للثاني.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"ريم": أنا لا أتشاجر، أنت وهو من تريدان أن تظهراني أمَام ماما بالمقصرة والمنشغلة عنها.

"كريم": المنشغلة عنها؛ ثاني مرة تقولي شيئًا صحيحًا في صلبه.

"ريم" تتجاهل ما قَال وتزيح شعرها للخلف متظاهرة باللامبالاة بينما "مريم" تبتسم وتميل عليه متسائلة وما الأولى؟!

"كريم": موقف النسكافيه!

"كريم" و"ريم" يقهقها بينما "ريم" تزفر في ضيق ولا ثَرُد يقطع لحظتهم دخول "فؤاد" الّذي تسره رؤيتهم يضحكون وتظهر من خلفه "سحر" التي تحمل بين يديها ثمة علب تبدو عليها هدايا وتتقدم منهم مبتسمة، "فؤاد":

- طنط "سحر" جلبت لكُلّ واحدٍ منكم هدية.

التفتَ الثلاثةُ ناحية "سحر" مذهولين ويبتسمون على وجل وتردد تتقدم "سحر" مبتسمة وتقدم لـ "ريم" علبة بها بلوزة تتصاعد منها الألوان وعلى طرفها فتاة تتراقص على أنغام الموسيقى كبيرة الحجم ترتدي فُستانًا فضيًّا وقاعدة البلورة فضية كبيرة مزخرفة تتأمل "ريم" هديتها مشدوهة وتبتسم في امتنان.

"ريم" ذوق حضرتك جميل جدًا شكرا لك ولو أنه كان يتوجب عليّ أن أجهز هدية لأقدمها لك.

"سحر": لا فرق بيننا يا "ريم" أنت مثل ابنتي.

يراقب "فؤاد" حديثهم المتبادل وهو يبتسم برضى وامتنان لـ "سحر" وتتقدم من "كريم" وتقدم له هو الآخَر هدية عبارة عن تحفة لفارس يعتلي صهوة حصان مصنوعة من الفضة يسر "كريم" للهدية التي تعكس ذوق وفهم لطبيعة الأولاد وما يعجبهم فيبتسم لها في امتنان ويشكرها.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"كريم": شكرا لحضرتك ذوقك راقي ورائع.

تبتسم "مريم" فقد جاء دورها فرفعت "سحر" العلبة المتبقية بين يديها وأخرجت من كيس ملون شفاف فتاة تجلس على رف نهر وتشم زهرة ملونة وتصدر وتهتز كُلّما قربت الوردة منها وتحركت عيونها وهي تستنشق الوردة كأنها تنتشي من عطرها الذكي فتبتسم "مريم" وتقلب التحفة تتأملها معجبة ومشدوهة وتبتسم وهي تتأمل "سحر" مبتسمة قائلة لها: أحييك على ذوقك الجميل، إذن هل كانت حقيبتك الجلدية البنية تحتوي تحفا؟ هنا ارتبكت "سحر"، وتدخل "فؤاد" ضاحكا: إن "مريم" تحب المزاج يا "سحر".

فابتسمت "سحر" قائلة إنها ذكية عيونها تشع ذكاء وفضول.

وضحكوا جميعهم بينما "كريم" رد قائلا: في الحقيقة يا طنط "سحر"، إن من يحركها الفضول هي "ريم" وليست "مريم"!

فتنظر له "ريم" بضيق وغضب بينما "فؤاد" يضحك ويقهقه و"مريم" و"كريم" يضحكان و"سحر" تتجنب أن تنظر لـ"ريم" حتى لا تحرجها فتبتسم "ريم" لدفع الحرج عن نفسها.

"فؤاد" ينظر لـ"سحر" بامتنان وهو يقول: نورتي حياتنا يا "سحر" نورتي بيتك، ينتبه الأولاد إلى ما قال ولا يردون، وكلٌ يحمل هديته بين يديه فلا يملكون التوقف أمَام ما قال ولا الرد، كما أثقل الهدايا من ثقل العبارة على ما يبدو أو قيد الأولاد عن الرد فابتسمت "سحر" وهي تتأمل عينا زوجها بِودٍّ؛ فجذب يدها وتركا الأولاد للهدايا واتجها إلى الردهة و"مريم" تنظر إليهما بترقب بينما "كريم" ينظر للتحفة وهو شارد ويرفع نظره على الفور إلى حيث سار الأب، ولا يعقب وينظر نظرة متعمق رابطا ما قال والده قبل أن ينصرف وبيده زوجته. بينما "ريم" تبتسم وهي تتأمل هديتها بمكر وهي تهُزّ رأسها

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

يبدو أنها الوحيدة من توقن أن أبيها ألقى بجملته في الوقت المناسب من وجهة نظره فتحمل هديتها بين يديها وتجلس في مكانها وتغرق في تفكيرها وتعلو جبهتها نظرة غاضبة وتغرق في التفكير كأنها انفصلت عن محيطها وهي تنظر أمَامها والتحفة تدور في مكانها بين يديها وكُلّما توقفت أعادتْ "ريم" تشغليها لتدار من جديد مصدرةً صوتَ الموسيقى، بينما "كريم" حاملا هديته و"مريم" ينظران لأختهما بترقب وبعيونهما تساؤل أو أنهما ينتظران منها وضع عنوان للحظة وما حدث بشأن الهدايا ولكنها شاردة تنظر بجدية أمَامها.

خلعتْ "سحر" فُستانها وأبدلته ببيجامة حريرية وردية اللون وجمعت شعرها بإحكام وعقصته وفتحت درفة الدولاب وعلقت فستانها وأغلقت الدرفة بإحكام وفتحت الحقيبة الجلدية البنية وأخرجت منها محتوياتها في هدوء، وبنظام وضعت محتوياتها من برفانات على التسريحة وعدد من الكتب أخرجتهم ووضعتهم على رف في جانب من الغرفة وأخرجت ثلاث مفكرات ورقية مزخرفة الغلاف متدرجات في الأحجام وضعتهم في داخل الدولاب وأغلقته بإحكام وتولت إفراغ الحقيبة من محتوياتها وأغلقتها بإحكام وفي هدوء ووضعتها جانبا.

ويبدو أن فؤاد أنهى مكالمته ودخل من البلكون إلى الغرفة ولفت نظره ما ترتديه وطريقة جمعها لشعرها فتأملها في صمت ولم يبدِ أيّ ردة فعل، وجلس في جانب ولما رآها تنظر له ابتسم ضاحكا وهو يتأملها بإعجابٍ فتركتْ ما تقوم به واتجهت ناحيته وجلست قبالته قائلة:

- أولادك ودودين ومريحين.

"فؤاد": لاحظتي ترحيبهم بك وارتياحهم لك؟

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"سحر" تومئ برأسها في ارتياح وتقولُ:

- لقد كنت قلقة أن يحمل لي أحدهم قلقًا أو موقفًا

"فؤاد" بذهول:

- لِمَ؟!

- لأني مكان أمهم هنا.

"فؤاد" يزفر بضيق ويتظاهر بالهدوء:

- أولادي لا يفكرون بتلك الطريقة فهم مطيعون ولا يفكرون إلا بما يتماشى مع ما أُريدُ. فتنظر له "سحر" مستغربة فيعيد كلامه بالتصحيح، يفكرون فيما يرضيني فقط، ثم أنا لن أسمح بأن يأخذ أيّ منهم موقفا لا يروق لي.

"سحر" تنظر له منصتة فيبتسم وهو يتأملها ويضيف:

- لا تقلقي حبيبتي.

فتبتسم "سحر" لقوله حبيبتي وترتمي في حضنه فيقبلها برغبة ويتحسس جسدها ويفك شعرها ويشمه ويقبلها في كُلّ وجهها ورقبتها ويهم بفتح أزرار البيجامة متسائلًا لمَ لبستيها يا "روز"؟ فتدفعه وتنظر له بغضب شديد:

- ماذا تقول؟!

"فؤاد" لم ينتبه لِمَا قال واستغرب لمَ دفعته وقد بدا الغضب عليها بهذا الشكل: ماذا هناك حبيبتي؟ تعالي يا "سحر".

فتظل تتأمله ولا تقترب وشعرها مفكوك أمَامه على أكتافها وأزرار بيجامتها مفتوحة فيهب واقِفًا ويحملها ويهجم عليها وينهال عليها بالقبلات ويحملها ويصعد بها للسرير!

خفضت "مريم" صوت الموسيقى بجوار "ريم" التي نامت وهي تذاكر فنبهتها "مريم" لتقوم الى سريرها فانتبهت "ريم" بالفعل لتجد

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

نفسها قد نامت وهي تذاكر فاستندت على كتف "مريم" إلى سريرها ووضعت نفسها في سريرها وقامت "مريم" بجذب الغطاء عليها وهي تمسح على شعرها بكفِّها في حنان وقبلتها فابتسمت "ريم" وهي مغمضةُ العينين وقالت:

- ناقص الحدوتة يا ماما! وحشتني!

فجذبت "مريم" الغطاء على كتفها بإحكام وهي تقول:

- تصبحي على خير. فردت وهي تتثاءب:

- وأنتِ من أهله.

أغلقت "مريم" إضاءة الغرفة وتمَدّدت هي الأخرى في سريرها وعينيها على النافذة التي يعكس ضوء القمر أنواره عليها من خلف الستائر في عتمة الغرفة وهي تسبح في خيالها تغمض عينيها وتفتحها بثقل وعينيها تلمع في ظلمة الغرفة تراقب الضوء من خلف الستائر والنوم يداعب جفونها وتثقل حركة عينيها لينتصر النوم وتلف الغرفة أجواء السكينة والهدوء.

ومرَّ أُسبوع على زواج أبي، وبعد تلميح فتصريح أخبرناه برغبتنا في التوجّه لزيارة ماما. أخبرتُه أنا؛ ف"ريم" تعللتْ بأنّها مشغولة وستذهب وقت آخر و"كريم" لم أطلب منه أن يخبر أبي، في البداية استغرب أبي وأنا أخبره بطلبي الذهاب مع إخوتي لرؤية أمي، تظاهر في البداية بأنّه لم يسمع ولكن عندما دخلت طنط "سحر" وكانت تحمل طبق من الحلويات الشهية بين يديها وقدمتها إليّ كانت رائحتها شهية وشكلها مغريا فرد أبي عليّ باقتضاب قائلا: يوم واحد فقط فأومأت برأسي ممتنة، وقدمت طنط "سحر" طبق الحلويات لي بإلحاح فتناولت قطعة ثم أخرى والتهمتها بشهية وقلت لها أنها طيبة الطعم بشدة فضحكت وقالت: "أنا من قمت بصنعها" فاندهشت أنا

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وتناولت قطعة جديدة وسط ابتسامة من أبي وألح في أن أجلس معهم فتأملتها بإعجابٍ لقد أعجبتني الحلويات لا أدري ما اسمها ولكنها قالت لي أنها صنف شامي وهي تحب الأصناف الشامية كما أن المكسرات في بيتنا أغرتها بعملها وستظل تصنعها فقد أكد لها أبي أنه يحب المكسرات ويجلب منها أنواع كثيرة كُلّ فترة والثانية وتضحك وهو يثني على براعتها ومهارتها في صنع الحلوى، وخرجت وتركتهما يضحكان وأخبرت "ريم" بأمر الحلوى وكم هي شهية ولذيذة ولكنها كانت منشغلة بتجهيز نفسها للقاء صديقتها التي ستأتي لقضاء اليوم عندنا كما تعودت فهي و"مي" أصدقاء من الصغر لم أشأ أن أطلب من "ندى" أن تأتي لبيتنا فهي ترفض وأنا لا أحب أن تأتي إلى بيتنا فريم آخر مرة جاءت فيها "ندى" عاملتها بأسلوب سخيف وتسببت في شجار بيني وبين "ندى" فلا أحب من وقتها أن يأتي أيٌّ من صديقاتي إلى بيتنا ولا أدري لمَ تقبل هي أن تفرض علينا أن نعامل أصدقائها بأسلوب لائق بينما هي تتفنن في هجر أصدقائنا لفكرة المجيء إلى بيتنا فـ"مي" عندما تأتي تقضي طوال اليوم عندنا وأظنها تود لو تقيم عندنا أسابيع وأشهر وتتصرف في المكان كأنه بيتها وهذا يغضب "كريم" بشدة، فهو يظل محبوسًا في غرفته حتى تنصرف، وقد أخبر "ريم" بهذا ولكنها كعادتها سخرتْ منه وقالت له: "أنت من تسجن نفسك في غرفتك، لا هي ولا صديقتها من يفعل ذلك، وعليه أن يحترم أصدقاءها ويعاملهم بلطف عندما يأتون إلى بيتنا".

"كريم" لا يسيئ معاملة أيّ منهم ولكنه يعترض على مجيئهم المتكرر والمتواصل وبقائهم لفترات طويلة والمكوث عندنا لوقت كبير مما يحِدُّ من حريته داخل بيتنا، ولكن لا جدوى من النقاش مع

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"ريم" فهي تفعل ما تشاء وتبرر الأمور كيفما ترى؛ فييأس "كريم" من جدوى أو فائدة النقاش فيسكت، أمّا أنا فأنتهزُ فرصة وجودهم في الجلوس في الحديقة وسماع الموسيقى فأقوم بترتيبها وأسقي الزرع بنفسي وأضع الطعام للقطط في الحديقة وأمكثُ طوال اليوم في الحديقة وأحتسي أيّ مشروب على أنغام الموسيقى في وقت الغروب حينها أترقب انصراف صديقات أختي ولكنهن لا يقررن ذلك قبل السابعة مساءاً! وغالبًا ما ينضم إليَّ "كريم" وندردش معًا حتى الضجر إلى أن يحين موعد انصراف صديقات "ريم" من عندنا، وغريب أمرها تبتهج لرؤيتنا في الحديقة وقد تركنا لها البيت هي وصديقاتها، وكأن البيت يخلو لمجيئهم ويصير مهيئًا لاستقبالهم، وتطلب من طنط "سحر" في إعداد الحلويات وتقديم الشاي لصديقاتها هذا بَعدَ الغداء أو حتى يجهز صحيح أن ما تقوم به طنط "سحر" هو تجهيز الطعام بيديها ولكن ترهقها "ريم" جدًا في أيام مجيئ صديقاتها فلا تكف عن الطلبات مشروبات وطعام، مرة مكثت إحدى صديقاتها إلى العشاء وقد نفد طعام الغداء فقامت طنط "سحر" بإعداد العشاء حينها ثار أبي لأنه وجدها في المطبخ تعد الطعام لوقت متأخر ولكننا صرنا نرى طنط "سحر" تقف في المطبخ في أو قات مفتوحة وأحيانًا عند العاشرة!

لا أدري لو لم تكن الحديقة لدينا أين كنت أذهب هربا من أيام زيارات صديقات "ريم" إلينا؟ وأبي لا يتدخل ولا يحاول أن يُنهي تلك المسألة، وهذا يروق لـ "ريم" بالطبع، حتى أنني و"كريم" نترقب لحظة ثورة أبي على هذا ولكنها للآن لم تأتِ، ولكن أراهن "كريم" باستمرار أنها اقتربت حتى يوم الجمعة الماضية، تراهنا، هو يقول إن أبي يفضل أن يتحول البيت لملهى على أن يرى يوزها! ويخرج من المناقشة فائز

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الدم بلا نتيجة، ومستفزًا بلا طائل، كما وأنّه يظل بجو كئيب لأيام، وقد قال "كريم" شيئًا تعجبت له بشدة وهو؛ من أين جاءت "ريم" بتلك الحيلة؟! لِمَ يصف سلوكها هذا بالحيلة؟ هل لأنها تجعل أبي يغض الطرف عن مجيء صديقاتها باستمرار والمكوث لساعات لدينا وتمثيلهم لعبء في صخبهم وعددهم؟! ولكن ماذا في مجيء صديقاتها إلى البيت فكل الصديقات تتزاورن بموافقة وعلم الأهل، وإن لم أفعل هذا أنا، ولكن هذا معروف، ولكن لِمَ سماها "كريم" ووصفها بالحية؟! كما أنه قد أرجعها إلى أنها... طبعًا كان يقصد أن ما تفعله "ريم" عن قصد وإعداد ودراية لِمَا تفعله وتسلكه ولكن هل أبي لا يعلم بهذا أم لأنها الكبرى فهو يمنحها امتيازات بأن يسمح لها بما يضيق عليه معي أنا و"كريم"؟! ربما فريم بالفعل لها امتيازات لدى أبي ويمنحها عدد منها فهو يستشيرها في بعض الأمور ويتجاهلني أنا و"كريم" ويثور علينا وهي لا، ويحرص على السؤال عليها أكثَر منا، ربما لأنها الكبرى! وأنا في الحقيقة أُرجع تهرُّب "ريم" من لقاء أمي إلى المكانة التي تمتاز بها عند أبي من مثلها لدى أمي فأمي لا يعجبها الكثير من تصرفات "ريم" وتقلق بشأنها أكثَر منا ولا يرضيها أسلوب تفكيرها ونظرتها لبعض الأمور وقليلا ما تتفقان على شيء، كلنا نميل إلى من يعطينا من الاهتمام والاتفاق ونبتعد عن من يرفض تصرفاتنا ويكثر في مراجعتنا ونهينا عن ما نريد كما أننا لم نعد صغارًا، أمي ثبت بها الوقت عند طفولتنا بينما أبي ينتقل معانا من مرحلة إلى الثانية، لا ألوم أمي ولكن هي تبالغ في الحرص والاهتمام الخانق فأبي هو الآخَر يهتم ولكن لا يخنقنا باهتمامه مثلما تفعل هي، كما أنها صارت عصبية في سنواتها الأخيرة وكثيرة البكاء، الجلوس معها كان يحتاج إلى صبر، ربما بَعدَ أن تركت أبي

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

اختلف الأمر وصارت أهدأ وأكثَر ودًا وسلاما، ولكنها مازالت تخنقنا باهتمامها، وتحيطنا بهالة من الخوف -مخاوفها حولنا- دائمًا تتصل دائمًا تسأل وتستفسر وتدقق وكل هذا خانق وغير مريح، لِمَ لا تفعل مثل أبي؟ الحياة معه أكثَر رحابة وانطلاقا، ملابسنا لا تعجبها لمَ؟ وأبي يجلب لنا ملابس غالية الثمن وأنيّقة وعلى أحدث موضة! لِمَ تتذمر من اختياراتنا وتُظهر في عينيها الرفض والدهشة؟ لا أدري لِمَ تندهش؟ هل تظل أذواقنا في اختيار ملابسنا كما كنا صغارًا؟ هي تركت أبي منذ ستِ سنوات ونحن كبرنا، هل سنظل نختار بعقلية وعمر طلبة في المراحل الدراسية؟

"كريم" كان في الصف الثاني الإعدادي وأنا في الأول الثانوي، أمًا "ريم" فكانت في أولى جامعة قد كبرنا وتبدلت أذواقنا واهتماماتنا حتى أن الألوان تثير دهشتها هي تحب من الألوان الزهريات كُلّ درجاته انتقالا إلى الأحمر ونحن نحب البيج والرصاصي، هي لا تفرض الألوان علينا ولكنها تندهش من تركيب الألوان مع بعضها هي ترى أن الأخضر لا يلبس مع البُنّي ولكني أراه أنيقًا، كما ترى أن الأحمر لا يلبس مع الرصاصي أبدًا و"ريم" تفضلهما معًا لا أدري لِمَ تتعمد أمي أن تنوع مظاهر الخلاف معنا، هو اهتمام بكل تفاصيل حياتنا ولكنه بالفعل خانق ومقيد كثيرًا ما تضعها "ريم" أمَام الأمر الواقع لا تستشيرها إلا بَعدَ أن تتخذ القرار، تصمت أمي في البداية ويحتقن وجهها بالغضب ولكنها تصمت ولا تتكلم، ولكنها إن ثارت يتلبسنا الخوف فهي على قدر رقتها فإن غضبها غير عادي فهي كثيرة الصبر ومريرة الغضب، لا أخشى منها إلا لحظة نفاد صبرها، تتحول أمي إلى وحش مريب ومهيب، ومن حيث لا تدري تستعيد كُلّ أخطائك التي لم تنبته أنت لفعلها في لَحظة تسترجع كُلّ ما تحملته

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وصمتت عنه فتلقى به في وجهك، تعريك من غفوتك فتلقي فوقك كُلّ أخطائك وتجاوزاتك في حقها لتتركك تنفرد بنفسك برهة تلو الأخرى بين فواصل نوبات غضبها لتسأله نفسك هل هذا الموقف أغضبها؟ وهذا أيْضًا؟ لمَ مررت كُلّ هذا ولم تبدِ على أيٍّ منهم ثورةً أو رفضًا أو حتى عتابًا؟ لمَ تمتص أخطاء الآخرين بتلك الكيفية التي تسممها وتشقيها إلى وقت تثور فيها وتنفجر جيوب شقائها؟ لِمَ تفعل هذا في نفسها؟

حينها تجد نفسك لا تدري أتشفق على كم احتمالها لِمَا صدر منك؛ أم تتوارى خجلا من تكرار أخطائك وكثرتها؟ ودون أن تراجع نفسك وتنهاها عن التكرار لتتفاجأ بها في سجل مسطور في قلب وصدر أُمّك. يستوقفني هذا التصرف والمنحى في طباعها لِمَ تحتمل فوق طاقتها؟ لِمَ تمتص ما يغضبها؟ لِمَ لا تتحدث أولًا بأول؟ هل بلغت من التعذيب لنفسها أن تلتقط كُلّ ما يدميها للداخل وتكتفي بإخراج كُلّ هذا دفعةً واحدة؟ هو في الآخَر ثورة غضب، ولكن إلى أن تأتي تلك الثورة لِمَ كانت تتجاهل ما يؤلمها؟ ما يتماوج بداخلها من ضيق وبذور للضيق والألم؟ هي مخطئة في كُلّ هذا ولا يعفيها أمَام نفسها من حملات التعذيب التي تخص بها نفسها، أختلف معها في هذا وأبي مختلف عنها في تلك، هو قد يقول في ثورة غضبه ما يهدم سدًا، ولكنه لا يترك شيئًا يغضبه أو يكتمه في قلبه، هو يقسو بشدة على من أغضبه ويعمد إلى سحقه وتجريحه، هو يبالغ ومفرط في هذا ولكن أفضل قليلا من أن يخص نفسه بتعذيبها وكتمان ما يؤلمه بداخل صدره، ولا أدري أهو طبع أم قناعة أم ماذا على وجه التحديد، لم أكُن أتوقف أمَام ردات فعلها المكتومة أمَام مواقف لا يعقل فيها الصمت مُطلقًا، ولكنها كانت تفعلها كثيرًا، وفي الحقيقة لم أكُن

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

أتوقف كثيرًا أمَام هذا ولم أسألهم من قبل بجدية، يمكن أن أتعجب متسائلة لكوني شاهدة على الحدث، هذا ليس بجيد، ولكن كانت أمي لا تمل من النقاش والحوار، فما أن أسألها وأقوُل لِمَ؟ تفاجئني بفيضان من الكلِمَات تشرح فيها الموقف وأبعاده، كان يليق بأمي أن تصبح طبيبة نفسية خبيرة بعلم نفس الآخرين أو مدرسة لغة عربية تشرح بلا ملل، لقد كنت محظوظة الآن أنّي قد تجاوزت مرحلة الدراسة الابتدائية والإعدادية، لا أتخيل كم كنت أحتمل الجلوس لساعات وهي تشرح وتعيد وتكرر، كان عذابًا، لو كان يتم اليوم خيرا أنّي كبرت والمرحلة تلك انقضت كانت تستعذب الأثقال على نفسها! كنت أفهم منها أكثَر من مدرسي مدرستي، ولكن ثمة ألم يدق جبهتي من طول الوقت، العجيب أنها كانت تشرح بإسهاب دون ملل، حتى أنّي لا أنسى ذلك البريق في عينيها وهي مستغرقة في الشرح وكم كانت منتعشة وهي تقوم برسم أعقد الخرائط في الدراسات، كنت أقترح عليها أن تستعمل ورق الزبدة الّذي نشف به الرسامات بتتبع القلم وتحديد المنحنيات ثم تحديدها بالقلم بخط سميك وواضح لتطابق الأصل وكفى، ولكن أمي لا تفوت تلك الفرص؛ فقد كانت تجيد رسم الخرائط كما تجيد عمل كُلّ شيء وتطيل وتسأل هل من خرائط أخرى؟! كأنها تسألنا عن وردة ستشمها ولكني كنت أحب سماع صوتها وهي تلخص لنا القصص المقررة في اللغة العربية سواءً لي أو لإخوتي، كانت تشرح لـ"مريم" من سنوات وهي في الصف الثالث الإعدادي قصة طموح جارية عن حياة وسيرة شجرة الدر، تلك الجارية المملوكية وكيف صارت تحكم البلاد في وقت انتشرت فيه الفتن كنت أحب تلك القصة وأحب سماع سردها من أمي، كان يهيئ لي أنها هي شجرة الدر، لديها من صفاتها ولكن أنى

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

كان أكثَر من السلطان المملوكي على المماليك الآخرين لم يكن نجم الدين لها؛ بل كان مثل الّذي يسعى لتحطيمها، كان يسخر من آراءها التي كان ينسبها لنفسه أمَام الآخرين دون علمها، لقد عايشتُ موقفين، كان أبي يتحدث، كأن الرأي له بينما كان رأي أمي، مع أنه كان أولى به أن يثني على نباهتها؛ فهي عون له، فالرأي السليم سند ولكن هكذا كان يتصرف معها، كان يكره جاذبيتها، كان يقلل منها ويلجأ لأوصاف حادة وفظة كانت تتلقفها أمي كالمصعوقة، كم كانت رقيقة وحالمة وأبي مملوك بحري مغتصب للسلطة يطمع في بسط نفوذ بأيّ طريقة وفعلا كان نافذ السيطرة وكانت أمي تحترمه بإفراط ككل شيء تقوم به لو كانت تتصرف باعتدال معه، لِمَ كان يتجبر عليها بهذا الشكل؟ وكانت تود وتنصحنا أن تستنسخ نسخًا منا، أمي كانت يعمها الحب أو تركيبتها المتشابكة وغير الواضحة، كانت تحترمه بشدة وتطيعه بشدة وتحرص على إرضائه بشدة، وكان هو يقابل كُلّ هذا بكل شدة، أبي أرعن كبير، لا تدري أمي كيف يعامل الآخرين، لقد احتجت وقتًا لأكتشف جوانب في شخصية أبي أراهن أن أمي نفسها لم تكن تدركها فيه، لقد رأيت البائعة تنفعل عليه فقلت في نفسي أنها سوقية وقليلة ذوق ولكن أبي كان يتحدث عنها في المول بفظاظة، لقد نسى أنها ليست أمي التي تصمت إلى أن ينهي ثورته، فقد انفعلت عليه وجذبت الملابس منه وهو يتبرم على كُلّ قطعة نختارها، لا أدري لِمَ كان يتصرف على هذا النحو يومها؟ كما أنه وابن صديقه كانا يتناقشان في حديقة بيتنا ويتحدثان عن السيارات، وكان هذا الولد كبيرًا، ولكنه كان غير مهذب مثل والده الّذي كان يعاملنا بأدب ولطف لا أدري لِمَ انقطع وتوقف عن المجيء لأبي؟ أو يمكن أنه يأتي ويجلس مع أبي في المعرض، ولكن يومها

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

انفعل هذا الولد -لا أذكر اسمه- وبشدة على بابا وتعامل أبي بهدوء جم، استغربت له، وأيْضًا يعامل النساء خارج البيت بلطف بالغ ووقت الخلاف يبدو كحكيم بوذي لا أفهمه أحيانًا ولكنها مخطئة نظرتها للأمور غريبة تظن نفسها داخل محمية كُلّ شيء محل الصيانة، أمي أقرب لكائن مهدد بالاندثار، نادرة لحد الاستفزاز، لا أفكر كثيرًا في تناقضات أبي المتعددة، ولِمَ أفكر؟ هل لأغضب نفسي؟ لا أُريدُ أن أعرف أكثَر مما أرَى، أودُ أن تنطلق الأمور في وجهتها الصحيحة، لكم آلمني طلاق أبي وأمي، أحدث هزة في سفينة حياتنا شعرت أن سفينتا جفت المياه من حولها وتوقفت في الطين لا تتقدم ولا تتأخر هزة عنيفة الأعنف منها مشاهد ضرب أبي لأمي وبكائها المتقطع كنت اشفق عليها كان يبالغ في رد فعله عليها بينما هو يتحكم جَيِّدًا في رد فعله لا أدري لِمَ كان يفعل ذلك فقد مَرَّ على زواجه أربعة أشهر ولم أسمع صوته يعلو أو يتعصب أو يلقي بشيء على الأرض في ثورة غضب أو اعتراض، صوته هادئ لا يثور ولا يشتم ولا يضرب هل تغير بَعدَ الطلاق، أمي تغيرت هي الأخرى كُلّما ذهبنا إليها أراها أصبحت أهدأ وتتعافى من عصبيتها المفرطة والارهاق البادي في عيونها وعلى ملامح وجهها انقشعت، مناعتها قوية ضد الآلام والصدمات ولكنها كانت حزينة على نفسها هكذا قالت لي من فترة سمعتها تقولُ لخالتي التي ربتت على يدها والدموع تملأ عينيها؛ فلقد كانت أمي تبكي بنحيب ومتأثّرة للغاية وصوتها محشور بداخلها، تُطل الكلمات مخنوقة وغير مفهومة، كانت دموعها تمسك بزمام الموقف، كانت متأثّرة للغاية لكونها تطلقت وهي في أوائل الثلاثين، لم أرَها متأثّرة وهي تغادر البيت بهذا الشكل؛ بل يومها

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

كانت هادئة أكثَر من تلك اللحظة، فقد كانت هادئة وعازمة، يومها قال لها خالي الأكبر:

- اهدأي، لا عليكِ، لقد وضعتِ فاصلًا لتعبك مع هذا الرجل.

يقصد بهذا الرجل أبي، لِمَ كان يتحدث هكذا عن أبي وفي حضورنا هكذا؟ لم أقبلها منه، حتى أمي التفتتْ ناحيتنا تتأمل عيوننا وهي شبه معتذرة عما يقوله خالي، فقد كان ثائرًا بعض الشيء لأجل أخته، كان وهي صامتة شاردة عيونها قلقة تدور في كُلّ المكان، كان أبي قد جاء عدة مرات إلى بيت جدي ليصالح أمي ويأخذها معه ويعودا إلى بيتنا ولكن أمي رفضتْ، فهي كانت عازمة على الطلاق، لم أرها تصر على شيء كما كانت تصر على رغبتها. كان أبي مضطربًا لا يعرف ماذا يفعل، وكان لديه أمل كبير في عودتها، ولجأ لكبار عائلتها وعائلته للتوسط بينه وبين أمي ولكنها كانت ترفض العودة وانفصلا بالفعل. لم أبكِ كالأطفال، وكان يسيطر عليّ صداع كبير وإحساس بالدوار، "ريم" قالت لي يومها أنها تشعر بأنها ضائعة، بينما "كريم" كان صامتا يتكئ للخلف إلى سريره لأنه تركنا وظل بغرفته لوقت وأغلق بابه عليه، أظنه لتجنب ما قد تقوله "ريم" عن أمي فهي ولا أدري لِمَ تفعل هذا؟ في شكل مباغت تطلق الأحكام القاسية عليها وتميل إلى ترجيح كفة أبي في أنه معذور وتلتمس له الأعذار وتقلل من أخطائه، بينما مع أمي، فهي قاضٍ يفصلُ بكل حيادية ويحكم بنزاهة مطلقة في حالة كان التقصير من جانب أمي بينما في حالة جاء التقصير والتجاوز من أبي فهي تصمت لحظة ثم تهُزّ رأسها كأنها تفتش عن سبب مَا قام به، في قرارة نفسها ترفض أن تُلقي باللائمة عليه، سمعتها تقول أمَام أمي أنها تحب أبي أكثَر منها، يومها ابتسمت هي ولم ترُد بينما أنا و"كريم" نظرنا لـ"ريم" بتعجب

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وسخرنا منها وقُلنا نحن نحبك أكثَر يا ماما لم تَرُد علينا فقد كانت تقلب في صفحات الكتاب لتهم بشرح درس آخر ولكن شعرت أنها استغربت لِمَا قالته "ريم"، ولكنها كعادتها تسحب ما يضايقها للداخل وتغلق عليه بإحكام، واستأنفت الشرح، كان "كريم" يواصل مذاكراته وتقوم بالشرح لي وكانت "ريم" تجلس وهي تحفظ كلمات الإنجليزي وعادت لتوها لِمَ تفعل سألت "ريم" لِمَ قُلتِ هذا؟ هل حقا تحبين بابا أكثَر من ماما؟ فأجابت أحبهما هما الاثنان ولكن أبي أكثَرُ حنانا من أمي معي وأكثَرُ تقبلًا لطبعي، فماما دائمة الانتقاد لي وتوجيه النصح، بينما بابا يفهمني ولا يعنفني مثلا كثيرًا، فقاطعتها قائلة هل تتحدثين عن بابا الّذي أعرفه؟ فقالت بلى، فقلت لها هو لا يريد أن يسمع أحدًا، لا يتوقف كثيرًا أمَام ما يصدر من كُلّ منا، هو يميل إلى أن يريح رأسه فابتسمت ساخرة فتأملتها بلوم فقالت أعلم أنك ستدافعين عنها ولكن هل هي من قالت لك أن تسأليني هل حقا أحب بابا أكثَر منها؟! لم أردّ عليها ولكن اندهشت لظنها هذا فأمي لم تهتم بهذا وإن كنت أظنها تأثّرت قليلا وتفاجأت من رد ريم"! لعل "ريم" محقة في موقفها من ماما، فهي بالفعل كثيرة الملاحظة والمراجعة لتصرفاتنا، ولكن هذا دورها كأم، وإن كانت تبالغ كعادتها دائمًا تجاه باقي الأمور والأشياء، ولكن ما هو معلوم لنا جميعًا أنها كثيرة وبالغة الاهتمام بنا أكثَر من أبي، وإن كان ينقصها المرونة بعض الشيء والتخفيف من هلعها إن تأخرنا وضيقها أن قصرنا في واجباتنا.

"كريم" يوم انفصل أبي وأمي ظل في غرفته لا يفتح الباب لنا وتجاهلته "ريم" عن عمد وأخذت تلقي باللوم على أمي وعلى أبي، لأول مرة يتعادل الاثنين في إلقاء اللوم من جانبها عليهم، تركتها

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

تتكلم ولمّا لم تجد منّي ردًا صمتت ودخلت إلى غرفتها تتحدث إلى صديقتها في الهاتف، "ريم" مثل أبي تعرف كيف ترجئ متاعبها لأجل غير مسمى؛ بينما أنا أعيش اللحظة أيّا كانت؛ فقد كانت حالتي النفسية سيئة ووجدت نفسي بمفردي وأخي يفصل بيننا باب، باب غرفتنا على يميني والنور مضاء ولكني وحدي، بابا يومها لم يعد من الخارج إلا بَعدَ الثانية؛ فقد كنت متيقظة، لم أنم يومها، فبعد أن جلست مع "كريم" نتحدث بخصوص ما حل ببيتنا وجرى قصدت غرفتي وتجنبت الحديث مع "ريم"، لقد كنت أُريدُ أن أختلي بنفسي بَعدَ حديثي مع "كريم" وظللت ساهرة إلى ما بَعدَ الثالثة فشعرت به وهو عائد، ما قاله "كريم" هدأني، لقد كان يرى أن أمي محقة في ترك أبي وأننا يجب أن نتقبل الأمر ولا نلقي باللوم عليها أبدا؛ فكل ما دفعها للطلاق لم يحكِ لنا أحدٌ عنه، فقد رأينا كيف كان يسيئ معاملتها أمَامنا وحكى لي كيف أن أصدقائه يحكون كيف تتصرف أمهاتهم مع أبائهم بعضهم كما حكى لي تزجر زوجها أمَام أصدقاء ابنها وأخرى صوتها أعلى، "ببجي ومطاردات ببجي"، بيتهم مثل مدادات أجواء اللعبة، ومع ذلك تستمر الحياة هنا تخيلي أجواء كهذه مضطربة وصاخبة ولا تعلمين من الرجل ومن المرأة وأين الأولاد، لا تلومي ماما أبدًا على عزمها ترك أبي فهو لا يستحقها، هكذا يكرر "كريم" وبعد الطلاق وليلة زواج أبي وحتى إن فتحت الموضوع معه بَعدَ سنوات فهو ثابت عند هذا الرأي بأنه لا يستحقها!

هل موقفه هذا من أبي الّذي يكون على عكس والنقيض تقريبا من موقف "ريم" لأن أبي يعنفه باستمرار ويلوم عليه أيّ تقصير؟ لا أدري، ولكن "كريم" مهذب ويحترم أبي ويطيعه، هو الأقرب منا لمَاما، ولكنه كولد أندهش، بأنه ليس بقريب من أبي مثل ما هو

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

المفترض لبقية الأولاد مع أبائهم! لا أحب أن ألمح لهذا الشيء مع "كريم" حتى لا أجرح شعوره، "كريم" مرهف الحس ولطيف ويتحسس فمه قبل ظهور الكلمات وإن غضب يصمت لا ينفعل إلا في الضرورة وأنا لا أحب أن أراه غاضبا ولا أُريدُ أن يغضب، أُريدُه كما تقول أمي دائمًا قريب منا. "ريم" تسخر منه دائمًا وتتهكم على كُلّ تصرفاته أمس أحرقت ملزمة الفيزياء خاصته، رأيتها ولكنها قالت إنها كانت تحرق ورقة عليها قرآن، قلت لها ورقة! ولكن الدخان المتصاعد أكثَر من دخان يتصاعد من ورقة؟ ثم لِمَ لمْ تجمعيه في كيس وتبللليه وتلقي به في جانب من الحديقة والشمس تأكله كما قالت ماما؟ كم حذرتك من الدخان المتصاعد والناجم عن الحرائق أنه مؤذٍ، وأن الأوراق إن كانت كثيرة فهي خادعة، فقد تعلو وتنطلق بعيدًا لتلتصق بأيّ شيء وتنشب حريقًا، وذكرت كيف تحدث الحوادث من أسبَاب بسيطة من الإهمال ظلت تسمعني بلا حراك ولا تراجعني، فهي مثلي قد سمعت هذا الكلام مرارا وتكرارا من أمي، هي الأخرى سمعته وتوقنه تمامًا، كانت تراقب بعينيها الورق وهو يحترق ووضعت عليه الماء في الحوض وسكبت وفتحت عليه حنفية الماء وجمعته "بلبس الجندي" الجلد المعلق أعلى الحوض وجمعت بقايا الورق المحترق وأدخلته كيسا وألقت به في السلة الموضوعة أسفَل الحوض وخلعت "لبس الجندي" وتركتني وخرجت وهي تتنهد بانتشاء، ظللت أراقبها وأنا لا أجِد تفسير لِمَا فعلته، علمتُ بعد ذلك أن الّذي أحرقته ملزمة "كريم" عندما وجدته يخرج من غرفته لاهثًا وهو يسألني عن ملزمة الفيزياء:

- أبحث عنها من أمس ولا أجِدها.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فتوقعت أن "ريم" فعلتها، فقلت له سأبحث لك عنها ودخلت غرفته أبحث عنها لأبعد عن فكره أن تكون "ريم" هي من فعلتها، فالشجار بينهما ينشب بلا بوادر ولا أسبَاب فكيف الآن! هكذا هي علاقتهما ببعضهما البعض، وأنا أعمل كحمامة سلام بينهما على الدوام وضقت ذرعا بهذا الدور. "ريم" كالتي ارتاحت من وجود أمي في البيت فلا أحد يراجعها أو يحاسبها، تفعل ما تريد، ترتدي ما تريد، ولا تريد أمي، ويغض أبي الطرف، وتصادق من تريد، ولكن أبي ثار وأمرها ألا تصادق تلك الفتاة التي لمحها تخرج من بيتنا في أحد الأيام وتحفظ على أن تدخل بيتنا وتعرفها أختي، فقد كانت تلك الفتاة أكبر منا وتسكن بجوارنا في الشارع المقابل ولا تعرفنا، فَجْأةً وجدنا "ريم" تستقبلها في بيتنا ولم أسأل أبي لِمَ نهى "ريم" بكل جدية وحزم عن مصادقة تلك الفتاة، وخيرًا فعل؛ فأنا لم أكُن أرتاح لها.

ذات يوم رآها "كريم"، كان له تعليق في وصفها أضحكني بشدة وأقلقني في ذات الوقت، لقد قال كيف من تلك الجالسة مع أختك هل تود أن تتجه للرقص الاستعراضي؟ هذه الفتاة أقرب إلى راقصة استعراضية، فضحكت من وصفه هذا وفرحنا جميعنا وأبي ينهرها على اختيارها لصديقاتها، كنا جالسين نحن وهي و"كريم" بَعدَ انصراف صديقتها هذه، سررنا لزجر أبي لـ"ريم" وكان "كريم" يكتم ضحكاته وهو يتظاهر أنه مندهش ويرسم قشعرة لجبهته كأنه يسمع بالأمر لأول مرة، كانت "ريم" ساخطة وغاضبة للغاية وبعد أن انصرف أبي وخرج دخلت الغرفة وصفقت الباب بشدة وجدناها فرصة أنا و"كريم" لنطلق ضحكاتنا وفوجئنا بها تخرج فَجْأةً ورأتنا نضحك ونحن ننظر لباب الغرفة؛ فنظرتْ لنا بازدراء ودخلت إلى الحمام، لم تكن تبكي، لِمَ دخلت؟ فكتمنا ضحكنا، ولمّا سمعنا صوت ماء في

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الحمام أطلقنا ضحكاتنا من جديد وأفلتت ضحكة عالية من "كريم" فجاءت "ريم" على الفور وقالت له:

- يا غبي.

فضحك، الغريب أنها تركت الماء مفتوحا في الحمام فجريت لأغلق الصنبور، وظللت أضحك وأنا أسمع "كريم" يقُولُ لَها متقمصا دور أبي ويقلد صوته ويكرر ما قاله:

- كوني مثل إخوتك، فأنتِ الكبرى، كيف تصاحبين فتاة كهذه؟ أنا أعرف أهلها، لا أُريدُ أن أراك تصادقين بنات من تلك النوعية.

فصرخت "ريم" وهي تقول له اسكت، فتجاهل كلامها وثورتها وقال:

- لا تجعليها تأتي هنا مرة أخرى. فقالت له "ريم":

- يا غبي يا غبي!

فكرر وهو يضحك مرة أخرى وظل يقهقه، وأنا خرجت من الحمام في اتجاه الريسبشن قُبَالَةَ "كريم" الّذي همَّ بدخول غرفته وتبادلنا الضحكات بصوتٍ عال ومن داخل غرفتنا "ريم" ألقت شيئًا على الأرض لقد سمعت صوت ضحكاتنا على ما يبدو!

في صباح اليوم التالي تناهى إلى سمعنا ونحن نجلس نشاهد التليفزيون مساءً صوت أبي وهو يتحدث وكان صوته عالِيًا بعض الشيء فتحرجنا أن نخفض صوت التليفزيون حتى لا نتسبب في الحرج لأنفُسِنَا ونبدو وكأننا نريد أن نعرف ما يقول وماذا يجري، فأبقينا على صوت التليفزيون كما هو ونحن ننظر لبعضنا البعض بدهشة واستغراب وصوت أبي ما زالنا نسمعه من الجوار من خلف أبواب الشقة الكبرى، ملأ الفضول وجه "ريم" إلا أنها حذت حذونا وتظاهرت معنا أنها عادت مشاهدة الفيلم، ورغم أن الفيلم كان

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

مثيرًا –"لالا لاند"- ومشوقًا إلا أن صوت بابا وهو ثائر كان أكثَر تشويقًا وغموضًا، فنحن تقريبا قد تناسينا صوته الثائر ونوبات غضبه داخل البيت، لِمَ هو ثائرٌ الآن وغاضب هكذا؟ وكان صوت طنط "سحر" غير ظاهر تتكلم بطبقة أقلّ من طبقة صوته ولكنه تتحدث هي الأخرى، كُلّ هذا ولم نتمكن من معرفة ما يجري وبالطبع لم نهتم أن نعرف، فقط أثار فضولنا الصوت المفاجئ الّذي تناهى إلى أسماعنا مخترقا الجدران إلى الشقة المجاورة وسكت صوتهم فَجْأةً بَعدَ أن شوش على مدة من أحداث الفيلم، وفي الصباح لم ألحظ على "سحر" أيّ شيء، كان "ريم" و"كريم" أيْضًا يتوقعان أن ثمة آثار على وجهها سنراها على الفطار في اليوم التالي ولكننا وجدناها قد أعدَّت الإفطار وقدمت شايًا بحليب بجوار الإفطار كنا مندهشين لسببن وجود الشاي بالحليب ومن تعاملها الهادئ معانا في صبحية يوم الشجار لم يجرؤ أحدنا على أن يحملق في وجهها فتناول كلا منا افطاره وشربت كوب الشاي بالحليب وكان لذيذا. وضعتنا في دهشة، فقد كان لذيذا بحق، تسربنا بَعدَ الإفطار وتركناهم، "كريم" ذهب للقاء أصدقاء له في الملعب بينما أنا و"ريم" خرجنا وقد كنت بصدد استئذان أبي والذهاب إلى أمي ولكن لِمَا جرى فضلتُ ألا أطلب منه ذلك، وقضينا اليوم معًا أنا و"ريم" في حيرة وأثرنا ما رأيناه اليوم على وجهها، كانت مبتسمة ونضرة ومنتعشة، لم يبدُ عليها أيّ أثر لغضب أو غيره، ظلت "ريم" شاردة وأنا أحدّثها بشأن ما بدت عليه طنط "سحر" وأبي فقالت بَعدَ صمت:

- يبدو أنها تفهم أبي وتعرف كيف تتعامل معه، أراها ذكية ومتزنة في تصرفاتها.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

شعرت أن "ريم" معجبة بها وترمز بالكلام لجهة أخرى شوشت على حدسي، ولكنها ظلت تقول وتكرر رأيها فسألتها عن "مروة"، ألن تأتي اليوم؟ فقالت هي على وصول، فاندهشت كيف هي على وصول وقد كنا ننوي الذهاب إلى ماما فقالت بضيق لم أكُن لأذهب، ولكن لم أرضَ أن أرفض فيجدها أبي حجة ليرفض ذهابك أنت، فسكتُّ ولم أردّ، ودارت برأسي الأفكار وكنت أطردها أولًا بأول لا أُريدُ أن أناقشها أو أن أتوقف عندها، وقضيت اليوم وحدي في الحديقة كان الجو مشمسًا وصوت العصافير شجيًا كأنها تشاركني خواطري وحالتي، كنت غير مرتاحةً في جو أكثَر من هادئ ومريح؛ فالصخب الّذي يملؤني كان أعلى تشويشًا على المحيط وما يحيط بي وألح على ذهني سؤال هام؛ لِمَ يعامل أبي زوجته أفضل مما يعامل أمي؟ هل كما قالت "ريم" أن طنط "سحر" تفهمه جَيِّدًا وأكثَر؟ كيف فعلتها "ريم" وعقدت مقارنة بين أمي وأخرى؟ لِمَ تتخذ "ريم" هذا الموقف من أمي؟ طنط "سحر" تعاملنا معاملة طيبة وهادئة طول الوقت ومبتسمة لم يصدر منها أيّ تصرف يضايقنا أنا أو أخواتي ولكن هل هي بالفعل فهمت أبي لذلك هو يعاملها أفضل ما كان يعامل أمي؟ طردت كُلّ تلك الأفكار المحبطة؛ بالفعل هي محبطة لأنها تجعلني أرَى أمي مقصرة ومتخبطة ولم تنجح في كسب أبي ومن ثمّ البقاء معنا أفضل من أن تتأزم حياتهم وتفقد قدرتها على فكرة الاحتمال والاستمرار معنا فتصر على الذهاب وتبتعد، لا أفهم هذا الأمر، "ريم" متحاملة على أمي، متحاملة كعادتها لأن أمي كثيرة الانتقاد لتصرفاتها وطريقة تفكيرها، أمي لم تخطئ وكانت من الحكمة والرزانة وهي تتعامل معه، كانت محقة، يتهادى لسمع "مريم" صوت من النافذة المطلة على الحديقة فتبتسم وتهبُّ واقفةً وكأنها تتوقع

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

حدوث ما يؤيد فكرتها فتقف بمكانها وتشب لترى ما خلف النافذة فيتوقف الصوت فتجلس على طرف الكرسي وتبعد الطرابيزة عنها قليلا وهي مترقبة للقيام، لم تعد في جلستها المريحة المسترخية مثل قبل، وفَجْأةً يتجدد الصوت ولكن هذه المرة تتحقق من وجهته؛ فهو يأتي من الشارع، ثمة أحدهم يتحدث في التليفون بجوار سور الحديقة تحت الأشجار وقد انصرف وابتعد لأن الصوت يخفت تدريجيا فتلتفت إلى الداخل وهي شاعرة بالخيبة، فقد كانت تتمناه من جهة أخرى بداخل البيت، تغرق من جديد في أفكارها وتنتبه على صوت "مريم" وهي مغادرة البيت أخيرًا بَعدَ مرور أكثَر من ثماني ساعات وزعتهم "مريم" بين مشاهدة التيلفزيون لساعتين والجلوس في غرفة "كريم" ساعة ونصف وباقي الوقت قضته ما بين المطبخ والحديقة تعد مشروبًا بَعدَ آخر وتتجول في الحديقة تارة وتارة تجلس، تظل "مريم" في مكانها متجاهلة وقوف "مروة" قبالتها باتجاه الباب الكبير لتغادره في انتظار أن تقوم وتسلم عليها بينما هي واقفة، يكملا حديثهما هي و"ريم" وتضحكان وتشد "ريم" على يدها كأنها تلح عليها أن تبقى للغد! و"مروة" هي الأخرى وقد انفتحت شهيتها للحديث، فقد مرت ربع ساعة وهما تتحدثان، ماذا تقول ثانية؟ هل مع السلامة تستغرق كُلّ هذا الوقت؟ أم أن كما يقال عند الوداع تنتبه الأحاسيس على ما لم يقال ويحضر كُلّ ما يختبئ ويظهر ليقال؟ وددتُ لو كانت "ندى" تجيءُ هي الأخرى وتقضي يوما من كُلّ أُسبوع هنا معي في بيتنا، كان سيكون يوما جميلا ممتعا وقد استشعرتُ ما تحسه الآن "مروة" و"ريم" ولكن أهلها يرفضون مجيئها إلى هنا كما أنّي لا أحب أن أذهب إلى هناك، كيف أمكثُ في بيت صديقة لي كُلّ هذا الوقت وبانتظام؟ هل لا يرفض أهلها المجيء

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

إلى هنا والبقاء كُلّ هذا الوقت في بيتنا؟ لن أخبر أبي أن "ريم" هي الأخرى تمر من وقت للآخر على بيوت صديقاتها حتى لا يتشاجر معها، لن أخبره، تنصرف "مروة" وتغلق "ريم" البوابة خلفها وتتجه مباشرة إلى "مريم" تشاركها جلستها وتقوُلُ وهي تقترب من مكان جلوس "مريم" لقد كانت "مروة" تريد أن تسلم عليك فلم ترُد "مريم" عليها وتظاهرت أنها منشغلة بتشغيل جهاز تشغيل الأغاني والموسيقى (الصب) فعمدت "ريم" وسط ارتياحها ونشوتها بَعدَ قضاء الوقت الشيق مع صديقتها:

- "مروة" تسلم عليكِ. قالت "ريم".
- اللّه يسلمها. قالت "مريم" بسرعة خاطفة.
- كُلّ هذا الوقت جلستِ هنا وحدك كنت أظن "كريم" معَك؟
- "كريم" ذهب إلى النادي، كان الجو رائعًا فجلست هنا كما ترين.

تتلفت "ريم" حولها وتستشعر جمال وصفاء الجو فتقول:

- معك حَقّ فعلا الجو مدهش اليوم -وتتأمل "مريم" بتأثّر وبنظرة متفحصة- ولكن ما بك؟

ترفع رأسها وتنظر مباشرة في عيني "ريم" متعجبة، "مريم":

- ما بي؟!

"ريم" بيقين وجزم وهي تهُزّ رأسها توكيدا للسؤال. فتزيح "مريم" هما اعتلى جبهتها وتقوُلُ: لا شيء. فتقترب "ريم" منها وتهُزّ ركبتها بِودٍّ وهي تقول:

- لا تتعبي هذا - وهي تهُزّ جانب رأسها بعزم وجدية وبحرص - لأنك ستتعبين

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم" تتحاشى النظر في عيني "ريم" فقد كانت محقة فيما قالت، فقد قضتْ جُلَّ وقتها في التفكير و"ريم" خبيرة بطبيعتها، تهُزّ ركبتها ثانية في استجداء الرد فتَرُد "مريم" في هدوء:

- سأحاول. "ريم" تمسك يدها وتوقفها وهي تقول:
- تعالي ندخل، لقد اقترب الغروب.

تقوُلُ "مريم" وهي تسير مع "ريم" باتجاه الباب المؤدي لداخل البيت وهي تلملم أشياءها، المج وجهاز الموسيقى، وتتجهان إلى الداخل، ما إن تدخلا من الباب حتى تتفاجأن بـ "سحر" في الريسبشن وهي تحمل طبقًا كبيرًا من الحلويات، تدخل "مريم" و"ريم" ما أن تلمحاها حتى تبتسما وهما متعجبتان، فتبتسم "سحر" وتمُدُّ يدها بالطبق:

- تفضلوا يا بنات، وأين "كريم"؟!

وهي تميل برأسها إلى الداخل فتخبرها "ريم" و"مريم" أن "كريم" في النادي، فتبتسم وتمُدُّ يدها بطبق الحلويات وتأخذه منها "ريم" وهي تتأمله بإعجابٍ مبتسمة قائلة:

- لا أحب الحلويات، ولكن منظر الطبق شهي. فتضحك "سحر":
- ستحبينها.

بينما "مريم" تلتقط قطعة، تقضم منها وهي تتلذذ بطعمها ويسقط الطبق دونما قصد من "ريم" فترتبك "سحر" وتنحني لِلَمْلَمةِ ما سقط، بينما "ريم" تصرخ متفاجئة مما جرى فتهدئها "سحر" وتسحب منديلًا لتنظيف المكان، بينما "مريم" تبلع بسرعة ما بداخل فمها وهي تلم وتجمع ما وقع ثانية في الطبق، وتقوُلُ "ريم":

- لا أدري كيف سقط من يدي أنا آسفة. "سحر":

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- لا عليكِ، لأنه من الزجاج فربما انزلق، فطرفه يبدو ملطخًا بالعسل الّذي سقيت منه الحلويات فساعد وعمل على انزلاقه منك، لا عليكِ، فداكِ يا "ريم".
- "ريم": أنا آسفة يا طنط "سحر"، عنكِ، سأقومُ بتنظف المكان.

وتأخذ "ريم" منها المنديل وتهرول إلى داخل المطبخ وتحضر منشفةً وطبقًا كبيرًا وتقوم بجمع ما وقع وتمسح بمنديلٍ آخر أثر الحلويات بإحكام، كما تقوم "مريم" بأخذ ما جمعته "ريم" وتتجه به إلى المطبخ وهي تتأمل شكل الحَلْوَى بأسف، فتنظر "سحر" بتوتر للموقف وتدخل إلى داخل الشقة الكبرى، وعندما تعود "مريم" لا تجدها فتقول لـ "ريم" بلوم:

- هل سقط منك عمدا؟!

وهي تتأملها بنظرة تشكيك فتقُولُ لَها "ريم":

- ماذا تقصدين؟! طبعًا سقط رغما عنّي، ولِمَ سأقصد أن أوقعه؟ كفي عن أفكارك تلك واذهبي خلفها وقولي لها ألا تجلب طبقا آخر من الحلويات.

فتترَدد "مريم" كمن تجدها فرصة لتتذوق وتأكل من الحلويات ومن طبقٍ آخر عوضا عما وقع على الأرض فتتوقف في مكانها، فتبتسم "ريم" لِمَا أدركته وتقوُلُ:

- قولي لها ألا تحضر غيره، اذهبي يا "مريم".

وتواصل "ريم" تنظيف المكان وتحمل ما بين يديها وتتجه إلى المطبخ بينما "مريم" تنفذ ما قالت "ريم" على مضض وتتجه إلى الشقة الكبرى بغير حماس وترن الجرس مصدرا صوت موسيقى

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

مطولة تهُزّ "مريم" رأسها متفاعلة مع نغمات الموسيقى وتفتح "سحر" والتي تتفاجأ بـ "مريم" وترحب بها بحرارة وتدخلها. "مريم":

- طنط "سحر"، لا تجلبي طبقًا آخر غير الّذي وقع.

فتندهش وتتفاجأ "سحر"، لِمَ جاءت "مريم" لتقول ذلك؟ فلم تكن تنتوِ أن تجلب طبقًا آخر ولكنها وجدت نفسها في موقف محرج الآن، كيف تتصرف؟ فتتظاهر بأن هذا ما نوت فعله وتقوُلُ بِنَبْرةٍ جازمة:

- لالا سأقوم بتحضير غيره الآن.

فتبتسم "مريم" وهي تتظاهر بالرفض فتتركها "سحر" وتدخل سرعة إلى الداخل فتتقدم "مريم" وقبل أن تجلس في أقرب كرسي بعفوية تلمح ثمة كشكول مثل كشكول المحاضرات مفتوحًا، وفي وسطه قلمًا مفتوحًا وغطاءه محكمًا في قاعدته وأوراق الكشكول تتحرك على إثر الهواء الداخل من النافذة المفتوحة على الحديقة فتستغرب ولا تهتم وتهِبُّ على إثر تقدم "سحر" وهي تحمل طبقًا آخر من الحلوى، فترتبك "مريم" وهي تتابع يديها وهي تحمل الطبق قادمة من منتصف الردهة قبالتها وتبتسم بمرح وتقوُلُ:

- مكتوب لي أن أتذوق قطعة أخرى. فتضحك "سحر" وتقوُلُ:
- كان لازم تتذوقي وتخبريني برأيك، لولا أن الطبق سقط من يد "ريم" على الأرض فشربت السجادّة العسل.

تضحك "ريم" على وصفها وتقوُلُ:

- يبدو أنها تحب الحلويات مثلي.

وتحمل الطبق وتخرج على صوت ضحكة تبادلها بها "سحر" وتغلق الباب خلفها وتدخل مسرعة بَعدَ خطوات إلى الريسبشن، وبينما "ريم" قادمة من غرفتهم تجد "مريم" تجلس على طرف الكرسي

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وتتناول بالشوكة قطعة من طبق الحلويات وهي تتلذذ بمذاقها فتبتسم وهي تقول ساخرة:

- طفسة، ألم أقلّ لك أخبريها ألا تجلب طبقًا؟

"مريم" وهي تأكل:

- قلت لها ولكنها أصرّت، أأقُلْ لَها لا؟ ريم ضاحكة:
- لا طبعًا، كُلي، كليه كله إذن. "مريم":
- سأترك لـ "كريم" منه. "ريم":
- كُلي أنت سيرفض أن يأكل من حلويات "سحر".

"مريم" تتوقف عن الاكل عند وصفها بحلويات "سحر" وتكررها بنفس النبرة التي نطقتها بها "ريم" متعجبة، "ريم" بتهكم:

- ألا تلاحظين كيف يعاملها؟

فتتجدد حيرة وخواطر "مريم" في رأسها مُجدَّدًا فتضع الطبق جانِبًا وذهبت رغبتها في مواصلة الأكل وتقولُ بنفس النبرة وهي متعجبة:

- - ألا تلاحظين؟! "ريم" بانفعال ودهشة:
- هل كُلّما أقولُ شيئًا تعيدين قوله بالدهشة تلك! ماذا جرى؟ ألا تعيشين معنا أم أن تصرفاته لا تلتفت انتباهك؟ "مريم":
- هل تعلمين -وتهِبُّ واقفةً في مكانها وكأنها تهرب من فتح كلام يفجر في رأسها الكثير من التساؤلات- أرجوكِ يا "ريم" لا أُريدُ الحديث في هذا ولا غيره.

وترفع الطبق وتدخل به باتجاه المطبخ وهي تهُزّ رأسها بضيق وتململ و"ريم" تتابعها بترقب.

في أول جمعة من الشهر ذهبنا لزيارة أمي وكان معي "كريم" و"ريم" وأنا وكما عادتها أمي جهزت طعام الغداء وجلستْ على رأس السفرة تتناول الطعام، كان شهيًا ومساخنًا كالعادة أيضًا، جلسنا نأكل ولم

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

نتحدث، تناول الطعام ولا أيّ حديث بيننا، لا أدري ما كان في إخوتي حتى أمي كانت لا ترفَع عينيها ولا رأسها إلى أيٍّ منا وهي تأكل حتى عندما حاول "كريم" أن ينهي تناول طعامه ويقوم ويغادر السفرة قالت له دونما أن ترفع رأسها أو تنظر له:

- لم تنهي طعامك بَعدَ، أكمل غداءك.

فجلس بالفعل وواصل الأكل بينما "ريم" كانت لا تتحدث، فقط تفتح فمها وتأكل وتمضغ وتبلع في صمت وأنا كنت آكل ورأسي مثقلة، شعرت بثمة شيء جرى في اللحظات التي ذهبت فيها لأُسلم على جدتي وأخوالي وعندما عدت إلى شقة ماما وجدتهم على تلك الحال، بَعدَ الغداء نزلنا جميعنا للجلوس وتناول الشاي مع جدتي وأخوالي في حديقة بيت جدي وظللنا نضحك، أمي عندما نزلت وجلست بينهم نست ما كان، كانت أمي متعلقة بإخوتها وأمها كان هذا يثير ضيق "ريم" وسخرية أبي، بينما "كريم" ذهب للعب الكرة مع أولاد أخوالي أقرانه في العمر، "كريم" يحب التواجد هناك قريب من أبناء أخوالي وقريب من أبناء أعمامي ولكنه يبتهج هناك في بيت جدي لأمي هم يحبوننا وهناك نجد راحة وترحيب حار بنا، كان أبي يظن أنّنا سنجيئ يومًا شاكين من معاملة غير لائقة من "أيهم" بَعدَ طلاقه هو وأمي، لا أفهم الكثير من تصرفات أبي ولا أُريدُ، أفضل ألا أتوقف عند كُلّ شيء رغم أنه يضايقني وأشعر أنّي ممتلئة بالإبر وبوخزها المستمر فيّ من الداخل، ولكن أفضل من أن أظل أناقش وأسأل وأعرف.

بنات خالي كن قريبات منّي منذ الطفولة، والآن نقضي في كُلّ مرة نزور أمي بوقت شيق وفي الإجازات؛ حيث نمكث هناك لفترة نلعب ونمرح ونخرج معًا نشتري ملابس ولعب وهدايا ونتناول الآيس

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"كريم" في المطاعم ونلتقط الصور ونقضي أجمل الأوقات معنا وعندما نعود يتفحصنا أبي كمن يتمنى لو أن نشكو أو يبدو علينا الضجر أو أن الوقت هناك كان غير مريح لنا، يود لو نشكو من شيء. طنط "سحر" كانت لا تهتم بمعرفة أيّ شيء، كانت تتركنا وتذهب إلى الداخل تنشغل بإعداد القهوة لأبي أو تتصنع الانشغال، فعرفنا عنها أنها لا تريد أن تسمع أيّ أخبار تخص أمي وهذا كان يرضينا بشدة منها ونحترمه فيها، وساد صمت للحظات، أبي يترقب؛ من منا سيبدأ بتقديم ما ينتظر ويرضى به ولكننا ظللنا صامتين وكان جليا علينا أنّنا قد قضينا الإجازة في مرح وقد فرحنا وسررنا بقضائها هناك ولمَا لمْ يجد ما سيقال انفعل على "كريم" وقال لِمَ جئت متأخرًا؟ متى ستكبر وتتصرف تصرفات الرجال؟ فاندهش "كريم" ولم يرد وظل ينظر لأبي مشدوها ينتظر منه أن يكشف ويقول ما يقصد، فقال بِنَبْرةٍ ساخرة وهو يتأمل "كريم" ووجهه النضر اللامع من الفرحة على إثر الإجازة هناك:

- كيف تأتي بأخواتك متأخرًا؟ لقد أصبحت الساعة التاسعة! ألا تخشى عليهن من الطريق؟ فقاطعه "كريم" وقال:

- نحن هنا منذ ما يقرب من ساعة، فنهره أبي وقال مؤكدًا:

- لقد وصلتم الساعة الثامنة والثلث، أيّ قرب التاسعة.

لمحت طنط "سحر" وهي تضع القهوة تتظاهر أنها لا تسمع ما قال أبي، كما أنه ارتبك عندما دخلتْ ولفتَ نظري أن أبي لا يعود مبكرًا إلى البيت، كيف وهو قد اتضح أنه هنا من الثامنة وأنّه وقت وصولنا كان بالداخل؟ أكان ينتظرنا قلقا؟! ولكن لِمَ كُلّ هذه الثورة على "كريم" والساعة الثامنة ليست بوقت متأخر؟ كان هذا دأب أبي في كُلّ مرة نذهب فيها ونطيل البقاء عند أمي، كان يتفحص وجوهنا

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وكان يضيق ببوادر أيّ ارتياح ينعكس على وجوهنا، أكان هذا لأن أمي تركته أم أنه اشتياق لنا وغيرة عن أن نجد الارتياح والإقامة الطيبة في مكان آخر غير بيته وبيتنا؟ لا أعرف، وجلست طنط "سحر" فأنهى أبي الحديث بسرعة وقال بنبرة حادة لـ "كريم":

- لا تتأخروا ثانية وإن كان ولابد العودة بيتوا وتعالوا في اليوم التالي بدل المجيء في وقت متأخر، تفضلوا.

فخرجنا خلف بعضنا في ارتباك وأنا لا أفهم لمَ كُلّ هذا، و"ريم" تهُزّ كتفيها بضيق، ما إن دخلنا وقصدت غرفتنا مباشرة، بينما أنا و"كريم" ظللنا ننظر لبعضنا البعض متسائلين وفي نفس اللحظة "كريم" وأنا قُلنا: وهل تأخرنا؟!

في عصر أحد الأيام في أو سط الشهر كانت بطني تؤلمني بشدة ولزمت فراشي بينما إخوتي قد خرجوا "ريم" إلى الكُلّية و"كريم" إلى المدرسة وبقيت أنا تغيب في هذا اليوم وظللت في سريري وكان الكسل مسيطر عليّ فنمت حتى أنّي كنت أقوم من النوم لأنام ولا شهية لي بالطعام وعندما عادت "ريم" من الكُلّية فوجئت بي نائمة فأيقظتني وعلى الفور سألتني: ما بك لِمَ لمْ تذهبي للمدرسة اليوم؟ فقلت لها من تحت الغطاء أصبت ببرد شديد ليلة أمس ومعدتي تؤلمني بشدة فاقترحت أن تقصد الصيدلية المجاورة للبيت وتجلب لي أيّ دواء فقلت لها أن تتركني لأنام، يوجد أدوية لتقلصات المعدة وقد تناولت منها وأصبحت أفضل ولكني أُريدُ أن أنام فبدلت ملابسها وخرجت من الغرفة وأطفأت النور، أحتاج إلى أن أتحدّث مع أحد، أيّ أحد باستثناء أختي، بل لا أُريدُ أحدًا، لا أوَدُّ الحديث مُطلقًا، وابتلعتُ ريقي وحاولت مواصلة النوم ولكن لم أستطع وأخذت أتقلب في مكاني، سمعت صوت "كريم" بالخارج يسأل "ريم" عن "ندى" ومدت

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

لو أستطيع إخباره ولكن ماذا سأقوُل لأخي؟ أنّي متعلقة بشاب وأحبه ولا أدري لمَ أصده بلا سبب وأتعامل معه برعونة مرة، وبفظاظة مرة أخرى، بينما هو يتقرب منّي ويلمح لي أنه يود لو يتعرف على أبي ويخطبني وأنني لا أدري ماذا أفعل وأنّي ظللت أتدلل وأترفع وأرحب فأصد إلى أن ملّ منّي وتركني وابتعد عنّي وأنا الآن أتحرق شوقًا إليه ونادمة على تصرفاتي معه وأتألم لابتعاده عنّي ماذا أقوُل؟ ماذا أقوُل؟

وتجهش "مريم" في البكاء وهي تكتم فمها بأطراف أصابعها ويهتز جسدها تحت الغطاء.

في الصباح قمت مبكرًا ولبست ملابسي وجهزت كتبي وتوجّهت إلى مدرستي وأنا أمر من أمَام باب الشقة الكبرى سمعت صوت طنط "سحر" مرتفعًا، كنت منفعلة واستغربت؛ لمَ على الصباح ماذا جرى؟ ولكن ما كان بي يكفي فتجاهلت كُلّ شيء وخرجت وأغلقت الباب جَيِّدًا خلفي وخرجت من الحديقة وأغلقت الباب بإحكام ووجدته مؤصد فعرفت أن أبي لم يستيقظ بَعدَ، قطعًا فمع من تتحدث طنط "سحر"؟ وأغلقت الباب وتجاهلت كُلّ هذا ومضيت في طريقي إلى المدرسة وطوال الطريق في الباص وودت لو لمحته يتجول قرب المدرسة كما كان يفعل وقد استعَدْتُ آخر حديث بيننا مرات وأنا أقوُل لمَ قلت هذا؟ كان الأفضل لي أن أقوُلَ له هذا بدلًا من هذا لمَ اندفع هكذا؟ لمَ أتصَرَّف؟ بتلك الطريقة ولكني اكتشفت أنه كان ينفعل من أهون سبب وأنّه كان يتراخى وكان أقلّ طموحا منّي كنت أحاول أن أجِد لنفسي عذرًا في الابتعاد عنه وأخذت أسترجع كُلّ مواقفنا معنا كنت أهدأ تارة وأخرى أغرق في نوبة من ألم وندم لِمَ فعلت وكان الأفضل أن أقول هذا وألا أقوُل هذا إلى أن توقف الباص أمَام بوابة

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

المدرسة ونزلت وانزلقت وسط زميلاتي أتجنب الحديث مع أيٍّ منهن أو إلقاء التحية أو أن ألقى إحدى صديقاتي فتستوقفني كالعادة للحديث فأجد نفسي لابد وأمَام أن أردّ التحية وأقطع شوط مراجعة حديثي مع نفسي فمشيت مبتعدة لا أنظر ولا أطل في الوجوه ومضيت متجهةً مباشرة إلى الفناء في انتظار طابور الصباح ووقفت إلى الجدّار مبتعدة عن كُلّ التجمعات بمفردي وددت لو يكون أمامي الآن ليشاركني الحديث بدلا عن نفسي هو نفسي لِمَ هو رافض الحديث إليّ مُجدّدًا لِمَ أطال في بعده عليّ هذه المرة هل هو يتعمد اختبار البعد عنّي وإيلامي وتعذيبي لِمَ يفعل هذا بي لقد حاولت إصلاح ما جرى وأن أُطيِّب خاطره وأعتذر له وأوضح له مقاصدي من وراء كُلّ رد قلته ولكنه لا يريد أن يعطيني فرصة جديدة هل هو يتعمد وكان ينوى البعد لم أره بتلك القسوة والفظاظة في التعامل معي من قبل أكان يود البعد ويسعى إليه وأخذني بردي الأخير! لقد تماديت في جرحه والسخرية منه وعدم أخذ مشاعره بجدية، كنت أمزح معه، كما أنّنا ما زلنا طلبة فكيف أرتبط وأنا أدرس؟ ثم هل كان بالفعل سيجيئ ويخطبني كم من صديقة وزميلة سمعت عن صدمتها بَعدَ تصديقها وعود كاذبة وعانوا من الخذلان أنا لن أخذل ولا أصدق الوعود وهو لا يناسبني أنه أرعن وغير طموح أنا لا أُريدُه ولا أتعجل الارتباط كما قلت له فليذهب لا أُريدُه لا أُريدُه.

تنتبه "مريم" في غمرة ثورتها على صوت الميكروفون وصوت يجرب فيه الحديث إيذانا لبدء عمل طابور الصباح وصوت همهمات الطالبات وهن يتأهبن للوقوف في صفوف وهن مازلن يتبادلن الحديث مع بعضهن البعض، ابتلعت "مريم" ريقها ورفعت رأسها بتحدٍ واندست وسط الطالبات وعينيها على المكان الّذي يقام فيه الطابور الخاص

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

بفضلها وهي تدفع برفق لتمْضِي للأمام وهي تنفض الأفكار عن رأسها وعينيها مفتوحة بتحدٍ ناظرة أمَامها والبنات تفسح لها غير منتبهات لها فكلهن يتأهلن وسط انشغالهن بالحديث همسًا لزميلاتهن إلى أن تستقر "مريم" وتقف وسط الطابور الطويل بين زميلات فصلها في انتباه واستنفار ويعاود الصوت لبدء الطابور وهو ينفخ في الميكروفون ويعلو الصوت وتتوقف همهمات الطالبات.

بعد يوم مليء بالجدية في المدرسة دورس وشرح وحديث مع زميلاتي قد خفت حالتي وصرت أفضل من أمس ومن بداية اليوم، جلستُ بَعدَ الغروب ربع ساعة في الحديقة بمفردي أتحدّث مع "ندى" في التليفون ضحكنا وتحدثنا لم أتحدّث معها في أيّ شيء، لقد أصبحت أهدأ فما من حاجة للحديث فيما يضايقني لقد دبرت أمره بنفسي وظللت أضحك معها ولمحت طنط "سحر" تقف خلف النافذة تطل عليّ فارتبكت وظننتها تراقبني فتظاهرت أنّي لم أرها حتى أن نبرة صوتي تغيرت وهذا ما تراءى لسمع "ندى" فسألتني هل تودين أن تغلقي تظن أن أبي جاء أو ثمة ضيوف قد أتوا إلى بيتنا ومن ثمة أحاول أن أنهي المكالمة فقلت لها لا أبدًا كاد التليفون يقع من يدي وأنا أستدير في جلستي وواصلنا حديثنا وأنا أضحك بصوت أقلّ ارتفاعا من ذي قبل وفي ذهني منظر وهيئة طنط "سحر" خلف النافذة بَعدَ دقائق أتى "كريم" وظهر قادما من بوابة البيت الكبيرة داخلا من البوابة عائدا من الخارج متجه مباشرة إلى البيت فلما رآني اتجه مباشرة باتجاهي وهو يضحك وجلس قبالتي صافحني بيده وربت على كتفي دونما أن يتحدث وأنا أتكلم في التليفون وجلس، وددت لو ينظر أمَامه مباشرة تجاه النافذة ويخبرني هل طنط "سحر" مازالت واقفة؟ أهي واقفة؟!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ولكنه كان يتعجل أن أُنهي المكالمة ومن تعابير وجهه ثمة ما يود إخباري به فأنهيت المكالمة وحاولت أن ألتفت أو أنظر بطرف عيني جانِبًا لأتحقق من وجود طنط "سحر" خلف النافذة كما هي أم أنها قد دخلت فسألت "كريم" كيف كان يومه فقال كان جيدا وأخبرني أنه يود إخباري بأمر ما فقلت له تعالى ندخل ونتحدث بالداخل فقد حل المساء والظلام ينسحب على أجواء الحديقة ودخلنا إلى الداخل وهو يتأبط ذراعي، رغبت لو أميل برأسي لأرى هل طنط "سحر" مازالت واقفة في مكانها خلف النافذة ولكنني لم أستطع!

دخلنا أنا و"كريم" وكان فكري مشغول لِمَ كانت واقفة وهي هل تحب أن تتنصت على مكالمات الآخرين؟! لم أخبر أحد بهذا وجلست أنا و"كريم" نتحدث كان يريد أن يستشيرني في أنه يفكر في إخبار أبي أنه سيقضي إجازة نصف العام عند ماما ليكون قريبًا من النادي الّذي يوشك على أن ينضم له للتدريب على لعبة كرة القدم الموالع بها وذلك ضمن فريق أكبر عرفه عليه مدربه ومدرس التربية الرياضية بالمدرسة فقلت له مهُّد مع أبي ونصحته أن يؤجل الحديث في هذا الموضوع إلى وقت آخر فأول الشهر غير مناسب لأبي لكثرة الالتزامات منها سداد مرتبات عمال المعرض وجلب شغل المعرض فاقتنع وقال أنه سيرجئ مفاتحة أبي في الموضوع إلى وقت آخر، وقام وتركني وقبل أن أدخل إلى غرفتي سمعت صوت طنط "سحر" تنادي فاحترت أرد أم أتظاهر بأني لم أسمع؟ وبالفعل دلفت إلى غرفتي مسرعة ولم أفتح النور بالغرفة فسمعت "كريم" يرد عليها من الخارج كانت تقول له أن يخبرنا بأن ندخل لتناول الغداء لقد تأخرنا وأن أبي لم يأتي بَعدَ، ما أن سمعتها تقول وأبي لم يأتي بَعدَ دارت أفكار لا أحبها ثانية في رأسي ولكن ربطت بين وقوفها في النافذة وتأخرنا في

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

تناول الغداء وعدم عودة أبي واستنتجت أنها كانت تنتظره وتتأكد من عودتنا ليتسنى لها فيما بَعدَ أن تنادي علينا ونتناول الغداء جميعنا معنا وبالفعل بعدما غسلت يدي وبدلت ملابسي توجّهت إلى السفرة وتناولنا الغداء جميعنا ماعدا أبي والّذي أخبرتنا طنط "سحر" أنه اتصل بها وأخبرها أنه مع عملاء أتوا فجأة فاصطحبهم لتناول الغداء بأحد المطاعم، أما نحن فتناولنا الغداء وخرجنا وتركناها ..

في المساء جاء أبي وقد جلب هدايا وكان معها عدد من علب كثيرة مزخرفة من الخارج وقد تعثرت بواحدة وهو يدخل بهم إلى الشقة الكبرى عرفنا هذا من "ريم" التي هبت خارجة على صوت سقوط إحداها أرضا والتي قامت برفع ما وقع وناولته إياها وأخذها منها ودخل ولما عادت أخبرتنا قائلة: أبي عاد محملًا بالهدايا، فضحكنا من طريقة قولها للجملة ولكنها لم تضحك، فاستغربت، بينما "كريم" تجاهل الأمر وظل صامتا يتحاشى أن يتعكر جو السهرة فهو يتجنب أن نجلس ثلاثتنا معًا أو بالأحرى وجود "ريم" والّذي ينتهي غالبا بخلاف كبير أو بشجار جديد فكان يتحين الانصراف والقيام وتركنا بين الحين والآخَر فاخترت ألا أسأل "ريم" ما بها حتى تركنا "كريم" بالفعل والّذي قام كالناجي من معركة ودخل باتجاه غرفته مباشرة.

اقتربت من "ريم" وسألتها ماذا جرى؟ أأغضبك شيء؟ ما بك؟

فقالت بضيق لِمَ يجلب لها الهدايا بَعدَ كُلّ شجار؟!

فتعجبت وقلت: بعد كُلّ شجار؟! .. فانفعلت عليّ! قائلة:

- أرجوك ليس هذا وقت طريقتك هذه، ليس بَعدَ كُلّ كلمة تكرريها متعجبة، أنا مخنوقة ولا قبل لي بالمناهدة.

ووضعت كفها على فمها وقالت سأسكت، فقلت لها مستفهمة لا أفهم، أفهميني يا ريما .. فتأملت وجهي بنفاد صبر وقالت

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

في أسف: لمَ يدللها بهذا الشكل! .. فقاطعتها قائلة: وهل كان ثمة شجار فيما بينهم؟! فقالت بنبرة قاطعة: نعم

وأردفت قائلة: وبعد كُلّ شجار يعود بالكثير من الهدايا لِمَ لا يتذكرنا نحن لِمَ باستمرار طلباتنا مؤجلة بينما هي لا! فابتلعت ريقي وهدأت أفكاري الملتهبة والقلقة والتي تعاود الظهور بداخلي بلا مناسبة ولا أمر استدعاء وقلت بِنَبْرةٍ هادئة بعدما علمت بما يغضب "ريم" أن أبي لا يجلب لها هي الأخرى هدية ولا يلبي لها ما تطلبه في حينه هذا فقط ما أثار وأغضب أختي أعتذر لنفسي لقد فهمت أنه لسبب آخر ولكنها وضحت لي فأردفت أمَام صمتي وأضافت ظنا منها أنّي أرغب في مزيد من الشرح

ريم: كيف سيتصرف معها إن أنجبت طفلًا مثلا؟ هل سيجلب لها وله لكي يرضيها؟ سيجعلها تعتاد التدليل وتقديم الصفح والهدايا لنيل الرضا!! كان كُلّ ما تقوله "ريم" يصدمني ويهزني من الداخل ولكنني فضلت أن أسمع وأنا أكتم ثورتي ولأتجنب اتهامها لي بعدم الفهم ولِمَ سكتت وهي تزفر بضيق وسخط وحنق قلت لها بِنَبْرةٍ مترددة:

مريم: وهل هم يتشاجرون كثيرا؟ فالتفت إلى "ريم" مستنكرة تشيح بذراعها في ضيق:

ريم: وهل أنت تقيمين في الشارع الخلفي ولا تعرفين؟!

فقلت لها وأنا مرتبكة مريم: لا أعرف

"ريم": والأصوات التي نسمعها ماذا عنها؟ ألم نسمعها كلنا ونحن نجلس جميعنا هنا معا؟!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فأجبت متعجبة حائرة بلى ولكن كنت أظنه حديث عادي أو فقاطعتني (ريم): حديث عادي كيف وهي توبخه في كُلّ مرة مع أي خطأ يبدر منه معها

وهل لا تنتبهين بصوت همهماته العالية من بعيد وهو يدافع أمامها عن نفسه

إن سحر تغيّر من أُمِّك وتخاف أن تعود إلى أبيك.

سمعت هذا وأنا مشدوهة ومندهشة تمامًا!

"ريم": متى ستكبرين؟ كُلّ هذا يتم هنا، وبكفها تصفع الجدّار الفاصل بين الشقة الكبرى وصالة شقتنا ثم تشير على رأسي بضيق قائلة

: أين هذا لقد سمعتِ، لم تربطي؟!

فحكيت رأسي ولم أخبرها أنّي كنت أتجاهل وأوفت كُلّ محاولة لمناقشة ما يجري من حولي بيني وبين عقلي.. لا أُريدُ لا أُريدُ أن أعرف

وظلّت تتأملني بضيق وهي تفكّر وانفجرت فيّ قائلةً:

- ولكن لمَ لا يفهم أنها تحتاجه؟ لِمَ يدللها ويسترضيها؟ هي لم تحلم بأن تكون هنا، هذه المعدمة تستأثّر بالكثير وأخاف أن تدفعه وتطلب منه أن يكتب لها شيئًا. وترفع "ريم" كفيها إلى السماء وتقولُ: يا رب لا تجلب لنا كلبا أو كلبة يشاركنا في ميراثنا وفيما عندنا.

شعرت فَجْأةً أن مسمارًا قد ثقب قشرة رأسي ولو أنّي لم أكُن جالسة لأوشكت على الدوار والسقوط. كيف تفكر هكذا وكيف دار في رأسها كُلّ هذا؟ وما هذا الّذي تقول؟

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ظللت مشدوهة وفاهي فاغر أُنصت لِمَ تقوله "ريم" وأنا غير مصدقة، بينما هي تواصل حديثها وهي ثائرة وغاضبة وقد خرج "كريم" من غرفته على صوتها قائلا وهو يقف مكانه قابلتنا:

- كان يجب أن تتوقعي كُلّ هذا من يوم أن أتى بها إلى هنا، يوم أن كنت تتساءَلين ما هو شكلها؟!

فارتبكت "ريم" ولم تلتفت له أو تَرُد، كان رده مفاجئا ومنطقيا فلديه بُعدَ نظر، بهذه اللحظة أدركتُ لمَ كان "كريم" نافد الصبر يومها وتشاجر مع "ريم" وكان يرد عليها بغضب عميق وفي استياء بالغ.

فرضت علينا لحظة صمت وجميعنا ينظر في وجه الآخَر ولا نجد ردًا.

سيطر علينا في لَحظةٍ واحدة شعور واحد هو الخوف على أنفُسَنَا من القادم، وحدتنا لحظة إثر شعور واحد، ماذا سنفعل؟

ريم قالت:

- كان سيتزوجها أو يتزوج غيرها، كان سيتزوج على أيّ حال.
- ومنها أو من غيرها كان سينجب. "كريم" قالها.

تتلقف "ريم" كلمته وهي تنتفض في مكانها:

ريم: أرجوك يا "كريم" أرجوك

كريم: لا تغضبي أو تقلقي، هو يفعل ما يريد.

ريم: ولكنها ليس لها قِبَل بالحمل والإنجاب، فابنها أكبر منّي أنا، فكيف ستنجب هذه؟ قالتها "ريم" مقاطعة.

كريم: اعترفتِ أخيرًا أنك كبيرة! قالها "كريم" مداعبًا.

فضحكتُ أنا بينما "ريم" تجاهلت ما قَال، وضمنيا قالت وهي تواصل كلامها في نفس السياق:

ريم: صعب أن تخلف، كبرت. فيقاطعها "كريم" قائلا:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

كريم: كما قُلتِ؛ هي خائفة وقلقة من أن تعود أمي؛ فكيف ستتصرف هي حينها! "ريم" بحزم:

ريم: أقنع أُمَّك أن تعود؛ فخسائرنا تتضاعف بسببها.

التفتُّ إلى "ريم" مندهشة فتجاهلتني تمامًا وخصَّت "كريم" بقولها وأعادت قولها بنفس النبرة الجادّة:

ريم: قُلْ لَها؛ حدّثها في الأمر، هي تسمع لك وتحب الحديث معَك وتحترم رأيك وطريقة تفكيرك، حدّثها في أمر العودة لتخرج هذه من هنا.

أنا لم أستوعِب كُلّ ما أسمع، ظللت صامتة لا أنطق ومر الوقت ثقيلا وظلت "ريم" تعيد وتكرر ما تقول، كانت منفعلة بشدة ومستاءة وتتحدث بصوت مرتفع وكأنها لا تخشى أن يسمعها أبي أو يدخل على صوتها. "كريم" كان واقِفًا مكانه لا يردُ عليها، لا أدري لمَ ظل يسمع ما تقوله، حتى لم يستوقفه ما قَالته من سخرية واتهامات لأمي بالأنانية والجبن مُجدَّدًا، ظلَّ يُنصت لها، كانت ثورَتِي اندلعت بداخلي من جديد، لم أتمكن هذه المرة من محاصرتها وإخمادها، كانت تشتعل وتتفرع وكان صوت وصراخ نبرات صوت "ريم" مُزعج ومثير للتوتر أكثَر وسكتت فَجْأةً وهي تقول:

- تصرفوا وإلا سأكلمها أنا.

نظرتُ لـ"كريم" فوجدته لا يرد، لم يعقب، ومعنى أن تكلمها "ريم" في الأمر مُجدَّدًا بنفسها أن مشاجرة حامية مع أمي يتخللها زجر وسخط على "ريم" من جانب أمي ردًا على تجاوزاتها وسوء أدبها معها، ولكنني سكتُّ أنا الأخرى، ليس لِمَ رمت إليه "ريم" ولكن عجزتُ عن أن أتصَرَّف أو أحدد ما كان يجب أن يقال مع اندلاع ثورة وبركان أفكاري الّذي أخذ يُلقي بحمم الخواطر المزعجة في عقلي وتناث

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

لهيبه في صدري فسكتُّ وتلاقت عيوننا من جديد وقد عزمت "ريم" على ما نوت إن لم يخاطبها أحدنا، فالتفتتْ الأنظَار ناحيتي، لقد اتفقا ضمنيا أن مهمة الحديث معي أمي بهذا الخصوص مهمتي أنا وعليّ إخبارها. كانت عيون "ريم" و"كريم" تقول هذا، فانتحيت برأسي أرضًا متجنبةً النظر إليهم وتنهدت بعمق وزفرت بنفاد صبر هبت على إثره "ريم" ودخلت غرفتنا وأغلقتْ الباب خلفها بضيق وغضب، بينما "كريم" دخل إلى غرفته وبقيتُ أنا بمفردي لا أدري ماذا أفعل!

كان الوقتُ ثقيلا، لا أنا أستطيع التراجع عن تلك المهمة ولا إسكات ثورَتِي الداخلية، نظرتُ إلى حيث ذهب "كريم" أوَدُّ لو لم يتركني ويتحدث معي في الأمر ولكنه دخل غرفته، وددتُ أن أدخل إلى "ريم" أو اصِل الحديث معها أو أجِد ثغرة من خلال انفعالها المحتدم فأهربُ من المسؤولية في إخبار أمي ولكني كيف؟!

في صبيحة يوم الجمعة أو صلني إلى هناك عم "مسعود" السائق بسيارة أبي وعاد هو وهو يلوِّح لخالي الّذي كان يقف في الدور العلوى للبيت فتجنبتُ أن أنظر باتجاهه ونزلتُ ببطء من السيارة متجهةً مباشرةً إلى البوابة الموارية قليلًا، ومضيت أهوي بقدمي على أو راق الشجر المتساقطة على أرضية الحديقة ودخلت باتجاه الجهة اليسرى من الحديقة لبقية البيت الّذي يرتفع عن القديم بعدة طوابق تتوسطهم الحديقة اعتليت درجات السلم ورأسي ثقيل وكأني أخشى هذا اليوم من بدايته وعلى صدري شيء ثقيل أتنقل به وأنا أجتاز درجات السلم وصولا إلى شقة أمي قمت برن الجرس فتحت أمي قبلتني دخلت وضعت حقيبة يدي الصغرى وانحنيت وهي تحدثني لأخلع حذائي متعثرة في فك الاربطة وأمي تحدثني بعباراتها التي أحفظها جَيِّدًا "ريم" و"كريم" لم يأتوا معَكَ؟! هل

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فطرتي؟! وحشتني؟! كيف إخوتك؟! تحشرج صوتي في بلعومي وقلت بَعدَ محاولة لدفعه للخروج جئت بمفردي، لا يا ماما لقد فطرت فأعادتْ سؤالها وهنا كنت جلست بجوارها ملتصقة بي على الكنبة كيف إخوتك ؟

"مريم": إنهم بخير يا ماما، وربتت على كتفي وهي تكرر وتلح في أن تذهب وتحضر لي إفطارا! فأخبرتها أنّي بالفعل قد تناولت إفطاري وتأملت وجهي بتفحص وابتسمت بطمأنينة، خيرًا لم ينعكس توتري على وجهي، يبدو أن توتري يجعل ويحول وجنتي للون الزهري وهذا ما أوصل لأمي أنّي بخير، ربما! ولحقت بها على المطبخ وهي تعد القهوة لها والشوكولاتة الساخنة لي وقد أبدلت ملابسي فالتفت على إثر إحساسها بأني واقفة قُبَالَةَ المطبخ من خلفها بينما هي تستدير وتعد القهوة فالتفتت مبتسمة ولاحظت ارتدائي بيجامة "ريم" فابتسمت وهي تقول بنطالها طويل عليك! فابتسمت أنا فطولي أقلّ من "ريم" وكان هذا يروق لها لأنه يمنعني من ارتداء ملابسها وسكتُّ، فاقتربت أمي منّي وهي تتأمل البيجامة وتضبط أزرارها بلمس يدها الحنون الدافئ وإصبعها الرقيق ناعم الملمس، بطرفه الزهري، وهي تضبط ياقة البجامة بجانب أذني اليسرى قائلة:

- وأنتم صغار لم يكن يرهقني في اختيار ملابسكم سوى أن الأكمام والبنطلونات كانت قصيرة على "ريم". كان شكل "ريم" في البيجامات القصيرة من الأكمام أكثَر ما يفجر ضحكنا، كانت حفلة لقياس الملابس، أنت كانت الملابس طويلة من الأكمام والبنطالونات أيضا، بينما "ريم" العكس، فكنت أضمن ملابسك، وهي أحتار في ملابسها، - فقاطعتها ضاحكة:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- ولكن كان يرضيها هذه الفروق في الطول حتى لا أرتدي ملابسها.
فضحكت أمي بشدة من عمق قلبها وقالت وهي تستذكر:
- ذات مرة كانت ملابس العيد على مقاسها ولكن اللون لا يعجبها فتركناها لك، وهي تذمرت عليها فأصبحت لك فاضطرت هي أن تقبلها وكانت مستاءة ومنفعلة، لم يجعلها ترتديها أن أصدقائها كانوا قد مروا عليها ليخرجوا معنا في العيد للفسحة فدخلت أنا أقدم لهم طبق الكعك والبيتي فور والعصير والشوكولاتة كنت أقدم شيئًا وأدخل ثانية، والبنات تسألني أين "ريم" لِمَ تأخرت؟ هل هي لن تخرج؟ وأنا لا أجِد ردا فكنت أقوُل لهم ثانية واحدة هي خارجة لكم فقطاعتها:
- كانت تحت الغطاء تعاقبنا وعندما أخبرتها أن أصدقائها في الصالون قامت واقفة على السرير وظلت تركل الأرض برجلها، كادت تسقط أرضًا وهي تركل السرير وتتقافز غضَبًا عليه، فلما قامت ولم تجرح وجدت أنه لابد وأن تلبس ملابس العيد، وخرجت عليهم وقتها، أنت دخلتِ يا أمّي ولم أراكِ إلا بعدما خرجوا.
أمي تضحك مقهقهة، ضحكتها عذبة ومجلجلة وتشابكت أيدينا ونحن نضحك، كانت القهوة قد فارت وأطفأت النار فالتفتتْ أمي وهي ما زالت تتمايل وهي تضحك من أعماقها وأغلقت الغاز ورفعت القهوة على رخامة المطبخ وهي تضحك، فقامت بصب الماء المغلي على الكاكاو والسكر وقمت أنا بالتقليب وهي أفرغت القهوة في الفنجان ووضعت الشكولاتة والقهوة على الصينية واتجهنا إلى الريسبشن لنجلس، وقبل أن أضع الصينية على الطرابيزة أمَامنا قلت لأمي في لَحظةِ حماسة نادرة:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- ماما. فانتبهت لي وهي تنظر متأملة وجهي مبتسمة وهي تومئ لأتحدّث فقلت مباشرة: لِمَ لا ترجعي لبابا؟!

ابتلعت ريقها ورفعت فنجان القهوة إلى فمها وقالت:

- لا تتحدثي ثانية في هذا الأمر، اشربي الشوكولاتة.

وقامت بتشغيل التليفزيون وهي ترشف من القهوة في هدوء، لا أدري ماذا أفعل فسكتُّ ورفعتُ الكوب وشربتُ الشوكولاتة، ولأني كنت أبتلع كُلّ رشفة بصعوبة وجهد وجدت أمي تهبُّ واقفة لتفتح شباك الغرفة المطلة على الحديقة وتناهى إلى سمعي تلك العصافير التي تمرح بأعداد كبيرة على الشجرة العتيقة القريبة من النافذة، واندفعت حزمة كبيرة من أشعة الشمس إلى جانب من الريسبشن فوجدتُها فرصة لأبتلع ريقي وأتنفس بعمق لتنتظم دقات قلبي ويخف توتري، وبالفعل وقد تأخرت ماما في الداخل مع أنها كانت تفتح النافذة فقط! قضينا يومنا نتحدث ونعد الطعام معًا ونزلنا إلى الحديقة لنجلس مع جدتي وخالي الأكبر ولم أجِد أيّا من أبناء أخوالي متواجدين فصعدت إلى أعلى ونمت ساعتين - فقد كنت مرهقة - بينما أمي ظلت معهم حتى المساء، وشاهدنا معًا فيلِمَ أجنبيا من نوعية أفلام الخيال العلمي بناءً على رغبتي رغم أن نوعية تلك الأفلام لا تروق كثيرًا لأمي ولكنه حقق فرصة لتصفية الأجواء وتناسي ما حدث في الصباح، استمتعنا بمشاهدة الفيلم وذهبت أمي لتنام في غرفتها وفضلت أنا السهر، كنت أوَدُّ أن أختلي بنفسي ولكن يبدو أن النوم جاءني بغتة فلم أنتبه على صوت أمي ويدها وهي تهزني برفق لتدخلني إلى غرفتي لمواصلة النوم في الداخل، ومع اقتراب الغروب بالضبط كنت أغلق نافذة غرفة نومنا التي تتركها

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"ريم" كالعادة مفتوحة وقمت بتبديل ملابسي وتنفستُ الصعداء أنّي لم ألقَ وجه "ريم" فور عودتي.

نشب الخلاف مُجدَّدًا ولكني عزمت على ألا أبدي أيّ رأي وقررت أن أنسحب من أيّ استعداد لأي تحرك لمفاتحة ماما في الموضوع مرة أخرى، ومضى الأمر بسلام، لم تسألني "ريم" ماذا فعلتُ مع أمي وبماذا أخبرتني، حتى أنها كانت هادئة ولم تفتح الموضوع هذا معي فوجدتها فرصة لطيِّه، ولكن هذا الأُسبوع كان أبي يعاملنا جميعًا معاملة شديدة ويعنف "كريم" حتى أنه كاد أن يصفعه أمَام اصدقائه -هكذا أخبرتني "ريم"- بينما "كريم" لم يقل لي أيّ شيء، لقد كنت منشغلة بالمذاكرة وهو الشيء الّذي أطبقه حرفيا بتوصية من أمي "انتبهي لنفسك ولمذاكراتك"، حتى أنني بعدما عدت من عندها لم أمكثُ أمَام التليفزيون إلا ساعتين مدة عرض المسلسل بالفواصل الإعلانية! ومن بعدها مباشرة وللواحدة صباح اليوم التالي وأنا أُذاكر.

في عصر اليوم وبعد تناول الغداء همستُ لـ "ريم" متسائلة: أين كان أبي وطنط "سحر"؟ فقد كثرت خروجاتهما معًا خلال الأُسبوعين الأخيرين، فالتفتتْ إليَّ "ريم" ولم ترُد مما زاد من استغرابي وتوقعت أمرا قد حدث وفاتتني معرفته، فنظرت لها أستنطقها؛ فاقتربت بوجهها منّي تتأملني بعين عاتبة:

- لا تسأليني، لن أجيبك على شيء، ما تودين معرفته لا تسأليني أنا عنه هل فهمتِ؟

قالت هذا بِنَبْرةٍ هادئة فتأملتها بدهشة ولم أنطق ولكن تأثّرت من تعمدها عدم إخباري، إن هناك ثمة ما يجري ولا أعرفه فأخذتها الشفقة عليَّ وقالت لائمة:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- هل أخبرتِني عما دار بينك وبين أُمّك عندما كنت عندها الأُسبوع الفائت والّذي قبله؟! وبخصوص ما قُلت لك عليه؟!

ارتبكتُ ولم أرد، فعلى صوتها بِنَبْرةٍ غاضبة قائلة:

- أنا أردها لكِ الآن ولن أخبرك بشيء ولن أطلب منك فقد قام به غيرك.

فالتفتُّ بكلي ناحيتها، وكانت تتوقع صدى لكلامها فيّ فضحكت هازئة، فأمسكت بذراعيها وفي إلحاح سألتها بفضول:

-قام به غيري؟ أتقصدين أن ماما وبابا سيعودان لبعضهما؟!

فلم تَرُد "ريم" وثبتتْ على ثنية رقبتها باتجاهي وهي تميل برأسها ناحيتي، تنصت لِمَا أقوُل وهي تسخر منّي كعادتها، لكنّي كنت أوَدُّ أن أعرفَ وأطَّلِعَ على كُلّ ما يجري من حولي، "ريم" دائمًا تعلم كُلّ ما يجري، وأحيانًا قبل أن يجري، فابتلعتُ ريقي بغصّة لأني كالمغيبة وسط بحر أمواجه متلاطمة فاعتدلتُ في مكاني وأنا مشفقة على نفسي وتوقفتُ عن الحديث تمامًا، وهي لم تَرُد عليَّ وهبتْ من مكانها وتركتني، ظننتها تعاقبني، أخذتُ أحدث نفسي غارقة وسط فضولي والتساؤلات، وجدتها تتجه ناحية المطبخ والتفتت وسألتني:

- أأُعدُّ لك شيئًا معي؟

فهززت رأسي موافقة وعيناي مليئة بالشفقة والتأثّر.

نمتُ ليلتي وأنا أحاول صدَّ البكاء عن عيوني ومنع الدموع من أن تُذرف، كنت مختنقة بالضيق والبكاء، تظاهرت بالنوم، لم تخبرني "ريم" بأيّ شيء فتأكدت أن ثمة ما حدث ويحدث ولا تريد إخباري به لم أطلب منها ثانية أن تخبرني بما قد حدث وعزمت على ألا أسألها وتركتها تحتفظ بما تعرف، ولكنني كنت مستاءة للغاية منها ومن نفسي ومن كُلّ ما حولي.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

مَرَّ ثلاثة أيام لا أُريدُ أن أتحدّث إلى أيٍّ منهم، كُلّ من تقع عليه عيني في هذا البيت يجعلني أشعر بالاستياء، استغرقت في المذاكرة ومتابعة الدروس وقللت من حديثي مع الجميع، أتناول طعامي وأعود إلى مكتبي، حتى الحديقة لم أتوجّه إليها.

في المساء كان "كريم" و"ريم" يجلسان معًا بالخارج، أسمع صدى حديثهما، لم أهتم وظللت في غرفتي منكبة على دروسي، أطالا الحديث على خلاف ما يحدث بينهما، كان مستوى أصواتهما شبه ثابت، لا ثمة شجار أو اختلاف أو انفعال على عكس ما هو معتاد!

لا يهمني.

في الصباح أيقظني رنين المنبه، رفعت الغطاء ولم أقترب من مفتاح النور حتى لا تنتبه "ريم" فتتذمر وتُسمعني سيلًا من تعليقاتها المزعجة، كما أنني لا أُريدُ سماع صوتها ولا الحديث معها فخرجت من الغرفة، كان المكان مازال مضاءً بأكمله، فهي لا تهتم بإطفاء مصابيح الإضاءة باستثناء واحدٍ في آخر الليل كما هو معتاد، وتوجّهت مباشرة إلى الحمام وأمَام الحوض شعرت برغبة في البكاء، لِمَ؟! لا أدري! ولكنني تغلبت عليها فغسلت أسناني ووجهي وجففته بعنف كأنّي أنفس فيه ما بداخلي! لقد آذيتُ بشرتي وابتدأتُ يومي بضيق وخواطر مخنوقة، توجهت للمطبخ فأخرجت زجاجة اللبن من الثلاجة وأخذت منها مقدار كوب ووضعته في إناء على النار والتقطت كوبًا من مكانه وقمت بغسله بالماء وأيْضًا الملعقة، ووضعت به ملعقتين من السكر وثلاث ملاعق من الكاكاو وقمتُ بالتقليب، التفتُّ على صوت التصاق اللبن بحواف الإناء على إثر الحرارة المنبعثة من النار، أغلقتُ رز الإشعال وسكبتُ اللبن في الكوب ورفعتُ طبقًا صغيرًا وضعته أسفَل الكوب وجذبتُ صينيةً مزخرفةً وضعتُ عليها الكوب

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وسرتُ إلى الصالة، وضعت الصينية على الطرابيزةِ، وجلستُ أمَامها أنظر في الفراغ لثانية ثم أخذتُ نفسًا عميقًا ثم حملتُ الكوب وأخذتُ أشرب منه ببطء لأهدأ قليلا من الداخل، كان بعض ما فعلت أحد طقوس أمي، كنتُ أراها تفعل هذا، غير أنني الآن في الصباح الباكر وهي كانت تقوم بذلك عند الغروب، بعد أن فرغت من احتساء الكاكاو بالحليب وضعته على الصينية وتوجّهت على الفور إلى غرفة النوم وقبل أن أدلف إلى الغرفة تناهى إلى سمعي صوت أبي منفعلًا مرتفعًا واضحًا، وكان صوت طنط "سحر" عالِيًا لأول مرة هي الأخرى، دخلتُ بكل هدوء عن عمد مباشرة إلى الغرفة وأغلقتُ الباب وفتحت مصباح النور ولم أهتم لأن تنتبه "ريم" وتستيقظ، فهي الأخرى لديها كليتها ولكن لا يهمني أو يعنيني، كما لا يهمني أو يعنيني ماذا يحدث بالخارج، فتحتُ درفة الدولاب وأخرجتُ ملابس المدرسة وارتديتُها وقمتُ بوضع بيجامة نومي على الشماعة ومشطت شعري ورفعت حقيبتي وأشيائي، وفي يدي جوربي، تراجعتُ ثانية وملت إلى سريري ورفعت قدميّ وأنا أُحكم ارتداءه، وخرجت من الغرفة ولم أغلق النور، وعلى عجالة فتحتُ درج المكتبة وأخذتُ بعض النقود والتفتُّ إلى الجزامة وأخرجت حذائي ولبسته وأنا أحاول صمّ أذني عما يتردد من صدى أصوات في المكان على مقربة منّي، فبيننا جدارٌ يفصلُ بيننا وباب سأفتحه الآن، وخرجت مباشرة متجهةً إلى الباب الكبير، لم ألتفتْ نحو باب الشقة الكبرى عن يساري ومضيت إلى الحديقة وفتحت الباب الخارجي وخرجت وطوال الطريق أطرد كُلّ تساؤل حول ما يحدث مكررة لنفسي "لا أُريدُ أن أعرف شيئًا"، باستثناء شيءٍ آخر أجبرني على التفتيش في سجلات المكالمات لعلّي أجِده فلم أجِده، وختمت؛ ثمة ما من شأنه تعكير يومه، واستمريتُ في طرد

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

كُلّ خاطر يجول برأسي وأخذت أنشغل بمشاهدة كُلّ ما تقع عليه عيني عبر زجاج نوافذ الباص في الطريق، ومرّ اليوم.

بينما أقلب صفحات الكتاب بَعدَ تململ من مرور ساعة كاملة لم أتحرك فيها من مكاني أو يزيد سمعت أبي يعنف "ريم" خارج الغرفة فتسمرتُ في مكاني ولم أبرحه، كما لم أسمع ما يقُولْ لَها، فقد كان صوته ليس من الارتفاع لأسمعه، وكان صوتها وهي تتحدث وتَرُد متقطعًا وهو يقاطعها ويراجعها، هكذا بدا الحديث الدائر بينهما خارج الغرفة ولم أسمح لنفسي أن أسأل، فقط نعمت بتوفير مساحة من السكينة لذاتي بعيدًا عما يحدث، هما لا يخبرونني وأنا لا أُريدُ أيْضًا ولا ينقصني أن أعرف، لا يضيف لي كما أنّي قد ارتحت من لعب دور حمامة السلام بين "كريم" و"ريم" والصوت المحايد بينما تنتقده "ريم"، هكذا أنا في سلام وبحياد عن المنغصات من حولي، هكذا قُلت لنفسي، بَعدَ دقائق لم يتسنّ لي سماع صوتِ أبي أو "ريم" فقمتُ من مكاني وتجولتُ في الغرفة أُليّن مفاصل قدمي، فضلا عن أن أخرج منها، ثم عدت ثانية لاستئناف المذاكرة فوجدت "ريم" تفتح الباب وتدفعه بقوة، تجنبتُ النظر ناحيتها وهُيئَ لي أنها تنظر لي بلوم وغضب فلم أُعِرها أيّ انتباه وظللت أنظر في الكتاب، توقفت عن قراءة الفقرة ولكن ثبتُ نظري عليها في منتصف الكتاب هربًا من النظر ناحيتها، زفرتْ بهدوء وثقل وكانت تبدلُ ملابسها وهي تتململ كاتمةً ضيقها، هكذا شعرت، لم يخالجني الفضول لأرفع وجهي ولم أهتم أن أسألها ما بك لا أردّ لها ما تفعل، ولكن بالفعل ليس بي رغبة لمعرفة جديد ما يحدث فخرجت من الغرفة بهدوء ولم ألتلفت ناحيتها واتجهتُ مباشرة للمطبخ فقد شعرت بالجوع.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

لم أنتبه لِمَ لمْ ينادي أبي لنتناول الغداء معه أو تأتي طنط "سحر"؟ وقفت في المطبخ وتناولت ثمرة تفاح وإصبعين من الموز وأعددت كوب نسكافيه وأدرت التليفزيون وجلستُ أقلب في القنوات يملأني الشعور بالاكتفاء والسلام، لا إزعاج ولا فضول ولا جِدال، فكل شيء له مردود، وأنا فضّلت ما أنا فيه الآن، القيام بأولوياتي وأصد أكثَر من رغبة كانت تتسبب في تجدد تلك الثورة من الخواطر بداخلي، حقًا لا أعرف شيء مما يجري حولي مكتفية بشعوري بالسكينة والسلام بفضل ما أردته وطبقته مؤخرا، مَرَّ "كريم" من أمامي لم يتحدث إليَّ وأنا لم أشعره أنّي قد رأيته، فوجدته يتراجع بعدما قصد غرفته مباشرة، لم أهتم، جلس قبالتي فالتفتُّ إليه وقلت له بهدوء وفي سرعة خاطفة:

- هل هناك شيء؟ -فخرج السؤال الذي كان اعتياديا للاطمئنان- أكنت في الدرس رجعت الآن؟

فنظر لي معاتبا ولم يرد. ضعفتُ أمَامه ولم ألتزم بما قطعته على نفسي فسألته:

- هل تذاكر؟

فضحك ساخرا وهو يتأملني بلوم وبدا متأثّرا فقلقتُ وتلعثمتُ وأنا أحاول شرح صمتي الطويل وتهربي من جلساتهم ولكن لم تعطني "ريم" الفرصة؛ فقد جاء صوتها من خلفي موجهة كلامها لـ "كريم":

- أتركها يا "كريم". فنظر "كريم" أعلى رأسي باتجاه "ريم" وقال لي:

- "مريم"، بابا أخذ "ريم" معه وذهب إلى ماما، قاطعته "ريم" محتدة وهي مرتبكة بصوت مضطرب صارخة:

- "كريم"! قلت لك اتركها. لا تخبرها بأيّ شيء، هي مثلها تمامًا، وأنت كنت تغضب منّي عندما أقول هذا.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

التفتُّ لها مستفهمة فلم تنظر لي وظلت توجّه كلامها إلى "كريم"، كان وجهها محتقنًا بالغضب وعلى وشك البكاء، صوتها كان مختنقًا بالبكاء، فقمتُ من مكاني واقتربتُ منها وأجلستُها بجواري، استسلمتْ ليدي وجلست، تنهدَّ "كريم" وهو يتجنب النظر لـ"ريم" التي ظلت جامدة في مكانها لا تتكلم، كنت في غاية الحرج من إخوتي ولكني ظننت أن هذا سيريحهم، كما وقد وفرَّ لي ذلك قدرًا من السلام مع نفسي والارتياح، تجنبتُ النظر إليهما وقلت مسترسلة:

- لمستُ منها -ولم أشر ناحيتها- أنها لا تريد الحديث معي وأنت لم تخبرني بشجار أبي معك المستمر مؤخرًا، هي أخبرتني وأنت لم تخبرني، وتناهى لسمعي تعنيفه لك وأيضًا لم تخبرني، واليوم منذ قليل كان أبي هنا وكان...

فقاطعتني بالتفاتة متشنجة وهي غاضبة مني فتلعثمت من نظراتها اللائمة فالتفتُّ لـ "كريم" وقلت بَعدَ تنهيدة قصيرة:

- أنتما اخترتما أن تخفيا عني كُلّ ما يحدث هنا.

لم يرد عليّ "كريم" ولا "ريم" فالتفتُّ ناحيتها فوجدتها تبكي بالفعل، شعرتُ بالشفقة عليها والحرج من نفسي، آلمني ذرفها الدموع في صمت، لم أعهد هذا منها، لا أبالغ؛ شعرت بأنّي السبب في معاناة كُلّ شخص في الكوكب وأن صمتي فجَّر براكين الغضب والصخب والصراخ والأنين من حولي، كُلّ هذا شعرت به للدرجة التي لم أقوى فيها على الكلام، ومرت لحظة كانت كساعة أو سنة! ماذا فعلت أنا؟ فبكتْ، وبعدما أجهشتْ بالبكاء تحدثت "ريم" فقمتُ من مكاني وأنا أنظر إليه بغضبٍ بالغ، لقد تراءى لخاطري مشاهد مشابهة ولكن من أبي لأمي كما هو الآن من "ريم"، لم تصدقني عندما قلت لها بكل يقين أنها تقلده، وددتُ لو أقولها لها، الآن اختنقت وشعرت أن أنفاسي

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ستتوقف، لم أرد بالفعل سماع أيّ شيء، تركتهما وجريتُ إلى الحمام وفتحت الماء فاندفع بقوة من الصنبور ليغطي على صوت بكائي، وقفتُ في زاوية الحمام أبكي، في تلك اللحظة تحديدًا أدركتُ شيئًا هاما الآن فأشفقت عليها وعلى نفسي، لمَ نتردد في الجزم بأحقية غيرنا في وصف ما يؤلمهم وأنهم محقون فيما يرون حتى نمر بمثلها؟ ربما هذا ما يعمق ذلك الشعور فينا، حينها كانت كُلّما مرَّت بهذا وأراها تقفُ أمَامه صامتةً ووجها مضطربٌ وعيونها حائرة مثقلة في نظراتها كنت أنشغل بما أفعل، أتوقف للحظات أمام ما يحدث ثم أهرول إلى ألعابي، كنت موقنة أنها تتألم بشدة وهذا أستوعِبه ولكن للآن لا أستوعِب الابتسامة اللزجة على شفاه أبي وهو يتأملها وهي في هذه الحالة! هل سأكون في مكانه يوما لأُدركَ معناها؟ لا أظن أنّي أحتمل أن يكون أمامي أحد يئن من الداخل كما أشعر الآن.

أوقفتُ مهزلة دموعي وشلال الماء الّذي بلّلَ من شدته ملابسي فخرجت مباشرة متجهة لغرفتي وأنا أخفي وجهي وأنا أجففه برفق متجاهلةً وجودهما، مررتُ بهما دون أن ألتفت أو أتوقف أمَام نداء "كريم":

- "مريم"؟ يا "مريم"؟!

دخلتُ مباشرة ولم أغلق الباب خلفي، توجّهت إلى دولابي لأبدل ملابسي بأخرى جافة، فـ"كريم" لن يدخل خلفي إلا إن طرق الباب، والدولاب في عمق الغرفة إلى اليمين والباب أيْضًا، وأخرجت فستانًا مزركشًا ووضعت الملابس المبللة في سبت الغسيل بجوار الباب فلمحتني "ريم" فنادت "كريم" ودخلا معًا، تجاهلتهما وجلست على سريري ومددت جسدي وأخذت كتابًا، تظاهرت بأنّي سأذاكر وفتحته وظللتُ أنظر فيه، مالت عليّ وأخذت الكتاب من بين يدي بدون كلام

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وقربت الغلاف من وجهي، اتضح لي أنه كتابها هي وليس كتابي، لم أنتبه فضحك "كريم" وأخذه من بين يدي "ريم" والتي جلست قبالتي على طرف سريرها، بينما "كريم" جذب كرسيَّ مكتبِ "ريم" وجلس إلى الجهة الأخرى، لدى طرف سريرها ليصبحَ وجهُه قبالتي أنا وهي، وأخذ ينظر لي ولها وهو يهزُّ رأسَه وهو يزفر في تعجب وفي دعابة وهو يمسك بالكتاب مني وكأنه يقرأ منه قائلا:

- صبٌّ أبوكِ جام غضبه.

فقاطعناه ضاحكين أنا و"ريم" على طريقة الإلقاء التي يتقمّصها ويتكلم بها، فواصل وسط ضحكاتنا:

- صبّه صبًّا...

وشرعَ يتحدث بتلقائية متأثّرًا وساخرًا؛ وما ذنبي أنا يا والدي؟ هي لا تريدُ أن تعيش معك ثانيةً، أليس هذا من حقها؟ الحقيقة أنّي كنت متوقع بل ومتأكد أنها لن تعود ولكن...

فاعتدلت "ريم" وقفزت فوق سريرها وأصبحنا ننظر لـ "كريم" منصتين والابتسامة تعلو وجوهنا وانعكس هذا على نبرة صوت "كريم" وهو يرانا نتابعه باهتمام، وتبادلتُ و"ريم" نظرة ودٍّ عميقة فواصل "كريم" حديثه بِنَبْرةٍ هادئة؛ يجلس مسترخيا على الكرسي واضعًا قدمًا على الأخرى وقام يقلب صفحة الكتاب وهو يستعيد التحدث بلغةٍ فصحى سليمة:

- يجب على الرجل تفهم موقف امرأةٍ خسرها بسبب أفعاله، هل يراهن على غبائها أم ضعف ذاكراتها؟ وبجدية وبعفوية؛ أنا كابنِه أتفهم انفعالَه عليّ وإحراجه المستمر لي أمَام القريب والغريب، فهو ينفث فيّ غضبه من أمي لأن خالي أخبرني أن أقوُل له أن أمي قد رفضتْ الرجوع له، وأنا أخبرته بنفسي وفي المرة تلك أخبره قريبه

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

أنها لا تفكر في أي صلح أو عودة، وأن أمّها حاولت معها ولكنها مازالت ترفض، وأن كُلّ محاولات الضغط والإلحاح واستعمال الأولاد لم تنجح، فأنا بالفعل ألتمس له كُلّ العذر، حتى إنّه كاد أن يصفعني ويركلني أمَام هذا القريب لكني أعذره.

وضعتُ يدي على فمي و"كريم" يحكي، لقد عبر صوته عن حزن وأسى فقاطعته ولكنه لم يسمح لي وواصل حديثه قائلا:

- وإن ركلني أو صفعني هو عندي أهوَن من أن تعود فيعاملها تلك المعاملة المهينة التي كانت يتعمدها، كان يجب أن يعلم أنها ستنفجر ويفيض بها وتتركه، ويحيرني لمَ يُصر رغم أنه تزوج على أن تعود أمي؟ هل جُنّ؟ لمْ تقبلْكَ وأنتَ لها وحدها؛ هل ستقبلك الآن؟ كما أنها قالت إنني ولدتُ من جديد يوم تركتْه، ولمحت جدتي تزمّ شفتيها، لم يعجبها ما قالت ولكنها كانت تتحدث برضى تام وجدية واضحة. أتعجب لمحاولاته وأندهش أيضا، فمِن أين يأتيه كُلّ هذا الأمل في إمكانية قبولها الرجوع إليه؟ واللّه لو كان لي سلطة عليها لطلبتُ منها ألا تعود إليه مُطلقًا. التفتتْ إليه "ريم" بلوم قائلة:

- حقًا يا "كريم" ما تقول؟ لو كان لك سلطة لقلت لها ألا تعود له؟!

أنا أعلم ما تقصده أختي من وراء كلامها هذا، ولكني فضلت الصمت والانصات لأعرف بماذا سيرد عليها "كريم" وتأملت عينيه وهو يتلفت تجاهها قائلا:

- بلى، وأعرف ما تقصدين، ولو كان لي من سلطة عليها في أن تعود لما استعملتها. "ريم":

- لا لم أقلّ هذا. "كريم":

- ماذا كنت ستقولين إذن؟ "ريم":

- ولا تغضب؟ "كريم":

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- ماذا؟ "ريم":

- قُل لي أولًا؟

فقاطعتهما وأظن أنّي محقة في معرفة ما أقصد من البداية فالتفتُّ ناحيتها وقلت لها:

- لقد كبرنا ويمكنك أنت وأنا الاجابة في أقلّ من عشرِ سنوات من الآن، إن لم يكن خمس. فهزّت رأسها قائلة:

- وهل سأنتظر حتى أعرف؟

- بل عندما تجربين يا "ريم".

فضمت شفتيها ومدتهما للأمام وأغمضت عينيها وارتبكت.

"كريم" ينظر تارة لي وتارة لـ "ريم" وهو يتأملنا بنظرات مستفهمة، ولكن من المرات الاستثنائية التي حرمت "ريم" نفسها من الرد المندفع والمتحدي وصمتت، وعاد "كريم" لمواصلة حديثه في نفس الاتجاه قائلا "كريم":

- أنا شاب ويتملكني الغضب الشديد عندما يتعمد أبي إهانتي أمَام الآخرين، فكيف أن حضرتُ موقفًا يوجه فيه إهانة لأمي أمَام الآخرين؟ ماذا سأفعل؟

التفتت "ريم" تجاهه مشدوهة وقد أزعجها تخيل هذا، فلطالما ألمحتُ لها أنها عندما تكون في مكان أمي سيكون لها الفرصة الحقيقية لتعرف ماذا سيكون رد فعلها وكيف ستتصرف، وعليها أن تجرب، وقد اقتربت من خوض التجربة إضافة لِمَا ذكره "كريم" الآن، فنظرتْ لي وخفضتْ رأسها أمَامها في أسىً وتأثُّرٍ، لمح هذا "كريم" وقد أصاب فيّ مثله فرأى أن يخرجنا من كُلّ هذا محاولا إضحاكنا فقام في مكانه وهو يسير بضع خطواتٍ في الغرفة وهو يرفع رأسه بتشنج وهو يقاوم الضحك ونحن نراقبه ولا نفهم ما يفعل، فسعل

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ثم توقف مكانه وهو يشيح برأسه للجهة الأخرى بأنف مرفوع وعيون نصف مغمضة؛ فعلمنا أنه يقلد بابا فابتسمنا، زفر "كريم" وقال بصوت أجشّ وبنبرة متهكمة وجادة في نفس الوقت:

- أنا لا أُريدُها، تركتْ أولادها وذهبتْ، على الأقل كانت ترجع من أجلهم؟ هل هذه أم؟!، لمْ أرَ في حياتي أمًّا هكذا ترمي أولادها.

فانفجرنا في الضحك، لقد كان يقولها أبي عن أمي في الخمس مرات التي حاول فيها أن تعود، كان يُعقب على كُلّ رفض بهذا، ما شعوره لو علم أن جملته هذه موضع سخريتنا ومثار ضحكنا الآن ونحن نفهم أنه كان يرمي لشيءٍ آخر؟ فشل في استردادها وفي تسميم علاقتنا وفكرتنا عنها ومازال يحاول، وسط ضحكنا واستكمال "كريم" للمشهد التمثيلي وهو يقف في جانب الغرفة وهو يتظاهر أنه يتحدث في الموبيل متقمصا هيئة أبي بَعدَ الرفض وهو يقول:

- اتصلت بك مرات، هذه أموال ناس، لا أحب التهاون في العمل، حافظ على مواعيدك..

ونحن نضحك بشدة وهو يمشي بخطى متعثرة منفثا عن غضبه في أي شيء يقابله، يلوّح بذراعيه في الهواء وكأنما صادف سيره لحظتها بالحديقة فيقوم بصفع أغصان الشجر المتدلية في طريقه، يفعلها كريم فيضرب بذراعيه في الهواء وبعنف يجذب لأسفَل بملابسي المعلقة على الشماعة، فغرقنا في الضحك وتناهى إلى سمعنا صوت أبي وطنط "سحر" وهما بخارج الغرفة يتهامسان بصوتٍ صافٍ ومسموع، ونادى أبي من خارج الغرفة فردت "ريم":

- اتفضل يا بابا إننا هنا.

بينما كنا نكتم ضحكاتنا، وبسرعة جرى "كريم" مبتعدا عن الشماعة، ولكن أبي وطنط "سحر" دخلا الغرفة مُتأبّطةً ذراعه

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وتلبس فستان لامعًا، كانا عائديْن من الخارج توًا من هيئتهما. بابا:

- لمَ كلكم جالسون هنا؟

فاعتدلتُ في مكاني ونزلت عن السرير ووقفت بجواره، و"كريم" كما هو ولكن يتقدم إلى عمق الغرفة، بينما "ريم" ظلت كما هي ممددة في السرير تتحدث إليهم من مكانها. طنط "سحر":

- لِماذا لا تشاهدون التليفزيون أو تجلسون في الحديقة؟

التفت إليها بابا وهو يقول:

- لا أدري لمَ كلكم هنا؟

شعرنا أنهما كمن يتعمدا أن نعرف أنهما كانا بالخارج وقد عادا مبتهجيْن! شعرت بهذا ولا أدري هل هذا صحيح أم لا.

التفتَ أبي إلى طنط "سحر" والتي تنظر ناحيتنا وتبتسم بِودٍّ قائلة:

- هل تناولتم العشاء؟ "ريم":
- نعم تناولنا العشاء

فنظر أبي لنا نظرة شاملة وخرج وهو يقول:

- تصبحون على خير. "كريم":
- وأنت من أهله. طنط "سحر":
- تصبحون على خير. "مريم":
- وأنتِ من أهله.

لم ترُد "ريم" وظلت تنظر لهما وهما خارجان من الغرفة وهي تهُزّ رأسها بضيق، لم أستوعِب ما جرى ولكن سألت:

- هل كانوا بالخارج؟ فرد "كريم":
- وتوًا عادوا فرحين مبسوطين كما ترين. "ريم":
- "كريم"، أعِد لنا تمثيل ما جرى.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فضحكنا مُجدَّدًا واسترجعنا بسرعة ما كنا بشأنه قبيل مجيء بابا وطنط "سحر"، خرج "كريم" خلفهما ليغلق الباب وسمعنا صوت التليفزيون قادمًا من خارج الغرفة..

ريم وهي تنظر إليّ قائلة:

- تريد أن تخبرنا أنه كان يفسحها -وقالت وهي تزمّ شفتيها- وقطعا جلب لها هدايا ويمكن أن يكون قد اشترى لها خاتما بفصّ من الماس.

فنظرت لها مشدوهة متعجبة فقالت بحزم:

- نعم، نعم، إنه يشتري لها الكثير من الهدايا، هي ذكية هذه الـ"سحر"، تدعي لقريبتها تلك التي أشارت عليه بتلك الزيجة المربحة فقاطعتها:

- تقصدين تلك المرأة قريبة جدتي ذات الشعر الأحمر؟ قاطعتني:

- هذه صبغة يا عزيزتي، فهي عجوز شمطاء كما يقال.

فضحكت على وصفها فراق لها ما قَالت، سأسميها من اليوم بالشمطاء صاحبة الشعر الأحمر، فضحكتُ:

- لا أدري من الفائز والّذي يعتبر نفسه محظوظًا بتلك الزيجة؛ بابا أم طنط "سحر"؟ أم الاثنين؟ "ريم":

- بل هي أكثَر. "مريم":

- كيف

جاء صوت "كريم" من خارج الغرفة وهو يقول بينما اختفى صوت التليفزيون الذي يبدو أنه أغلقه:

- سأنام تصبحون على خير. "ريم":
- وأنت من أهله.

وسمعنا صوت انغلاق باب غرفة "كريم". استطردت "ريم" قائلة:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- ألا ترين كيف تعيش وتأخذ ويعطيها ويجلب لها؟ أنت لا تعرفين أهلها، أهلها فقراء جدا وبسطاء جدا، "سحر" كانت تعمل بائعة في محل بعد وفاة زوجها لتوفر نفقاتها هي وابنها، زوجها كان فقيرا وبسيطا هو الآخر، هي وهو من أُسر بسيطة، زواجها من أبي كان نقلةً كبيرةً بالنسبة لها، هنا فيلا وعربية وفلوس وهدايا ورحرحة، فكلنا كبار ولا نحتاج منها لرعاية أو غيره، هي جاءت له فقط، أخريات في ظروفها يتزوجن رجالًا لديهم أطفال فترعاهم زوجة أبيهم وتخدمهم، لكن نحن كبار ولا نحتاج لرعايتها أو لأيّ جهد تبذله في سبيلنا، فلا تقدم لنا شيئًا باستثناء أطباق حلوياتها تلك، وما نتناوله جميعًا معًا، إنها تستيقظ بعدنا ونعاملها كما تريد، ولقد كانت أُمّك محقة في شيء ذكرته، نحن لسنا مثل الآخرين سيكون طلاقنا مثاليًا، لن نعيب في بعضنا البعض، ولن يؤثر الطلاق علينا كما نرى حولنا في حالات الآخرين الذين يمرون بتلك الظروف، وبالفعل كما تريد نذهب إليها ونعيش هنا وهناك، ولكني معجبة بتصرفاتها؛ فهي ذكية، فقاطعتها متسائلة "كيف؟" فنظرت لي "ريم" عن كثب تستطلع طبيعة السؤال وما أقصد، هل كما سبق للخلاف أم لأعرف بالفعل، فتُرُد وعلى ما يبدو أنها أدركت أنّي أسأله للفهم فقالت:

- إنها ذكية، فهمت أبي، ألا ترين كما هما منسجمان ومتفاهمان مع بعضهما البعض؟ يخرجان ليسهرا، تزور أهلها، يجلب لها الهدايا، حتى أنها تلبس الأحمر الّذي كان يثور إن ارتدته أمي بداخل البيت، بينما سمح لها بأن تخرج به ولامعا في السهرة، ألا ترين؟ هذا ذكاءٌ منها، هل تسمعين صوته يعنفها؟

فقاطعتُها وسط حماسها الّذي تتحدث به وقلت لها:

- مرات سمعته يعنفها ومرات سمعت صوتها وصوته أيضًا يتشاجران،

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فحملقت في متعجبة في استنكار:

- متى يحدث هذا؟!

فقلت لها لقد سمعتهم عدة مرات على فترات متقطعة، فشردت "ريم" وعلتْ الدهشة وجهها وظلت تحملق فيَّ وعيونها تدور في اتجاه ثابت في وجهي ولم ترُد، فبادرتها قائلة لأخفف من توترها البادئ ودهشتها:

- ألا تعرفين هذا؟ ريم:

- ولو كنت أعرف هل سأسألك؟ كنت سأخبرك أنا. ولكن هل كانت طنط "سحر" هي الأخرى تتشاجر معه؟

- وصوتها أحيانا يسبق ويعلو على صوته.

-ولكن هي كما قلت لك ذكية.

- ذكية! ذكية؟!، ما علاقة هذا بما نتحدث بخصوصه؟

- تعرف كيف تدير المواقف، إنها تحسن التصرف وتعرف كيف تتعامل معه، يبدو أنها روضته أو كسبت وده وتوصلت إلى أفضل طريقة تتعامل بها مع زوجها.

"مريم" باستنكار وكأنها تحاول استيعاب الكلمة قائلة:

- زوجها؟! فتؤمئ "ريم" برأسها مؤكدة.

- شعرت أنك تتحدثين عن شخص آخَر.. شخص غريب لا نعرفه.

"ريم" وهي تقهقه مازحة:

- ليس لتلك الدرجة، ولكنني أتحدّث الآن عن رجل وامرأة.

نظرت لها "مريم" مشدوهة مستفهمة ثانية وهي تهُزّ رأسها لدفع فكرة خيمت على رأسها وتسبب فيها كلام وإشارة "ريم" فالتفت الجهة الأخرى وهي تهُزّ رأسها بينما "ريم" ظلت تهُزّ كتفها في تؤدة وهي تبتسم بمكر وخبث أم، قائلة:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- لا أُريدُ أن أضايقك يا "مريم" وتعودين للغضب منّي وتتهميننني بالتحامل على أُمّك. فالتفت "مريم" بعتاب قائلة:

- زوجها والآن أمك؟

ضحكت "ريم" هازئة وهي ترمق "مريم" بلوم وحيرة وهي تقول:

- لا تتوقفي عند هذه الأشياء البسيطة، هو أبي وهي أمي، أنا أتحدّث معك أنتِ ولا يوجد معنا أحدٌ منهما هما، توقفك أمام الأمور والمسائل الصغيرة وتوافه الأشياء هو ما يجعلني أتردد في الحديث معك أحيانًا، لقد كبرنا يا "مريم"، أقوُل لك أنّي أتحدّث عن اثنين؛ رجلٍ وامرأة تقع بينهم شجارات متعددة وحياتهما تسير للأمام لا تتوقف، تتشاجر معه ويجلب لها الهدايا، تتكرر خلافاتهما وتكثر خروجاتهما ومع الأيام تقل ويكون الهدوء والاستقرار، وهما كما ترين سعداء معًا.

لم تشأ "مريم" مقاطعة "ريم" فأغلب ما قالت لا تقتنع به، ولاحظت "ريم" هذا ولكنها فضلت أن تواصل الحديث بِنَبْرةٍ حيادية متفحصة محللة، كانت "مريم" تسمع وهي متوترة، كما لا تتوقع أن تسمع هذا وأيْضًا ترفضه، هي تطابق ما يقال على أبيها وأمها بينما "ريم" ترمي لشيء آخر أيقنته "مريم" ولكن تجد صعوبة في تقبله، كانت "ريم" تتحدث بجدية إلى أن قالت:

- أنا معجبة بشخصية طنط "سحر". "مريم":

- ماذا؟! معجبة بشخصيتها؟! "ريم":

- نعم معجبة بطريقتها في تعاملها مع أبي فقط ولا تتهميننني في أنّي أقارن بينها وبين أمي، ليس هذا ما أقصد ولكنني... -وتصمت "ريم" وهي تتأمل عيني "مريم" المليئتين باللوم عليها ثم تكمل- لا يبخل عليها بشيء، كُلّ ما تريده يأتي إليها، ألا ترين كيف تعيش بَعدَ فقر وعوز وعمل بسيط وتعب ومشقة؟ تعيش كالهوانم ويحرص

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

على إرضائها، واسمحي لي أن أقوُل أنّي لا أشير من قريب أو بعيد إلى ما تظني أنّي أقصده.. لن أتكلم عن أُمّك! أمي.. سأقوُل.. أمي حتى لا تتضايقي وتظني أنّي أعقد مقارنة بين زوجة أبي وبين أمي لصالح زوجة أبي!

تأملتها "مريم" بعيون متأثّرة عاتبة وهي تنصت إلى كلامها بفضول واستغراب أردفت "ريم" تكمل ما تقصد:

- كنت أبحث عن أنسب وأفضل طريقة لتفادي ما نحن فيه الآن؟

لو كانت أمي تعرف كيف تعامل أبي لما كانت هي في جانب وهو مع أخرى ونحن بعيدون عنها، لا أقصدها هي أكررها عليك، أقصد نفسي، أُريدُ أن أكون مثل "سحر" في إداراتها لحياتها مع زوجها وفي حياتها مع زوجها، هي تتصرف بفهم ووعي وذكاء، لن أكون عاطفية ومتسامحة ومفرطة في الحب والحنان والاهتمام مثل أمي، فلم تجنِ من هذا إلا سنوات من التعب والمعاناة مع رجل... -وحكّت رأسها بكفها وهي كمن يزن الأمور فأضافت- أمي لم تفهم أبي، لم يتغير شيء هنا والحياة مستقرة كما نرى، أبي هو أبي والبيت هو البيت ونحن كما ترين، فقط أمي ذهبت و"سحر" أتت، إنها ذكية وواعية، أُريدُ أن أكون مثلها في تلك الناحية، سأتزوج رجلا مثل أبي يعطيني قبل أن أعطيه، يحرص عليّ قبل أن أفكر به، أأخذ قبل أن أعطي لا أبذل الكثير في مقابل القليل أو ربما لا شيء، أحيانًا لا تعجبني "سحر" وشخصية "سحر". قاطعتها "مريم" مازحة:

- تريدين عريس غني مثل بابا؟!

- وأن يكون وسيمًا ولديه سيارة موديل نفس العام.

- أيّ عام؟ الّذي سيأتي ليخطبك فيه؟! باستنكار وبِنَبْرةٍ تؤكد "ريم":

- بالضبط. بجدية سألتها "مريم" وهي تتفحص وجهها باستغراب:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- والحب؟!

- ما به؟! فتُرِد "مريم" متعجبة:

- ما به؟! لِمَ تتحدثين عن الحب وكأنك لا تعرفينه؟

وتنصت لها "ريم" لتكمل حديثها وهي هادئة تعي ما تقول ومنتبهة لردة فعلها وتعقب به، مما فجر أسئلة متجددة في خاطر "مريم" وتزاحمت الأفكار في رأسها وارتبكت بالفعل أمَام هدوء "ريم" وثباتها فيما تقول، أدركت "مريم" أن "ريم" كانت تتحدث بجدية وعن اقتناع في المقارنة التي عقدتها بين أمّها وزوجة أبيها، وأنها بالفعل تحتذي بـ "سحر" كنموذج للزوجة في أسلوب وطريقة تعاملها مع زوجها.

لم أتمنَ أن أسمع هذا من أختي، شعرت أن ماما مذنبة أو متعثرة وفاشلة في حياتها، لم تنجح في حياتها مع أبي ولم تحسن كسبه وبالتالي الاستمرار ودفع دفة حياتها للأمام وتعيش في مكان ونحن في آخر، هل محقة "ريم"؟ ربما هي محقة في أن لو كانت أمي تحسن التصرف لكانت اليوم بيننا، وأبي يعاملها كما يعامل زوجته وكنا نحن معها وهي بيننا الآن، لن ألوم "ريم" إن كانت قد قدرتها من تلك الناحية ولكن كان صعبًا عليّ أن أجِد أمي في موضع تقصير بحق نفسها وأن تنجح أخرى اليوم هي في مكانها، هل فشلت أمي بينما نجحت طنط "سحر"؟ لا، أرَى "ريم" متحاملة من تلك الزاوية على أمي، فهي محقة؛ لقد قاست الأمر على نفسها، هي تود أن تستمر حياتها المستقبلية مع من ستتزوج وتتصرف وتتبع أسلوب وطريقة طنط "سحر" في تعاملها مع أبي، لا أملك أن ألومها، يبدو أنّنا كبرنا كما قالت.

ظللتُ ليلتي أفكر في كلامها واستسلمتُ لثورة خواطري بالاشتعال والتحرك مع تفكيري ومنطقي، لسببٍ لم أجِدها ولا أحاصرها،

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

أطلقت لها العنان لتزداد وتتسع وسمحت للمنطق في الأمور أن يقول كلمته ويفصل في الأشياء التي أمحوها وأخمدها فور ظهورها وبزوغها، لم أعمل المقصلة لأفكاري وخواطري، ومنحت الحرية لهواجسي أن تتحرك ولخواطري أن تتلقى وتجاهلت ضيقي بالمكاشفة والمحاسبة والإدانة، حاكمت ما يخشى الظهور ليعنون بعض الأمور، منحت الحرية لنفسي أن تعبر عما أحاول مرات ومرات أن أسكته، ليس بشأن أمي وأبي فقط ولكن في نظرتي أنا أيْضًا بتعقل إلى من حولي، لابد أن أنتبه لِمَا أفعل وأتصَرَّف، إلى متى أظلُّ أخمد أفكاري وخواطري؟ لا أقوُل إن "ريم" محقة فيما تنوي أن تفعله أو ما اختمر في ذهنها وأدركته؛ ولكن استفقتُ إلى شيء لم أنتبه له عن قرب وهو أنّنا كبرنا وهذا ما خلفه حديث "ريم" داخلي أنّنا قد كبرنا ومادام قد كبرنا فعلىّ أن أفكر وأتصَرَّف وأزن الأمور كالكبار بما يتناسب مع سني.

وفي اليوم التالي ونحن نتناول الغداء لم تكن طنط "سحر "مثل ليلة أمس مبتهجة وضاحكة، كانت فاترة في معاملتها وصامتة طوال وقت تناولنا للطعام بينما أبي كان يحتفظ بابتهاجه منذ الأمس، هذا ما لاحظته لما رأيت "ريم" تتفحص وجوههم أبي تارة وطنط "سحر" تارة أخرى، هي من لفتت انتباهي لهذا فنظرت بترقب إلى وجهيهما حتى أنّي لاحظت أن طنط "سحر" لم تكمل طعامها وكانت تتظاهر بالأكل بينما "كريم" كان كعادته يأكل بسرعة ليقوم قبلنا ويغادرنا، لحقت أنا به فوجدته خارجًا للحديقة ينتظر أحد أصدقائه الذي سيمر عليه ليأخذه، جلسنا سويا نتحدث في المذاكرة والدروس وسألني عن موعد الامتحانات وسألته كيف هي امتحانات الكُلّيات فضحك وأخبرني أنها شهور وسأخوض بنفسي التجربة، فرحت وابتهجت،

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وجدتها دفعة لتجديد جدول المذاكرة بآخر، وعندما عاد في المساء وجدني بغرفتي أذاكر فأشار لي بيده بالتحية وخرج من الغرفة وعندما لحقت به كان قد دخل غرفته فعدت أنا إلى غرفتي ثانية لأواصِل مذاكرتي.

ومّر شهران ودخل الحر وأجواء الصيف الخانقة فأخذت كتبي منذ الصباح لأذاكر وأراجع دروسي في جو منعش وسط النسيم والأشجار وزقزقة العصافير، ما إن تحمى الشمس قليلا قبيل الظهيرة أدخل إلى الغرفة أواصِل دروسي وأنام لوقت على أن أقوم على موعد الغداء وأجلس مع "كريم" و"ريم" لوقت ثم أواصِل مذاكرتي، لقد أعدَدت جدولا وبرنامجا يوميا على مدار الشهرين لا أحيد عنه، وكانت زياراتي الأُسبوعية لأمي منتظمة لم تتأثّر، فكنا نذهب نحن الثلاثة في أول النهار ونعود بَعدَ الغروب لظروف الامتحانات وذلك كُلّ يوم جمعة وكنت أتخلف وأذهب السبت إن صادف وكان لدي دورس بيوم الجمعة، كان التقائي بأمي دفعة لمواصلة المذاكرة بعزيمة وحماس، خضت الامتحانات وكانت أقلّ صعوبة مما توقعت وها أنا الآن في انتظار النتيجة وأبي يؤجل الذهاب للمصيف حتى تظهر النتيجة كما أخبرتني طنط "سحر" رغم أن أبي لا يهتم كثيرًا لأمر التعليم والمجموع والنجاح والمستقبل لا أدري لِمَ، يمكن لأنه دائم الانشغال في العمل، وكان يترك أمر ذلك لأمي وقد اعتاد عدم الاهتمام لهذا فاعتدنا منه الأمر، ولكني أمتن لطنط "سحر" التي طلبت منه تأجيل الذهاب للمصيف حتى تظهر نتيجة امتحاناتي في الثانوية العامة

ويوم ظهرت نتيجة الامتحانات فضّلتُ أن أكون عند ماما لأنها كانت قلقة وكنتُ أريد مشاركتها الفرحة أولًا، وظهرت النتيجة وحصلت على مجموع أهلني للالتحاق فيما بَعدَ بكلية الآثار، لم تكن رغبتي

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ولكنني قبلتها، كنت أحب دراسة التاريخ والاطلاع على تاريخ ومعرفة الحضارات الأخرى، بفضل أمي تأقلمت مع الدراسة ومع الوقت تقبلتها وتجاوبت مع المواد الدراسية ووجدت أن دراسة التاريخ والمعالم الحضارية والتراثية موضوع ومجال مشوق ومثير وإن كان مركب وصعب، أيْضًا تغلبت على الصعوبة بالتقبل ومراجعة المحاضرات وتكثيف ساعات المذاكرة حتى صارت أقلّ صعوبة وأكثَر إيضاحا أمامي واقتربت الامتحانات وخضت الامتحان ومررت بالتجربة التي قالها "كريم" فوجدت الامتحانات أنسب لطلبة الجامعة، اختلافات بسيطة هي أن من يقوم بالتدريس لنا دكاترة وبدلا عن الفصول يوجد مدرجات ولكن الأجواء توحي بالفعل أنّنا قد كبرنا وانتقلنا من مرحلة دراسية لأخرى أعلى، ومن مرحلة عمرية إلى أخرى قد كبرنا بالفعل عمليا وبكل المقاييس.

في أجازة منتصف العام حضرت ثلاث حفلات خطوبة لصديقاتي، ارتديت ثلاث فساتين سواريه، لم أفكر في قبول أيّ ممن يتقدمون لخطبتي لأعيش يومًا مبهجًا مثل صديقاتي ويأتي الدور عليّ وأكون أنا العروس وزميلات وصديقات هن المدعوات إلى حضور حفل خطبتي ليس لأني مستغرقة في التعليم والمذاكرة ومواد ومجال الدارسة الصعب ولكن لأمر آخر، "ريم" لم تخطب بَعدَ فكيف أُخطب قبل أختي الأكبر؟ هي لا تجد فيها غضاضة ولن تتأثّر لذلك هي أخبرتني بهذا ذات مرة ونحن عائدون من حفل خطبة "مروة" صديقتها فابتسمت ولم آخذ كلامها بجدية ولكن لن أُخطب قبلها، لقد أصبح الأمر يضايقها بعض الشيء، تعددت أخبار خطبة صديقة لها وقريبة تلو الأخرى، ماما ترى أنّنا ما زلنا صغارًا وعلينا ألا نفكر في الارتباط والزواج قبل التخرج، ولكن أبي كان له رأيٌ آخر، هو لم

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ينفذ ما يريد، ولكن نفدنا من أن يزوجنا ونحن في الثانوية العامة أمي قالت لي أنها عندما تزوجت بَعدَ الثانوية العامة لم تعش حياتها وسنوات عمرها كما كانت تريد وتحب وترغب، عاشت لغيرها، قالتها بتأثّر، لم تقصد ندما ولا لإشعارنا بالامتنان؛ فمن الطبيعي أن تعطي الأم وتقدم أبناءها عليها ولكن كانت تنصحنا كأخت، أجِدني أقرب ما يكون منها عندما تعاملني كأخت لها، هي حنونة ومشاعرها فياضة وعواطفها متوهجة وغامرة، لا حدود لحنانها، تحتوى الكون به ولا تنضب مشاعرها ولا تذبل، كانت تريد أن نعيش أعمارنا وأن نخطط لحياتنا لا أن نترك الظروف تحددها لنا وتوجّهنا، وكان هذا من الأمور التي يسخر منها أبي من بين آرائها الكثيرة، كان يخاف علينا ولكن ليس أكثَر منها، ولكن كما اعتدنا لكُلّ منهما رأيٌ يخالف الثاني كانت ترى أن الحب ضروري كأساس في علاقة المرأة والرجل وبغير الحب الحياة والعلاقة بينهما بلا أساس وقد تنهار في أيّة لحظة وفي أيّة مواجهة، كان رأيها هذا يثير نشوة أبي ويبتهج له، كان يجيد العزف على مشاعرها المغرية المتدفقة بلا توقف، بينما كان رأيها لا يلقى أيّ قبول لدى "ريم" التي كثيرًا ما قالت لي عن أمي أنها تغرق نفسها بكفيها هاتين، وتشير لكفيها بعصبية وتشنج وسخط، في بعض الأوقات كنت ألتمس لها العذر في رفضها إلى أن أخبرتني بمقارنتها واستعراض مكاسب بابا ونحن بزواجه من طنط "سحر"، نعم لقد بت أقتنع بأن وجودها هي بالذات مكسب لنا، حياتنا مستقرة، لا شجار ولا إهانات، أجواء هادئة ومستقرة، كما أن أبي سعيد وينعم بالراحة والهدوء في بيته بعكس ما قد سبق ومررنا به في حياتنا، لا ألوم أمي، وأيْضًا توقفت عن لوم أبي، لقد كبرت، نعم لقد كبرنا، ما أدهشني أن علاقة "ريم" بأمي لم تعد متوترة مثل قبل، فكانت

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

موضوعات مناقشاتهما محدودة وقليلة، وكانت "ريم" تبادر بموافقة أمي على آرائها حتى وإن لم تكن مقتنعة، ناقشتها فيما تفعل فقالت هذا أفضل فلا أُريدُ أن أستهلك الأوقات التي أقضيها معها في الشجار والخلاف والاختلاف الّذي لا فائدة منه، كما وأنّي لا أفعل إلا ما أُريدُ فلِمَ كثرة الحديث وافتعال الشجار وتغضب وتثور؟ هذا أفضل، مع الوقت أدركت أن "ريم" قد نضجّت بالفعل، حتى أنها أصبحت لا تتشاجر معي أنا الأخرى ولكن أنا التي أصبحت أستوعِب آراءها جَيِّدًا وأتعامل بهدوء وأنا أتناقش معها، كانت أجواء بيتنا مستقرة وعلاقتنا أفضل، كُلّ يقوم بما يريد دون أن يغضب الآخَر، أوقات جلوسنا قلت ولكنها كانت هادئة وأوقاتنا معنا كانت هادئة، أبي يتقدم في عمله، لقد تناهى لسمعي أنه قد اشترى مبنىً جديدًا في الشارع الخلفي يطل على الطريق الرئيسي العمومي، كما انتهى من دفع كُلّ أقساط الأرض التي اشتراها مع شريكه عمو "إبراهيم الصياد"، صديق عمره وشريكه في عمله الجديد في تجارة العقارات والأراضي، هذا بخلاف المعرض، المدهش والعجيب على حد وصف "ريم" أن نجاح أبي في عمله وتنامي ثروته يُرضي أمي ويفرحها بشدة ولم تكن تفتعل ذلك ولكن كان جليا عليها بالفعل فرحتها كُلّما أخبرناها أن أبي اشترى عقارًا جديدًا أو أرض أخرى، عندما أوصلني عمو "مسعود" إلى البيت بسيارة أبي الحديدة لمحتها وهي تجلس في الحديقة مع جدتي وخالاتي وإلا كيف عرفت؟ لم أخبرها بل هي من سألتني، عم "مسعود" وهو يتوقف بالسيارة وأحمل الحقائب وانزلها ساعدني في حمل الحقائب إلى الاستراحة الأمامية للحديقة ووضع الحقائب عليها ولمح هو الآخَر أمي فألقى التحية عن بَعدَ بنظرات فيها أسف وتوقير وأخبرني أن أبَّلغ أمي سلامه وسألني عنها كيف هي، ولكنني كنت

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

أنسى ما أن أرى أمي وأغوص بأحضانها، ولكن اليوم أخبرتها فابتسمت بِودٍّ ولم تعلق، فقط قالت: "عم "مسعود" عشرة عمر، رجل محترم وابن أصول، بلغيه سلامي أيْضًا، وكيف ابنه؟"

وكعادتي نسيت ولكن استوقفني سؤالها عن ابنه الّذي أزعجني كيف تسأل عن هذا الولد الحقير، كان يلمح لي بأنّه معجب بي وهل سأتزوج ابن السائق! نهرته وكُلّما أراه أتجاهل القاء التحية عليه فاختفى وما عاد يظهر منذ ذهب لأداء الخدمة العسكرية بَعدَ تخرجه من كلية التجارة، لم أحتقره ولكن ضايقني تطاوله، أنا أغرم به؟ كيف هذا؟ ليس لأن أبيه يعمل لدى أبي وإنهم بسطاء ولكن هو لا يُعجِبُنِي من أيّ جهة ولا أراه مناسبا لي من كافة الأشكال والنواحي والزوايا، بدون كلام وصله ردي واختفى، إن أخبرت أمي ستتعاطف معه وتلومني فأنا أعرفها وأعرف كيف وتفكر وتتصرف، كنت أوَدُّ إخبارها بأمر آخر عن حبي ولكني ترددتُ أيْضًا، في مرة أخرى قد أخبرها، أنا حتى الآن لا أعرف إلى أين يتجه هذا الحب ويثمر؟ أنا أحبه بشدة وقد صارحني بحبه ولكني مترددة ولا أعرف تحديدًا لِمَ ولكني مازالت أفكر في الأمر، نتكلم كُلّ يوم أفرح كُلّ يوم أحلق فوق السحاب، مرات أوشكت على معرفة لغة العصافير وتحليل قطرات الندى.. قلبي يرقص مرات في النهار والليل يتحول إلى جنة لنا كُلّ شيء حولي يتلألأ بالجمال والتوهج، الجو دافئ برغم برد الشتاء اكتفت أمي بجذبِ الغطاء عليّ وهي لا تدري أنّي مُنعمة بالدفء، قلبي دافئ ومشاعري راغدة ترقد فوق أحلامي، أكون هنا ولست هنا، روحي تحلق معه، كانت ترمقني مبتسمة ولا تتكلم، أعرف أنها تعرف أنّي واقعة في الغرام ولكنها لم تسألني، كان يروق لها حالاتي وكنت أُقدر هذا فيها، كان يهمها أن ترانا سعداء مبتهجين لا تسأل

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

عن السبب، لا تفتش، جل اهتمامها أن ترانا هكذا فرحين ننعم بالأمان، حتى أنها كانت ترضى على أبي وتمتدحه، هنا كانت تداعبها "ريم" مازحة أنها قد حنت إلى أبي فتستاء أمي بشدة وتتوقف عن الكلام وتغيب الابتسامة من على وجهها فتقسم "ريم" أنها تمزح، تمزح فقط، فتأخذ أمي في وصف بعضا من صفاته التي نفرتها منه فننظر لـ"ريم" بلوم وعتاب، لِمَ تنكش في تلك السيرة؟ لِمَ تذكره في المزاح مع ماما؟ كنت أنا و"كريم" لا نُريدُ أن نذكرها بشيء يضايقها، إنها رقيقة، واسم أبي في سياق غير أنه أبونا يفتح باب ذاكرتها وينفث غضبها ويأجج ثورتها ويجعلها تتكلم بغصة ومرارة تتضح في نظرات عينيها وملامح وجهها، كان هذا يجعل "ريم" تندم وتتراجع عما قالت وتعتذر، فكانت "ريم" تقُولُ لَها أنت التي تمتدحينه فظننته أن الحب صحى، هنا تَهِبُّ أمي واقفة وتتركنا وتدخل إلى المطبخ، نسمعها تفتح الماء وتغلقه وصوت إشعال يزأر وصوت ملعقة تقلب، إنها تعد القهوة بينما نحن نظل ننهر ونزجر "ريم" إلى أن تأتي أمي وقد غيرنا دفة الحديث، الوقت معها مفعم بالدفء والحنان والراحة، كانت "ريم" تُفْرِط في النوم هناك، قد يكون ذلك تهرُبًا من الحديث مع أمي أو أنها كما تقول ثمة ما يغري ويبعث على الشعور بالطمأنينة والراحة والسكون في بيت أمي لذا تلاحقها الرغبة في النوم باستمرار، كانت أجوائه تبعث على الشعور بالطمأنينة والارتياح بالفعل، قضينا أُسبوعين لدى أمي بينما "كريم" قد قضى لديها أكثَر من شهرين، هو يقتنص الفرص ليمكث هناك لوقت طويل ومتواصل، كان يتفانى في العمل مع أبي ومساعدته، كانت أمي تنبه لذلك وكان هو أكثَر من فينا طاعة واقتناعا لكُلّ ما تقول، فكانت تجد أن يقضي الإجازة لديها ليعوض

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ما يكون فيه منشغلًا مع أبي، كنا نذهب إليها دونه لانشغاله في العمل، هي تتفهم هذا جَيِّدًا، "كريم" قد أخبرنا أن أمي هي من قالت له أن يلازم أبي في العمل بَعدَ العودة من الكُلّية وألا يتركه، يجب أن يتعلم منه العمل وكيفية إدارته، "كريم" كان يشكو باستمرار من عصبية أبي المفرطة عليه في المعرض وكثيرًا ما يعنفه أمَام العملاء وحتى الأقارب فكانت أمي تهدئه وتقولُ إنها ضغوط العمل وصعوباته وتنصحه أن يكون صبورا وألا يتهور في أيّ تصرف كان، هنا يضيق ذرعا بكلام أمي ولكنه لا يرد عليها، حتى لو كان منفعلًا ومستاءً بشدة، كان يشكو لنا كيف يعامل ابن طنط "سحر" أفضل منه خاصة أمَام "كريم"، كنت أنا و"ريم" نقول له لأنه ضيف ويجب أن يرحب به ويعامله بلطف، فهو ذاهب لا محالة ،وكيف يتعصب عليه أو ينفعل فهو ليس ابنه فيقول "كريم" ليتني ما كنت ابنه، ليتني كنت ابن طنط "سحر"! ! فكنا نندهش ونشفق عليه، أول مرة قالها ضحكنا ولكن فيما بَعدَ عندما عاد من المعرض وقد عنفه أبي لدرجة أن قميص "كريم" أحد أزراره العلوية قد مُزق واقتلع من مكانه فعلمنا أن أبي ضرب "كريم"، استاءت "ريم" بشدة ولكنها لم تتحدث مع أبي في ذلك وأنا لم أحاول، ورغم تأثري البالغ لأجل "كريم" اكتفيتُ بأن اعتذرت عن تناول الطعام معهم ليومين وأبي بدوره لم يهتم، بينما طنط "سحر" كانت تجيئ عند الغداء ثم العشاء لتنادي عليّ لأتناول الطعام معهم فكنت أخبرها أنّي قد تناولت الطعام مع "كريم" فكانت تتأملني بأسى وقلة حيلة وتذهب بخطىً بطيئة، كان لا يرضيها أن يهتز استقرار وهدوء البيت وكانت متأثّرة حقا فهي حريصة -وهذا يحسب لها- على أن تكون أجواء البيت هادئة، لا شجار ولا صخب ولا عصبية، ولكن أبي أحيانًا يفسد الأمر ويعنفنا، وكان

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

يضرب "كريم"، بكيت بيني وبين نفسي عندما دخل "كريم" وأسنانه تنزف دما على فمه، صُعقت يومها وهرولت نحوه ولكنه دفع يدي برفق ودخل مباشرة إلى الحمام، وسمعت صوت مياه يندفع من فوهة الحنفية وظل صوت الماء لفترة فعلمت أن "كريم" في الحمام يبكي! كيف انتقل سلوك ماما هذا إليّ وإلى "كريم"؟ فهي الأخرى كانت تختبئ في الحمام وتبكي!

عندما عادت "ريم" أخبرتها بما جرى فسألتني عنه، فلما لمْ تجده هرعت إلى الشقة الكبرى.

في المساء اجتمعنا حول السفرة لتناول الغداء كان "كريم" يجلس بيننا صامتا يتناول طعامه في صمت وكانت عيوننا تتجنب أن ترفع والنظر في وجه الآخر، كان أبي منفعلا ويزفر وهو يأكل، هنا التفتت إليه "سحر" باستنكار، كانت تعترض على بعض السلوكيات العابرة التي تصدر منه، لم تفوتها بدافع الذوق وعدم وضعه في حرج فتراجع ولم يكرر الزفر من جديد وأكملنا تناول الطعام ولما فرغنا قمنا جميعًا وخرجنا لكن "كريم" بقي وهو الذي كان يقوم قبلنا، خرجت "ريم" أو لًا ثم لحقتها وأنا أنظر بطرف عيني ولم أرفع رأسي نحو "كريم" فقام وقمت،على ما يبدو أنّي سبقته فقد كان يضايق أبي أن نتخذ موقف واحد أو أن نتعاطف مع أيٍّ منا كان هذا يغيظه ويضايقه فكنا نتعمد أن نظهر هذا ولِمَ دخلت الصالة وجدت "كريم" جالسا في الصالة و"ريم" تمسك في ذراعه وهو يمتنع عن الكلام دخلت خلسة وأغلقت الباب خلفي بإحكام دونما أن يصدر صوت حتى أن جاء أبي نعرف وننتبه انضممت إليهم ولم أتكلم نهض "كريم" ولم يتكلم نظرت لي "ريم" بنفاد صبر منه وتجنبت أن تنظر عليه ناديت عليه بإلحاح وتأنّ

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم": "كريم"، أرجوك يا "كريم" أيمكنك أن تجلس معنا نتحدث قليلا؟

استدار واعتذر وأخبرني أنه لا يود الكلام الآن ودخل إلى غرفته وهو يجر قدميه. كان يحمل غضَبًا مكتوما بداخله، تركت "ريم" ودخلت غرفتي، أصبت بالدوار لا أطيق أن أرَى "كريم" مهانا من أبي!

سمعت "ريم" تتحدث في التليفون من خارج الغرفة وهي تجلس بالصالة، بَعدَ قليل سمعتها تضحك مرات وهي مستغرقة بالحديث هكذا هي لها عالم منفصل عن المحيط بها!

فكرت هل عليّ أن ألتمس من أبي أن يحسن معاملته مع "كريم" أم أصمت حتى لا أنال عقابا من نوع آخر؟ لم يكن أبي يستعمل أو يلجأ للعنف البدني معي ولكنه يعاقبني بحرماني من النقود ويؤجل إعطائها لي، كانت تلك وسيلته في العقاب!

ولكني سأحدثه أن كريم لم يعد صغيرا كما أنه يقوم بإهانته أمَام الآخرين لِمَ هذا؟! سأتحدث معه.

"ريم": ماذا تفعلين؟

"مريم": أفكر

"ريم": فيمَ؟!

"مريم": في معاملة أبي لـ "كريم"

فهزت "ريم" رأسها بترقب ولم تعقب وجلست إلى مكتبها تعبث في محتويات درجها. "مريم" تأملتها ولم تكمل حديثها والتفّت للجهة الأخرى، لم تعد تحتمل انفصال "ريم" عما يحدث حولها، ترددت "مريم" أن تطلب من أختها أن تحدث أباهم في أمر معاملته لـ "كريم" ولكنها تراجعت بيأس وسخط على "ريم"، توقعت أن "كريم" يتحدث مع ماما الآن في التليفون هي الوحيدة التي تستطيع تهدئته.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

في المساء خرجت "مريم" إلى الحديقة فلمحت "سحر" تركب السيارة مع أبيها وهما يتضاحكان وترتدي ملابس زاهية وتضع لمسات ميك اب وهي مبتهجة، سألت: إلى أين سيذهبان؟! وظلت تنظر لهم حتى غابت السيارة عن أنظَارها عبر الفتحات المستديرة لسور الحديقة المطلة على الشارع ولم تجلس، ظلت شاردة تفكر وتهُزّ رأسها بضيق كمن يطارد فكرة، وخرجت "ريم" على صوت السيارة هي الأخرى تبتسم وهي تنظر لأختها بدهشة وتهُزّ رأسها بحنق وتأمل، تجنبت "مريم" التحدث إليها؛ فعيون "ريم" تنطق بما تقصد فجلست في أول كرسي بحيث يكون ظهرها لمكان وقوف "ريم" والتي نظرت لأعلى في مكانها وأغمضت عينيها بضيق وهي تزفر وتُتمْتِم غاضبة. خرج "كريم" من خلفها متجنبا الحديث معها، ربت على كفتها بطرف سبابته لتفسح له وجلس مباشرة قُبَالَةَ "مريم" واضعًا قدميه على الكرسي المقابل له، انضمَّت إليهما "ريم" لتجلس بجوار "مريم" وبدأت موجهةً كلامها لـ "كريم" الّذي تجاهله تماما وظل صامتا.

"ريم": ماذا حدث يا "كريم"؟! ولِمَ تتجنّب الحديث معي؟

بِنَبْرةٍ هادئة رد عليها "كريم" قائلا: لأنك أنَانية.

تفاجأت "ريم" برده وظلت تنظر له بلوم، بينما أُنصت ولم يبدُ عليّ شيء.

"ريم": لمَ يضربك أبوك باستمرار؟

"كريم" أنتِ مستفزة وأنَانية ولا أحب الحديث معك، اصمتي أفضل لك ولي.

"ريم": أطِع أباك واسمع كلامه ليحسن معاملته معك.

"كريم": اصمتي! قلت لكِ.

"ريم": ماذا نصحتك أمك؟

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"كريم": ألا أتحدّث معك.

دُهشتْ "ريم" من رده، واهتزت وقالت مرددة ما قَال: ألا تتحدث معي؟!

التفتتْ "مريم" إلى "ريم" وقد راق لها ما قاله "كريم" وظلت تنظر لها بترقب أقرب إلى استفزازها، وتستطلع رد فعلها إزاء ما سمعت.

"ريم" وهي تهُزّ رأسها تشير بتهكم تجاه بوابة حديقة الفيلا قائلة:

- بابا أخذ "سحر" لتزور أمّها وهو بصحبتها، ترك عمله وذهب معها وهو في حال أفضل بعدما كان ثائرا وساخطا، إنها دائمًا تنجح فيما فشلت فيه أمك، ولكن أرَى أنها هدأتك؟

يتماسك "كريم" أمَام كُلّ ما سمع ويتأملها بسخرية واحتقار جعلها تواصل حديثها بِنَبْرةٍ صوت لاذعة، تتدلل في حديثها وهي تلمز بينما "مريم" لم ترُد، يبدو سمعت ما تلّمح وتشير إليه "ريم" مرات فابتسمت ساخرة ولم تعقب.

"كريم": إنك تشبهينها.

"ريم": كما تشبه أنت أمك.

"كريم": لو لا أنها أو صتني بالصبر عليك لعلمتك الأدب.

"ريم": وبابا سيكسر لك فكك وتذهب لتبكي لأمك، أليس هذا ما سيحدث إن فعلتها؟

"كريم": حقيرة

"مريم": اسكتي يا "ريم".

"ريم": لا تتدخلي أنت بحديثنا، أو أقول لك؛ انضمي له واجري على أُمّك.

"مريم": وما العيبُ في ذلك؟!

"كريم": كما تجري أنت على زوجة أبيها.

"ريم": "سحر"!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"كريم": أنتِ حقيرة يا "ريم"، وإياكِ أن تتحدثي معي ثانيةً وإلا علمتك التحدث بأدب عن أُمّك والتحدث بأدب معي، أفهمتِني؟!
"ريم": لا أُريدُ أن... فقاطعها مُطلقًا صخبا في المكان، دفع الكرسي بقدميه والتفتَ إليها فانكمشت على نفسها متظاهرة بالثبات و"مريم" ثابتة في مكانها لم تدافع عنها أو تغضب على "كريم" لأجلها وقد انتبهت "ريم" لهذا بطرف عينيها وهي تنظر لـ "مريم" بضيق مكتوم.

في ساعات الليل المتأخرة تناهى لأسماعنا صوت ضحكات أبي وزوجته، لا أدري لِمَ شعرتُ بالضيق الشديد وكأني أسمع صوت ضحكاتهم لأول مرة! لقد صدقت أختي للأسف، إن "سحر" تنجح دائمًا في التودد إليه وعودة المسار الصحيح للبيت بَعدَ كُلّ صخب وأزمة، إنها تقوم بتوفير الهدوء والسلام لأجواء المنزل على حد وصف "ريم" وكما هو يحدث بالفعل!

يغضب "كريم" من تلميح "ريم" المستمر بعقد مقارنة بين أمي وزوجة أبي وأنا أيْضًا أستاء، ولكن الواقع محايد لا يعرف حكم العواطف، بالفعل "سحر" تنجح فيما لم توفق فيه أمي! الأمر ليس لتقصيرٍ من أمي ربما أبي يتقبل منها ما لا يتقبله من أمي ولكن هو يحب أمي! هنا استدركت "مريم" شيئًا، ونظرت مشدوهة أمَامها وهي تسترجع بعض الأمور ولم تكن بحال جيدة هي تود ألا تتذكر ما يدعم وجهة نظر "ريم" خاصة عندما تكرر قائلة إن الحب ليس بهام في العلاقات والأهم منه الذكاء، بل إن الحب في حد ذاته لا يُعوّل عليه، وهناك ما هو الأهم منه في علاقة أيّ اثنين، لا أحتمل أن تكون "ريم" محقة في ذلك، فبعاطفتي أرَى أمي الأفضل وأن المخطئ أبي لم يعطها فرصة وأنّه كان عنيفًا معها ويتعصب لأبسط الأمور أو أنها

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

قد أفرطت في عاطفتها على حساب تحكيم العقل في أغلب جوانب حياتها مع أبي؟! هذا الحديث يصيبني بالدوار ولكن بلا حياد "ريم" يجانبها الصواب فيما تقول، لا يرضيني هذا ولا يريحني لأن الحقيقة هكذا يقولون إنها عصية على القبول لأنها صعبة وقاسية وثقيلة في التقبل، وهل سأحاسب أمي؟! يكفي أنها شقت بسبب فهمها للعلاقة بين الرجل والمرأة، بالطبع شقت لقد تعبت وعانت كثيرًا مع أبي كان قاسيا وعنيفا معها، يتلذذ برؤيتها تبكي وتتأثّر من إهاناتها المتكررة، لِمَ لمْ يكن هو المخطئ؟ أوه من هذا الصداع، لا أُريدُ أن أفكر في هذا الأمر لا أُريدُ لا أُريدُ.

بعد ليلة شاقة قضتها "مريم" في التفكير في أسبَاب انهيار علاقة أبيها وأمها وكيف أن أمّها مخطئة بينما فاز أبيها بزوجة أخرى تفهمه وتعمل على إسعاده تقلبت في نومها وقامت مع ساعات الصباح الأولى مرهقة كأنها مريضة، ارتدت ملابسها وتوجّهت إلى مدرستها واجمة تنظر في الفراغ متجنبة الحديث مع زميلاتها في الباص متململة، وفَجْأةً طرأ على ذهنها خاطرٌ فأخذت تتلفت وتطل وهي تشب برقبتها في مكانها على الطريق وقد دبَّ الحماس والحيوية بكل جوارحها فالتمعت عيناها، ابتسمت وهي تطل على الطريق بعيون باحثة بينما الباص يندفع إلى الأمام في طريقه وهي تتبسم وهي تفتش في الوجوه بأمل.

أغلق "فؤاد" بوابة الحديقة خلفه في هدوء متجها إلى سيارته المتوقفة أمَام أسوار الفيلا، استقلها وانطلق بها. يلف فناء الحديقة الهدوء وسط نهار شمسه ساطعة تملأه أصوات العصافير المغردة وتمرح خلال المكان نسيم الصباح وتتمايل أفرع الشجر.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

لم تجد "سحر" شيئًا تفعله وهي تنهض من على السرير تستشعر كسلًا وضيقًا وهي تتقلب في مكانها تفكر في شيء تقوم من أجله ولكنها تظل في سريرها لا تفعل شيئًا، تمسح جبهتها بكفيها وهي تفتح أزرار بيجامتها وتنهض بتثاقل متجهة مباشرة إلى دولاب ملابسها وتفتح درجًا بقاعدة الطرف الأخير من الدرفة وتخرج من بين ملابسها مجلدًا من الورق مزخرفًا بأوراق ملونة بخلفية عسلية اللون أقرب إلى كرنفال تبدل أوراق الشجر في فصل الخريف، تخرجه واضعة إياه على طرابيزة في الجوار بجانب نافذة مطلة على الحديقة وتهرول إلى الحمام بَعدَ تردد وسط حماس للجلوس بجوار الطرابيزة تحت النافذة في جو من الهدوء يلف المكان، تخرج "سحر" من الحمام وهي تجفف وجهها بالضغط خفيفا على بشرتها وتتجه إلى الدولاب فتخرج فستانًا مشجرًا وتخلع البيجامة وتمسك الفرشاة وتمشط شعرها مترددة، أتجمع شعرها للأعلى أم تتركه منسدلًا على أكتافها؟ هو يصل حتى بداية كتفيها بقليل، فتتركه وهي تحرك رأسها فينتشر الشعر وينسدل على كتفيها وتتلفت بانتباه مأخوذة بخاطر مثقل وتتجه مباشرة إلى الدفتر وتخرج قلمًا من منتصفه مثبت من الداخل، تمسك القلم وتضع الدفتر على ركبتيها مستندة للخلف وتبتلع ريقها ويحتقن وجهها بالضيق وتزفر وهي تشرع في الكتابة، تتمايل وهي تكتب، تسابق خواطرها وأفكارها الحروف، تكتب بسرعة وهي مرتبكة تلاحق الأفكار والحروف، تتساقط الأفكار والخواطر حروفا في تسابق، رأسها مثقل يمتلئ بالخواطر، تكتب وتصل لآخر الصفحة دونما تدري فتجد نفسها يجب أن تنقل القلم لتكتب في الصفحة المقابلة والثانية والثالثة، تكتب مستغرقة في الكتابة، يهز النسيم شعر رأسها المنكفئ على الدفتر مستغرقة في

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الكتابة، ترفع بصرها عن الدفتر وهي تحك رأسها بأطراف أصابعها وتستأنف الكتابة من جديد، تضع الدفتر أمَامها على الطرابيزة وتستند للخلف وهي تزفر بارتياح وتداعب بيديها شعر رأسها، تحاول تذكر ما تضيق ولكنها تهبُّ واقفة متجهة إلى المطبخ تعود وهي تحمل صينية صغيرة عليها إفطارا وكوب من الشاي تجلس مكانها تتناول إفطارها بشهية وهي أكثَر ارتياحا ورضى ترفع الصينية إلى المطبخ ثانية وتبقى الشاي تجلس وهي تهُزّ رجلها بترقب ومن ثمة ترفع الدفتر ثانية وهي تحاول تدوين فيه الجديد وتقوم برفع الشاي بيدها الأخرى وترشف منه وهي تستجمع أفكارها.

"ريم" تقف أمَام المرأة تضع لمسة ميك اب على وجهها وتهم بارتداء ملابسها، تحمل حقيبة يدها الصغيرة وتخرج من الغرفة وفي، المرآة الملاصقة لباب الشقة تقف تتمم على هندامها فتتأمله بإعجابٍ وتخرج مباشرة وتغلق الباب وتمر عبر باب الشقة الكبرى وتترَدد في أن تطرق الباب فتتوقف أمَامه لبرهة ثم تخرج إلى الحديقة مباشرة.

تخرج في منصف وقت الظهيرة وتظهر "مريم" عائدة من المدرسة مسرعة في حالة رضى وسرور على عكس ما كانت في الصباح، تهرول وهي تدخل من البوابة المفتوحة قليلا وتمرق مباشرة إلى الداخل تلمح علب الفواكه وشنط الخضار المتنوعة على رخامة في جانب الحديقة في مواجهة الباب إلى اليسار قليلا تتجاهل وجودهم وأنها رأتها في نظرة اعتيادية وعند اقترابها من باب البيت يتناهى إلى سمعها صوت أحد العمال وهو ينادي على آخر ويدخل إلى الحديقة فتومئ برأسها في اطمئنَان وتدخل مباشرة إلى الداخل وتغلق الباب، بينما هي تمر داخلة إلى الشقة، يُفتح باب الشقة الكبرى وتسمع صوت "سحر" وهي تقول:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- لحظة، لحظة.. وتفتح الباب وتخرج إلى الحديقة بينما "مريم" تغلق الباب عليها بإحكام، تهرول إلى داخل الشقة فتلقي بحقيبتها جانِبًا وتهرول إلى غرفتها مسرعة، تفتح التليفون وتمرر رقمًا وتنتظر الرد وتقفز مكانها وهي تقول

"مريم": ألوو؟!

وهي تبتلع ريقها غير مصدقة لِمَا ستسمع وتنصت وعيونها تلمع بالفرحة وترتبك وهي تحاول المجاراة والرد.

تتأمل "سحر" علب الفاكهة في المطبخ وشنط الخضار المكدسة على رخامة المطبخ أمَامها بنفاد صبر وتنظر حولها بضيق وتزفر بضيق وتشرع في إفراغ العلب من محتوياتها مباشرة في رتابة واعتيادية.

"مريم" تتمدد على سريرها تضع تلفونها على صدرها ويديها فوقه وهي تنظر إلى سقف الغرفة مبتسمة غارقة في خيال، محلقة بعيدًا تبتسم وتغمرها من الأعماق فرحةٌ كبيرةٌ كأنها تطير محلقة في السماء غير منتبهة، بينما تدخل "ريم" التي تتفاجأ بوضعيتها تلك فتبتسم وهي تهُزّ رأسها في مكانها ولا تتكلم وتنتبه "مريم" لدخول "ريم" فتبتسم وتظل كما هي في وضعيتها قائلة:

مريم: هل جئت؟! وهي تتلعثم مازحة وهي ترمق هندامها بإعجابٍ مبتسمة بينما "ريم" تبتسم ولا تَرُد وتهم بتبديل ملابسها.

"ريم": لدينا ضيوف اليوم!

"مريم" وهي في وضعيتها تظن أنها تسأل بينما هي تخبرها فتقول "مريم": لا أعلم.

فتلتفت إليها "ريم" مبتسمة وتقوُلُ:

- أقوُل لك أن اليوم سيأتي إلينا ضيوف.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فتنهض "مريم" ببطء من مكانها تستطلع الأمر غير مهتمة وهي تقول:

- وما الجديد؟ فغالبًا يأتي إلى أبيك الضيوف.

فتبتسم "ريم" بجدية وتخبرها أن ثمة ضيوف من نوع وهدف آخر سيجيئون اليوم، فتنتبه لابتسامتها "مريم" وتقترب من "ريم" التي خلعت كُلّ ملابس خروجها وتهم بارتداء ملابس مريحة للبيت وتتأمل عينيها في عتاب وهي تخمن بدون أن تنطق فتبتسم "ريم" وهي تهُزّ رأسها لتؤكد تخمينها فيمتقع وجه "مريم" وتقولُ لائمة:

- عريس؟! فتَرُد وهي ترتدي ملابسها:

- نعم. "مريم" وهي تجذبها من كتفها:

- وكنتِ تعرفين؟ لمَ لم تخبريني؟

"ريم": أخبرتك

"مريم": الآن؟!

هل تلك الطريقة التي تخبرينني بها بأمر كهذا؟ على هذا النحو؟

"ريم": لم يحدث شيء بَعد، جاء وأخيه الأكبر ليراني وأراه.

"مريم": من؟ ولكن قبل أن أعرف من هو هل أخبرتِ ماما؟

"ريم": لا. وأخذت تزفر بضيق.

"مريم" بعتاب: لِمَ تفعلين هذا يا "ريم"؟ لِمَ تتعمدين ألا تخبري أحدًا؟

"ريم": أرجوكِ يا "مريم" لا أُريدُ الدخول في جِدال وحديث لا يجدي ولن يفيد، ستعرف ماما كُلّ شيء، لن أخفي الأمر ولن أتزوج في السر مثلا، وأنتِ ها أنا أخبرك الآن، ماذا في ذلك؟

تتأملها "مريم" بتأثّر وترتبك وتخفض بصرها وتخرج إلى خارج الغرفة وهي لا تدري ماذا تفعل. خرجت فنظرت لها "ريم" بلا مبالاة بينما تواصل ارتداء ملابسها وتمشط شعرها في عجالة وهي

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

مترددة، تود الخروج وتنتظر دخول "مريم"، ولمَا طال انتظارها استجمعت شجاعتها وهمّت إلى خارج الغرفة متجاهلة وجود "مريم" متوجّهة إلى باب الشقة الكبيرة، دقت الجرس، وفي مكانها "مريم" بقيت حائرة، ثم خرجت خلف "ريم" وكأنها تتوقع أمرًا فتنظر من فتحة الباب فتجد "ريم" واقفة أمَام باب الشقة الكبيرة تدق الجرس، تتجنب "ريم" الالتفات ناحية "مريم" بينما "مريم" كالمصعوقة تنظر لأختها وهي تبتلع ريقها بصعوبة ثم تدخل مسرعة إلى الداخل وتلقي بجسدها على السرير وتجهش بالبكاء وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة في غضب وحنق وتأثّر، تنتهي "مريم" من تفريغ نوبة ذهولها وغضبها بالبكاء ثم تقوم من مكانها، تخرج من الغرفة متجهة إلى الحمام مباشرة تفتح المياه بقوة بينما الباب يؤصد خلفها وتظل بالداخل بينما صدى صوت اندفاع الماء يطول!

بعد لحظات تخرج "مريم" بوجه مبتل وعيونها حمراء محتقنة بالدماء من أثر البكاء وتهرول خارجة، أطراف شعرها تقطر ماءً، وتعبر الصالة لتجد "كريم" داخلا من باب الشقة فينظر لها بدهشة وهو لا يفهم ما يجري، يستوقفها مناديا:

- مريم؟! مريم ما بك؟

يتراجع عندما يجد أن "مريم" أغلقت باب الغرفة خلفها بإحكام.

"مريم" مباشرة تتجه إلى التليفون ترفعه، تمرر رقما وهي ترتعش وبصوت يخالطه البكاء:

"مريم": ألو ماما "ريم" هتتخطب النهاردة..

ويعلو صدرها ويهبط والدموع تنساب على خديها وتقشعر جبهتها في أسى وهي تنصت عبر التليفون لأمها.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

تظل "ريم" بالساعات تتحدث في التليفون مع خطيبها بينما "مريم" تتظاهر أنها لا تنتبه وتنشغل في مذاكراتها متجاهلة ما يحدث، وتخرج مرات في الأُسبوع مع خطيبها، لم تنتبه ولا تريد أن تتوقف أمَام "ماجد" مع أختها ولكنها تفرح لرؤيتها سعيدة وتحتضنها في فرح وزهو أنها سعيدة وفرحة بخطيبها و"ريم" توقن هذا وتخبرها أنها صغيرة ولا تعي بعض الأمور لأنها صغيرة حتى أنها أخبرتها لِمَ لمْ تخبر أمّها قبل مجيء العريس. عللت ذلك إلى أن أبيها لن يختار لها عريسًا لا يناسبها، كما أنها لم تُرِد أن تكون محطّ صراع آراء الأب والأم حول مصير ابنتهما، هي لا تحب ذلك وهي تثق في اختيار أبيها، لم تراجعها "مريم" في ذلك وأُنصتت لها هي و"كريم" الّذي كان يرى كُلّ ما تفعله "ريم" خطأ وكان قليل الثقة في اختياراتها أو تفكيرها وكان هذا يفجر الشجارات ويجددها فيما بينهما، وبعدما أوصته ماما بأن يحترم "ريم" واختيارها ولا يدخل في جِدال معها فهي قد كبرت لم يقتنع "كريم" بما أوصته به ماما ولكنه طبق ونفذ، ولكن أنا التمس لـ"ريم" العذر فقد أقنعتني وجهة نظرها بالفعل، كانت ماما ليكون لها رأيٌ آخر في العريس، هو ثري ويهدي "ريم" الكثير من الهدايا وأهله أيْضًا عندما يجيئون إلينا في المناسبات يقدمون الهدايا الرمزية وتكون ثمينة بالفعل وأراها سعيدة ومرحة وراضية، يجب أن تفرح لكُلّ هذا أمي، ولم تحاول أن تبدي رأيًا يختلف عن رأي أبي في ذلك الموضوع حتى لا تجد "ريم" نفسها في حيرة إلى أيّ رأي تنحاز، فكان الأفضل أن يكون هناك رأيٌ واحدُ بخصوص هذا، وكما نرى هي سعيدة وخطيبها سعيد بها، إنهما يتحدثان مطولا، أحاديثهما لا تكاد تنتهي، يخرجان سويا مرة كُلّ أُسبوع وتعد طنط "سحر" صنوف شهية من الطعام كُلّما جاء ويخرجان للتنزه وتناول الغداء وأحيانًا

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

العشاء في المطاعم، أبي لن يختار لنا شيئًا يعكر سعادتنا، هو أيْضًا يعمل لأجلنا ولأجل راحتنا، بالأمس كان فرحا ومزهوا بنفسه لقد كسب عشرات الآلاف في قطعة أرض كبيرة، باعها واشترى بيتًا قديمًا على مساحة أرض كبيرة في مكان مميز سيقوم بهدمه وبناء عدد من الأبراج السكينة مكانه ويتاجر فيها، وثمن الشقة كما أخبرتني "ريم" -إذ كان يتحدث أمَامها- تبلغ مئات الآلاف من الجنيهات، أنا مزهوة بنجاحات أبي وبأن حياتنا مستقرة وهادئة، كُلّ شيء فيها يسير في نظام، وأيْضًا أمي تعيش بين أهلها سعيدة ومبسوطة، إنها تصغر في العمر مع الوقت، نحن نكبر وهي تصغر، تبدو كأخت كبرى لنا جميلة ونضرة ومشرقة دائمًا، هي اختارت أن تكمل حياتها بين أهلها ونحن مع أبي ومعها، بينهما حياتنا مثالية ومستقرة.

لا أقوُل هذا لأسكت تأنيب ضميري، ولكن لِمَ يؤنبني؟ لَمْ نقصر في حقها ولم نلغِ حضورها، فهي تعلم عنا كُلّ شيء، نحن نخبرها به، "كريم" وحده الّذي يخبرها بالأمر، مجرد التفكير فيه هو الأقرب إليها منذ الصغر، هو يحب هذا ويناسب طبيعته.

تتمدد "سحر" في فراشها وبيديها دفترها المزركش مستغرقة في الكتابة، تغطي خصلات شعرها الكثيف وجهها وهي مستغرقة في الكتابة، تتنهد وهي تكتب، تبتسم تارة وتارة يمتقع وجهها، تميل يسارا وهي تكتب، تتوقف برهة ومن ثمَ تنهمر الأحرف على الورق فتقلب صفحة وأخرى، تتنهد وتستند للخلف وهي تزفر بارتياح وتغرق في الشرود بعيدًا، تضع القلم في منتصف الدفتر وتقوم بغلقه وتقوم بهدوء واعتيادية متجهة إلى الدولاب تفتح درفته ثم الدرج وتضع الدفتر أسفَل رفٍ ذهبي من المطاط ومن فوقه بعض

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الملابس وتغلق الدرج ثم الدرفة وتتجه إلى الجانب لتسير باتجاه المطبخ فتفتح الثلاجة وتعود بكوب عصير.

وبينما تجلس "مريم" ومعها "كريم" وهما مستغرقان في مشاهدة التليفزيون، فيلم فنتازيا وأصوات الموسيقى تعلو وتنخفض وإيقاع الأحداث سريع والصور خاطفة وهما يحبسان أنفاسهما، فَجْأةً يتناهى صوت صراخ "ريم"، تصرخ في التليفون، يلتفت "كريم" إلى "مريم" بدهشة وفي حوار خاطف وسلوك متبع مع "ريم" يتجاهلا ما يسمعان ويواصلا مشاهدة الفيلم، "كريم" يتلفت إلى "مريم" وهو يشير بسبابته بدائرية في إشارة إلى تكرار ما يحدث من "ريم" فتبتسم "مريم" بجدية وتشير بكفها ناحية الغرفة، ناحية "ريم" في إشارة إلى أنه لا يعنيني في شيء، يأسا منها، وتظهر "ريم" بَعدَ لحظات على باب الغرفة تنظر لأخويها فتجدهما مستغرقان في مشاهدة الفيلم ولا أحد يلتفت ناحيتها فتقف لبرهة مترددة خجلة وبهدوء تتجه ناحية باب الشقة تفتحه وتخرج فيلتفتا لها في لوم ويتجنبان النظر لبعضهما ويواصلا المشاهدة وهو يمتعضان بلا تعقيب.

وتعود "ريم" في لحظتها وتغلق باب الشقة خلفها وتتجه إلى غرفتها

"كريم": لم تلحق؟!

"مريم": طنط "سحر" ليست هنا؟

"كريم": لذا عادت في لحظتها.

"مريم": كانت تنتظرها أمَام الباب إلى أن تعود.

فيضحك "كريم" مقهقها وتضحك "مريم" وهي تكتم صوت ضحكاتها وهي تنظر نحو الغرفة حيث "ريم" بالداخل.

لم يكد يمر وقت حتى سمعا صوت البوابة الخارجية يفتح وصوت توقف سيارة "فؤاد" فيقوم "كريم" من مكانه ويخرج وتظهر "ريم"

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

مرتكبة وتتجنب "مريم" الالتفات ناحيتها وهي تنظر أمَامها ممتقعة الملامح و"ريم" تنظر لها بحيرة وارتباك. عاد "كريم" بينما صوت الشقة الكبرى فتح وعلى الفور أغلق، "كريم" دخل وأغلق باب الشقة قائلًا وهو يجلس: لقد عاد.

وينظر ناحية غرفة "ريم" وهو يقول: بابا وطنط "سحر" عادا من الخارج فتجذب "مريم" ذراعه وهي تكتم ضحكها في نهي وزجر ممزوج بالمرح بينما هو يتكلم بِنَبْرةٍ ساخرة في جدية وهو ينظر ناحية غرفة نوم "مريم" و"ريم"!

ويظهر فاصل إعلاني ينتهزه "كريم" فرصة فيلتفت لاستجداء ومزاح "مريم" قائلا "كريم":

- أنا جعان حضري لنا سندوتشات وأعدّي كوبين من النسكافيه.

فتوافقه "مريم" الرأي فتهب على الفور في حيوية وبحماس متجهة إلى المطبخ، وفَجْأةً يتناهى إلى سمعهم صوت صراخ من خارج الشقة وصوت أبيهم غاضبًا وصوت "سحر" يتخلله صراخٌ غاضب فتخرج "ريم" مسرعة بينما "كريم" يظلُ جالسا وهو يلتفت خلفه يستطلع الأمر في دهشة وترقب وينادي بصوت خفيض وهو ينظر باتجاه المطبخ على "مريم":

- "مريم"، "مريم"...

فلم تَرُد، ويتجاهل وجود "ريم" تمامًا التي تقترب من باب الشقة وتنصت والصراخ مازال يتردد على أسماعهم فتحاول فتح باب الشقة لتخرج ويتسنى لها السمع فيهبُّ "كريم" من مكانه ويمنعها من فتحه وهو يقبض على يدها بقوة وغضب فتنظر له بضيق وتميل بأذنها لتسمعَ والبابُ موصدٌ، ويظل واقِفًا قبالتها لمنعها من تكرار محاولة فتح الباب، والصراخ يعلو وصوت أبيهم يعلو وتأتي "مريم" مهرولة

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

متوترة من ناحية المطبخ لتخبر إخوتها بينما تجدهم في ذلك الوضع والحال فتنضم لهما وتقترب من كتف "كريم" وتسمع ولكن لم يتسنَ لهم سماع الكلام فقط صوت الصراخ وصدى نبرات صوت أبيهم الغاضبة والعالية.

"مريم": ماذا يحدث؟

"كريم" يبدو أنهما يتشاجران.

"ريم": يا ترى لِماذا؟!

"مريم": أصواتهم عالية بشدة

"كريم": غريب؟!

"ريم": يا "كريم" سأسمع وأخبركم أُريدُ أن أعرف ما يجري

"كريم": لا نُريدُ هذا الباب أن يفتح، نحن اقتربنا من الثانية عشرة من منتصف الليل كيف نفتح الباب؟ آخر موعد له وأنت تعلمين العاشرة فقط.

"ريم": ولكن

"مريم": في الصباح سنعرف. ترمقها "ريم" بتهكم قائلة:

- من سيخبرك، بابا أم طنط "سحر"؟

"مريم": إن لم يخبرونا فلا نُريدُ أن نعرف -وبِنَبْرةٍ جادّة- "كريم" ارفع صوت الفيلم، سأذهب لإحضار الساندويتشات والنسكافيه ونتابع مشاهدة الفيلم.

تنظر لها "ريم" بغيظ وضيق وتحاول الاقتراب من الباب لتنصت ثانية وتسمع خاصة وأن الشجار مازال مستمرًا ولكن "كريم" يرفع من صوت التليفزيون فتنظر لهما بحنق وتظل واقفة مكانها حائرة، يلح فضولها في معرفة ما يجري خلف الجدار الذي يفصل بينهما، وبابين من الخشب!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

مر أُسبوع على أصوات صريخ وغضب "فؤاد" ولم يدرِ بهما أحد، يتناولا الإفطار معًا ولا يبدو على أيٍّ منهما شيء وسط فضول كبير من "ريم" لتعرف ما جرى، لم يهتم "كريم" ولا "مريم" بمعرفة ما حدث، تنتبه "سحر" إلى دفترها المزركش على حافة الطرابيزة مفتوحا فتهرول قادمة من ناحية المطبخ تحمل العصير وتضعه جانِبًا وترفع الدفتر وتدخله في الدرج وتغلق الدرفة ومن ثم تجلس في مكانها باسترخاء، تتناول العصير بتلذذ وهي تهُزّ رجلها الموضوعة على الأخرى بتوعد وضيق وهي ترشف من العصير رشفة أخرى.

في عصر اليوم بينما "ريم" عائدة من كليتها تحمل بعض الكتب وتبدو مهمومة تدلف إلى الحديقة وهي مرهقة متعبة وتتجه مباشرة إلى الداخل، تترَدد أمَام باب الشقة الكبرى وتتوقف وتهم بدق الجرس ولكنها تترَدد وهي تتأمل الباب المؤد باستجداء وتأمل في شيء ولكنها تتراجع وتمْضِي مباشرة إلى الشقة الأخرى.

ترفع التليفون وتجري مكالمة في إصرار وجدية وتجلس على حافة سريرها لتبتسم ولا تجد ردًا، بينما تنظر فتهب واقفة وتسير في الغرفة وتكرر الاتصال وتنتظر الرد وهي تسير جِيئةً وذهابًا. تهرول "سحر" باتجاه الباب لتفتح فيظهر "فؤاد" وهو يتأملها مبتسمًا ويدخل فتميل على كتفه فيطوقها بذراعه ويدلفا إلى الغرفة وهي تتدلل عليه فيُلقي بنفسه على الأريكة وهو يتنهد، تتأمله وهي تقف في مكانها وتسأله:

- أحضر الغداء الآن؟

"فؤاد" يتأملها برغبة ويهم بالوقوف بصعوبة فتلقي بنفسها عليه وهي تضحك فينفجر ضاحكا هو الآخر!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

في الثامنة جلسنا نتناول العشاء وقد تخلف "كريم" بينما كانت "ريم" ترمق طنط "سحر" بنظرات من الضيق لا أعلم السبب وقد انتبهت هي لتلك النظرات ولم تنظر إليها فقد التفتت الجهة الأخرى وهي تواصل تناول طعامها في تأني وبطء، وكانت شهية أبي مفتوحة ويأكل بنهم، لم يسأل أبي عن "كريم"؛ ففي المرات التي يكون فيها لدى ماما يتجنب السؤال أمَام طنط "سحر"؛ بل يظهر أنه لا يهتم، تعودنا على هذا منه وهذا يروق لنا لأنه يتعمد أن يظهر أمَامها تصرفًا معينًا في بعض الأمور ليظهر لها مدى الحزم والجدية في التعامل، مع أن أبي ينسى الكثير مما يهمنا ليسأل ويهتم به! وواصلت تناول طعامي وبعدها قدمتْ لنا طبق من الحلويات الشامية المنوعة، لقد صارت تصنع انواعًا جديدة من الحلويات الشهية التي تجيد صنعها، أكلت منها قطعة واحدة وامتدحت جودة صنعتها وسط ابتسامة أبي ولا أدري لِمَ نظرتْ لي ريم بضيق ولكني تجاهلتها.

بعدها توجّهت إلى غرفتي مباشرة لاستذكار الدروس واستغرقت في المذاكرة ولم أنتبه إلى عودة "كريم" ولا إلى وجود "ريم" في الصالة ولمّا عمدت إلى أخذ جزء من الراحة وجدت "ريم" تتضاحك مع "أيمن" في التليفون فابتسمت مستغربة ومضيت إلى المطبخ أعدُّ نسكافيه فوجدت ضوء غرفة "كريم" مضاءً فطرقتُ الباب ودخلت، سألته عن ماما فأخبرني أنها بخير والجميع يرسلون السلام لي ولـ"ريم"، فقد مَرَّ أُسبوعان لم أذهب لماما فيهما بناءً على رغبتها، فقد قالت ابقي في البيت وذاكري دروسك جَيِّدًا مع إن الامتحانات يتبقى عليها شهران إلا أن كلام أمي وإلحاحها جعلني أستشعر وأدخل في حالة أن الامتحان يزحف ويقترب ولا وقت أنفقه في شيء سوى المذاكرة حتى الذهاب إليها.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وأثناء المذاكرة وأنا أرشف من النسكافيه طرأت على ذهني فكرة؛ كيف أن "أيمن" و"ريم" يتصالحان بتلك السرعة وتذوب خلافاتهم، بالأمس كانت تصرخ واليوم معه تضحك؟! كما كيف تكون تعاملهم يتخلله الانفعال الشديد والغضب المفرط في الخلاف كيف يتصافيان كليا على هذا النحو بَعدَ كُلّ تجاوز منهما في حَقّ الاخر؟! ولكنهما يتصافيان ويتنزهان ويعاودان الحديث لساعات حتى الصباح في التليفون، يتحدثان كثيرًا ويضحكان كثيرًا وأيْضًا يتشاجران كثيرًا، هل هكذا العلاقة بين الرجل والمرأة؟

لِمَ أنا عندما أختلف مع "يوسف" تطول فترة خصامنا وتتأثّر علاقتنا؟ لِمَ لا يذوب خلافنا بتلك السرعة كما مع "ريم" و"أيمن"؟!

في الحقيقة يجب أن أزور أمي وأجلس معها، هي تستطيع أن توقف سيل الاسئلة الّذي يجري في خاطري ويشق تفكيري، سأذهب وأعود في نفس اليوم فهذا يؤثر على تركيزي في المذاكرة، ولكن ماذا سأقوُل لأمي؟ هل أ قُولُ لَها أنّي أحب؟ إنها تعلم. هل أقوُل أنّي في خصام مع من أحب وكيف أتصَرَّف؟! ستنهرني كما أنّي أخجل أن أخبرها بتلك التفاصيل، أود أن أعرف كيف يتعامل الرجل والمرأة، أنا لست امرأة ولكني بنت كبيرة وهو رجل، بالفعل هو رجل شاب، والرجل الشاب "يوسف" يطيل الخصام ويريد أن أصالحه أنا في كُلّ مرة نختلف بها، لن أخبرها بالطبع بأيّة تفاصيل ولكنني أُريدُ أن أعرف الطريقة المُثلى في التعامل بين حبيبين.

لم أسأل "ريم" رغم أنها تجيب ولكني لا أثق كليةً في آرائها، أو بالأحرى بت لا أثق في آرائها، لن أخبرها ولن أسألها ولن اذهب لأمي ولن أصالح "يوسف"، سأتصَرَّف بما أراه يناسبني وأنّه صحيح أني سأتركه، هكذا هو من أثار غضبي، لن أفعلها أنا كُلّ مرة وأصالحه

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فليفعلها هو ولو مرة؟! وما التصرف الأسلم والصحيح؟ هل من الحرص عليه والتقدير له أن أبادر أنا؟! وأن الذي يحب الآخَر ويقدره أكثَر عليه أن يستوعبه أكثَر ويقدم أكثَر حتى لا يفقده؟! عقلي سينفجر من التفكير.

تتنهد بضيق وتزفر قائلة: لن أصالحه، لن أصالحه.

وتخرج مندفعة من الغرفة تاركة كتبها على المكتب.

وفي الوقت الّذي كنت أنوي وتراجعت عن زيارة أمي لإنهاء ووضع حد لثورة خواطري اجتمعنا على غير موعد وذهبنا جميعا إلى تيتا كاملة جدتي لبابا، كانت مريضة، هناك وجدت أعمامي وعمتي وأولادهم فاطمأننا عليها وجلستُ طيلة النهار مع بنات أعمامي، قضينا كالعادة وقتًا ممتعًا وشيقًا وعرفنا آخر أخبار كُلّ واحدة منا والتي نعرفها عن بعض أول بأول، فنحن نتقابل يوميا في المدرسة وسهام ابنة عمي زميلة لـ"ريم" في المدرسة، ولكن "ريم" وهي لا تتفقان، في الغداء تناولنا الغداء البنات معًا والرجال معًا ونسوة أعمامي معًا، لهم نظام غريب بعض الشيء ولكنه ساري منذ كنت طفلة قبل أن تذهب أمي من هنا كانت تحبب إلينا هذا الجمع وترحب به ولكن أبي كان ينهي اليوم بتوجيه الإهانات المتعمدة إليها، كان يصرخ على طبق أو كوب من الشاي! كانت ترتبك بشدة وتنسحب بنا من المكان مبتسمة في انكسار، لم نكن نفهم شيئًا، كنت وقتها صغيرة، أعرف أنه غاضب وأنها تبكي ولكن لم أدرك وقتها كما فيما بَعدَ، تيتا كاملة كانت تقدر أمي بشدة حتى أنها لتخطئ في اسم "ريم" وأمي، والطريف أن هذا حدث مرات أمَام طنط "سحر" التي كانت ترتبك بشدة وتلعن تيتا في سرها، كانت عيناها تفيض بالغضب، لعل هذا أول سبب دفع طنط "سحر" لكره مجيء تيتا عندنا، كانت زياراتها لنا مقتضبة وقصيرة

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وأشعر أنها غير مرتاحة ملثما كانت أيام أمي، كانت تلك من الأشياء المعدودة التي تفقد طنط "سحر" فيها هدوءها وقدرتها على السيطرة على أعصابها، كنت تثور في وجه تيتا في غياب أبي ولم نكن لنخبره كما قالت ماما التي كانت تضحك ساخرة وهي تستمع لِمَا نسرد من مواقف بين طنط "سحر" وتيتا "أنوار"، كانت تتعصب وتنفعل عليها بشدة وترمقها بنظرات غضب كما كانت طنط "سحر" لا تبذل أدنى مجهود لكسبها، فمنذ اليوم الاول الّذي وقع نظر تيتا والتي جاءت بَعدَ أُسبوعين من زواج أبي بها لزيارتنا وهي تزمّ شفتيها وتتأمل قوامها بامتعاض وكل شيء تفعله، التفاتتها ضحكاتها، لقد بالغت تيتا في التعبير عن رأيها في زوجة ابنها وتجاهل أبي ما يحدث بينهما مع أنه لم يكن ليتجاهل هفوة تصدر من ماما، كان يبالغ الحقيقة في ردة فعله، لا أدري ربما يرجع السبب لأمي كما تقول "ريم"، ولكن اليوم لاحظت تحسنًا ملحوظًا في معاملة تيتا "أنوار" وطنط "سحر"، كانت تمسك بكفها برقة وهي تجلس بجوار سريرها على الكرسي وذلك بعدما خرج أعمامي ليجلسوا معًا في الصالون.

جلست على ركبتي أمَام سريرها وأنا أتأملها بحب وتأثّر، كانت شاحبة وواهنة، مسحت على شعري وجذبتني لتقبلني، كانت شفتاها ترتعشان، خشيت عليها أن تموت، برغم معاملتها السيئة لأمي إلا أنّي أحبها، وللحق لم تحاول أمي أن تغير من عاطفتنا تجاه تيتا "أنوار"، قضينا اليوم بأكمله هناك وعدنا في وقت متأخر. كنت مرهقة ولم أنتبه من نومي إلى قبيل الظهر وفاتني موعد الإفطار و"كريم" قد سبقني إلى الإفطار هو و"ريم" وتركوني نائمة وقد خرج لملاقاة أصدقائه في النادي القريب من بيتنا بينما "ريم" ممسكة

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

التليفون على أغلب تقدير منذ ساعتين مضوا كالعادة، فتلك جرعة قبل الظهر إلى أن تأتي أربع أخرى ولا أدري فيما تتحدث كُلّ هذا الوقت مع "أيمن" خطيبها؟!

لم أذاكر ليلة أمس ولا اليوم فأنا مرهقة، لقد رأيت أن أطلب من أبي أن أذهب لرؤية أمي والمبيت عندها فقد مَرَّ أُسبوعان وأكثَر ولم أرها، وبالفعل أكلت ساندويتش وتوجّهت إلى أبي لأخبره، ظل الجرس يرن ولم تفتح طنط "سحر" فعدت إلى الشقة وفتحت التليفزيون، أخذت أقلب بالريموت في القنوات ولكن مزاجي لا يريد مشاهدة التليفزيون الآن فعاودت الذهاب إلى أبي بَعدَ مرور نص ساعة وقمت بالضغط على الجرس وعندما لم أجِد ردًا عدت ثانية وجلست أمَام التليفزيون وحاولت أن أحول مزاجي لأنشغل في المشاهدة حتى يأتي أبي وأخبره، ولكن لن أظل مكاني هنا، فقمت وخرجت من الباب إلى الحديقة مباشرة مارة بباب الشقة الكبيرة، ولم أعاود رنين الجرس، فضلت أن أنتظره في الحديقة، إن كان بالداخل فإنه سيخرج وإن كان بالخارج فهو سيمر عليّ.

سارت "مريم" في الحديقة بخطى بطيئة تتجول متلفتة حولها تدور في المكان وبينما هي تسير متجولة وقع نظرها على "سحر" تطل من النافذة المطلة على الحديقة وتساءلت لِمَ لمْ تفتح لي؟ حتى وإن كان أبي ليس بالداخل، ولِمَ هي شاردة هكذا؟ ربما لم تسمعني، ومضت في طريقها تسير مبتعدة ولم تبالِ، لِمَ لمْ تفتح؟ إن كان أبوها بالداخل لكانت فتحت بالتأكيد! تناهى لها وهي تتجول صوت "ريم" من الداخل تنادي عليها فتمهلت ربما ستخرج إليها، وبالفعل خرجت "ريم" ممسكة التليفون وهي مازالت تنادي على "مريم":

"ريم": "مريم"؟ "مريم"؟

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم" من مكانها في الحديقة ردت بِنَبْرةٍ هادئة ثابتة فاتجهت "ريم" نحوهما مباشرة وهي تقول:

- متى ستذهبين إلى ماما؟

استغربت "مريم" ولم تَرُد فابتسمت "ريم" على استحياء وقالت:

- أوَدُّ أن اذهب إلى هناك مع "أيمن"، فهو يريد أن يذهب معي إليها.

"مريم": لِمَ؟!

باستنكار تأملتها "ريم" ولم تعقب.

"مريم": أخبريني لمَ؟!

"ريم": يريد أن يتعرف عليها.

"مريم": وإن علم بابا؟ ألم تقولي لي هذا من قبل؟

"ريم": لن أخبره.

فرمقتها بضيق بالغ وقالت: لعلمك أُمُّك قالت لا أُريدُ أن أرَى أيّا منكما

"ريم": هل قالت هذا؟

"مريم": وقالت إنك محقة في أن تخافي من غضب أبي في حال علم أنكم جئتم مع "أيمن".

"ريم": لمَ تقول ماما هذا؟

"مريم": لا أعلم، هي دائمًا تظلمك يا "ريم"!

"ريم": لا أحتمل تلميحاتك السخيفة.

"مريم": أليس هذا أسلوبك، تنتقين ما تفعلين وتتجنبين ما يغضب أبيك؟

"ريم": وهل هذا خطأ؟

"مريم": ماما قالتها ليس بخطأ، ولكنها لا تريد أن تذهبا إليها وقالت استأذني من أبيك مسبقًا.

"ريم": سنذهب ولن أخبره وإياك أن تخبريه أنت يا "مريم".

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم": هل هذا تهديد أم أمر؟

"ريم": حتى لا يغضب فقط.

"مريم": أنت.

"ريم": قوليها أنت الأخرى مثل أخيك.

"مريم": لا لن أقوُل شيئًا، تفضلي افعلي ما تشائين، فأنتِ عقل مدبر كبير تفهمين كُلّ شيء بينما أنا ساذجة لا أفهم شيئًا وأتعثر في شئوني.

"ريم": لم أقُلْ هذا وليس هذا مناسبًا للنقاش في كُلّ ما تقولين.

"مريم": تفضلي حضرتك!

"ريم": حضرتي! "مريم" إن علم "كريم" أخبريه ألا يخبر أبي رجاءً

"مريم": حاضر.

تميل "ريم" وتقبل خد "مريم" وهي تبتسم برضى واستجداء بينما "مريم" يملأ عينيها السخط المكتوم والاستنكار وتنظر لـ "ريم" وهي تنطلق مندفعة إلى الداخل ثانية بضيق واستياء.

تواصل "مريم" السير في الحديقة بخطى أكثَر بطئا وهي تتدحرج على أفكار ثقيلة تساقطت على خاطرها وهي تسبح في حيرتها مُجدّدًا وتنتبه على إثر خاطر مفاجئ، وعلى إثره تلتفت باتجاه النافذة التي كانت تطل منها "سحر" لترى هل مازالت في مكانها واقفة تطل منها ولكنها لم تجدها واقفة فتلتفت ثانية وتواصل سيرها متأملة أرجاء المكان حولها وهي ترمق كُلّ شيء بحيرة أقرب إلى التشكك وتغرق في شرودها وهي تسير على غير هدى في أرجاء الحديقة بمفردها.

"ريم" تلبس ملابسها على عجالة وتضع الميك اب وتمطر ملابسها بالعطر وترفع حقيبة يدها وترفع التليفون وتتصل برقم وفَجْأةً تَرُد

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"ريم": بابا أنا ذاهبة لرؤيا ماما ولن أتأخر، ساعتين وأكون هنا.
وتنصت قالت كلامها دفعة واحدة كمن يلقن لا من يطلب وقفزت في مكانها بَعدَ الرد مباشرة وانطلقت خارجة من الغرفة تحكم تعليق حقيبتها على كتفها وفي اليد الأخرى التليفون وتطلب رقمًا آخر وصائحة مُجدَّدًا: "أيمن" أنا جاهزة الآن، انتظرني بأول الطريق بجوار الكافيه المؤدي إلى شارعنا، أنا خارجة من البيت الآن.
وتندفع خارجة من باب الشقة تاركة الباب مفتوحا وتهرول خارجة على عجالة. تمر "ريم" ب"مريم" وهي تبتسم مبتهجة تتبختر في مشيتها وعينيها تملأها نظرات الانتصار بينما "مريم" تنظر لها بترقب صامتة وقد أدركت أن أبيها وافق على أن تذهب إلى زيارة أمّها بينما هي من كانت تريد أن تطلب منه أن يسمح لها بالذهاب إلى هناك ولكن سبقتها "ريم" ومع خطيبها دون علمه، تنهدت "مريم" بضيق وبلا حيلة فلا جدوى من الضيق وإن أصرّت على الذهاب كيف ستذهب معهما إلى هناك وهي تتوقع أن أمّها ستكون مستاءة بتلك الزيارة غير المتوقعة والمفاجئة، التفتتْ "مريم" لتدخل فقد وجدت أن انتظار أبيها كان بلا جدوى من البداية، فهي لن تذهب إلى أمّها فتوجّهت إلى الداخل لتدخل مباشرة إلى غرفتها، بَعدَ لحظات تناهى إلى سمعها صوت "سحر" فقامت من مكانها مباشرة متوجّهة إلى خارج الغرفة، لم تجدها فوقفت مكانها لعلها تعود وتجدد النداء فلما لم تأتِ ذهبت "مريم" باتجاه باب الشقة الكبير ونادت من الخارج طنط "سحر" فلم تجبها ولمحتها من فتحة الباب متواجدة في الحديقة، لمْ تكن في مزاج يسمح بأن تتساءل أو تنتظرها فالتفتتْ ودخلت إلى الشقة ومنها إلى غرفتها مباشرة وظلت تترقب مجيئها ثانية ولكنها لم تأتِ فاطمأنت في جلستها محاولت استذكار دروسها

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

لاستثمار ما تبقى في يومها من وقت، ولكنها كانت ساخطة وتشعر بالضجر، وتناهى صوت "سحر" من جديد:

"سحر": "مريم" الغداء جاهز، نادي "كريم" وتعالوا.

فقامت "مريم" من مكانها متململة، كانت تود لو لم تأتِ ثانية ولكنها قامت وتوجّهت إلى هناك وجلست إلى الطاولة بغير شهية لتتناول الطعام مع "سحر" بمفردهما بعدما علمت أن أبيها يتناول الغداء بالخارج مع عملاء و"كريم" لم يعد من الخارج بَعدَ فأكلت بغير شهية.

انتهيت من غدائي وقمت من مكاني فبادرتني طنط "سحر" بسؤال وقلما توجّه لي سؤالًا، فهي تجيد الانصات ولا تقوم بتوجيه الأسئلة، سألتني عن قريبة بابا التي دعت بابا والأسرة إلى حضور حفل زفاف ابنها واستغربت لأن "سحر" قد حضرت الحفل بصحبة بابا وكان هذا تقريبا ليلة سماع الصراخ والشجار الّذي تناهى إلى سمعنا يومها فارتبكت وقلت لها أنها ابنة عم أبي فهزت رأسها متسائلة في فضول:

- هل هي سيدة طيبة؟

فلم أفهم فسألت: كيف؟

فقالت: هل هي سيدة جيدة؟ وقريبة الصلة بأبيك وبكم والأسرة فيما بينهم يعتادون على توجيه الدعوات في مناسباتهم العائلية؟

فاستشعرت أنها ربما تغار على أبي ففعلت كما كانت تفعل أمي وحاولت بكل إمكان أن أزيل تلك الفكرة عنها حتى تطمئن، فما جدوى أن تشتعل نار الغيرة بداخلها؟ لا جدوى لأية إجابة ولو عفوية أن تزيد حالتها سوءا، فلقد لمست أنها حائرة ومضطربة من الداخل، وبالفعل طمأنتها قائلة إن أبي يقدر أقرباءه ولأنه خدوم ويسدد الخدمات والمجاملات فأكثَرهم يودون أن يردوا مجاملاته، فابتسمت "سحر" وشعرت أنها قد اطمأنت وهدأت، استأذنتها لأذهب ولكنها طلبت أن

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

تحضر لي العصير من الداخل، فابتسمت، إنها تعاملني كطفلة وتود مكافأتي على ما قُلت ربما هذا! فانتظرت وسمعتها تعد طازجا بالداخل ولما تناهى صوت ورأيت أن أجلس حتى لا أظل واقفة ونشربه معًا ونحن جالستان سويا وقبل أن أجلس لمحت دفترًا بنيّ اللون بغلاف مزركش على الطرابيزة أسفَل الأريكة الملاصقة للنافذة المطلة على الحديقة، هممت بإبعاده لإفساح مجال لصينية العصير ولكني تراجعت كما أنّي تذكرت أن عليّ أن أشرب في الشقة حتى لا تطيل الجلسة وتوجّه لي أسئلة جديدة، فعدت إلى مكاني وتناولت كوب عصير المانجو ومضيت خارجة من شقتها وضحكت على تقديمها كوب عصير لي، لم أخبرها أن تلك القريبة كائنًا ثرثارًا لأقلق منه وكنت راضية عما تركت طنط "سحر" عليه وجلست أتناول العصير أمَام التليفزيون وسمعت صوت بوابة الحديقة يفتح محدثا صوت فأدركت أن "كريم" قد عاد فسررت، إذن سنقضي الوقت سويا، فضلا عن أن أقضيه بمفردي، كما أنّي سأخبره عن ذهاب "ريم" مع "أيمن" إلى ماما وهو بدوره لن يخبر أبي ولكن أنا لا أفهم ما تقصده "ريم" بألا تخبر أبي، ولِمَ يغضب أبي ولِمَ لا تريد أمي ولِمَ أنا منشغلة بكل هذا؟ ورغم أنه يشغلني لا أجِد إجابة وأُريدُ لو يشاركني أحد في حيرتي ودائرة تساؤلاتي، فمن أفضل من "كريم"؟

"كريم": السلام عليكم.

"مريم": وعليكم السلام. أجهز لك الغداء؟

"كريم" لا، تناولت الغداء مع بابا وعملاء معه في المعرض.

"مريم": هل كنت في المعرض؟ كنت أظنك في الملعب..

"كريم": بَعدَ الملعب توجّهت إلى المعرض، لم أمضِ وقتًا طويلًا هناك ولكنك كنتِ نائمة عندما خرجت، لِمَ نمتِ كُلّ هذا؟

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم": كنت مرهقة. اجلس يا "كريم"

"كريم": سآخذ شاور وأعود إليك على أن ترتبي أفكارك ومن أيها سنبدأ. فضحكت "مريم"، لقد أدرك "كريم" أنها تود الحديث معه، ودخل "كريم" إلى غرفته وهو يقهقه وسأل بلا اهتمام:

"كريم": ريم! أين هي؟!

"مريم" بتردد ذهبت إلى ماما..

"كريم" ملتفتا وعاد من مكانه.. ولِمَ؟

"مريم": لقد سألتها نفس السؤال.

فضحكا الاثنان

"كريم": معك حَقّ تسألينها، أختك هذه أمرها عجيب، ماذا تتوقعين من بنت تتخذ زوجة أبيها قدوة لها؟

"مريم": "كريم"!

"كريم": أليست هذه الحقيقة؟!

"مريم": هل يعجبها سمات في...؟ فيثور "كريم" وساخرا ويقاطعها:

- الحديث بخصوصها لا يجدي ولا يسمن من جوع، سآخذ شور وأعود.

"مريم": طيب.

ابتلعت "مريم" ريقها بصعوبة وهي تسترجع جملة "كريم" وهي تقشعر جبهتها غير مستوعبة لأن تكون هي الحقيقة بالفعل، وترنحها إزاء الاقتناع بأسبَاب وتبريرات "ريم" ولكن ليس هذا هو العنوان، لِمَ تنتهجه "ريم" في تصرفاتها؟ تغرق "مريم" مُجدَّدًا في لجة الحيرة والتساؤلات، هي تهرب من العنوان الّذي يرسم معنى أن تعجب وتقلد وتقنع بآراء "سحر" وتطبقها وتجدها "مريم" هي الأخرى منطقية خاصة في كُلّ علاقة حب لا تكتمل معها تعود إلى آراء "ريم" التي تقلل من قيمة وقدر الحب والّذي بالفعل لم ترَ منه

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم" إلا الخيبة والخذلان بخلاف ما تخبرها به أمّها أن كُلّ ما نمر به وإن كان مؤقتا فهو مكسب لنا وإضافة، تجد "مريم" نفسها في حالة الحيرة المتجددة بين ما هو يريحها فيما يخصها وبين ما تقوله أمّها وسط انهيار علاقتها بأبيها، بأيهما تهتدي؟ بما تكرره على مسامعها "ريم" والتي تتبنى فيه وجهات نظر "سحر" والّذي قد يقلل خيباتها ومرات الخذلان التي تتجرعها؟ أيهما تتبع وتطبق؟ من تمتلك الحلول الأكثَر عملية ونجاحا؟ بينما كلمة "كريم" قد ضايقتها؛ إذ أن معنى أن تلتمس الحل لِمَا تعاني يعد اقتداءً بغير أمّها وهي تجده ثقيلا على نفسها، قد تود أن تعمل به ولا يعد عملا بوجهة نظر أخرى غير الأم وهذا جزء مما يدفعها في مركز الحيرة من وقت إلى آخر.

أمي نفسها عندما أخبرناها بَعدَ مرور فترة من تركها لأبي أنه سيتزوج تنفست الصعداء وابتسمت وصممت من جديد، هكذا تفعلها، لعبة الصمت! وأردفت قائلة كأنها ارتدت ثوبَ واعظٍ:

- عليك بمعاملتها معاملةً طيبة. فنظرت لها "ريم" ساخرة، لم تنتبه لذلك أمي، كانت تنظر لها كمن يقول حتى يقول الناس أنك أحسنت التربية! اتضح لنا وسط استغرابنا وأولنا "ريم" أن هذا من أجل أن تسير الحياة في البيت هادئة وسيتسنى لنا مواصلة دروسنا وحياتنا بلا صخب ولا شجار، مضيفة أنه سيتزوج هذه أو غيرها، لابد له أن يتزوج، ولمّا لمْحت على وجه "كريم" الحنق وجهتْ كلامها مباشرة ناحيته قائلة: خير له أن يتزوج ويعرف الجميع أن لديه زوجة عن أن يتهامسوا أنه يعرف امرأة، الزواج كان مؤجلًا، كان يهدف إلى أن أفكر وأعود ولكنني لن أعود فاستسلم واتخذ قرار الزواج، عليكم أن تتعاملوا معهم كما تتعاملون بلطف وتهَذُّب، هي جاءت لأبيكم ليس من أجلكم معاملة طيبة في أضيق الحدود أنتم كبار لن تراعاكم أم

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

تحضر رضعاتكم، أنا من قمت بتربيتكم، هي جاءت له، وبِنَبْرةٍ حزم من مصلحتكم ألا يكون هناك شجار معها أو معاملة سيئة من أجلكم أنتم، أنتم في مرحلة تحتاجون إلى تفرغ في جو هادئ لدروسكم وتعليمكم كما وأنّه ولأنكم قد كبرتم فلكم انشغالاتكم وطبيعة سنكم وهي سترحب بهذا أيْضًا، لا أحد يحب إثارة المشكلات من حوله. نظرت "ريم" لأمي بتفحص ولم ترمش أنا كنت أتابعها جَيِّدًا وأُنصت لكلام أمي الّذي لا أكاد أنساه كُلّما شب بوادر شجار، وسرعان ما أُطفئه وأخمده لتذكري كلماتِها أنه من الأفضل أن نوفر جوًا أفضل للجميع فما من فائدة للشجار بالفعل؟ وكما رسمت لنا أمي الطريقة في معاملة زوجة أبي سرنا جميعًا حتى "ريم" التي ظننت أنها لن تطبق هذا فهي تحمل سخطًا كبيرًا على أمي وتحاول دائمًا أن تشرد عنا! ولعل هذا ما قربها إلى طنط "سحر"، تجالسها كثيرًا، كان على أمي التي استقبلت الأمر بمثالية وبلا مبالاة هكذا أن تتسامح في أيّ تقارب بيننا وتأثّر وتأثير، كان عليها أن تستعد لهذا كما عليّ ألا أراجع نفسي وأُؤنبها على أيّ تفهم لوجهة نظر عن طنط "سحر"، إن ماما بَعدَ تركنا بلورت حياتها ووجهتها حيث توفر لها الراحة والامان فهي أحيانًا تقول إنها الآن أكثَر راحة وأمانًا، كيف وهي بعيدة عنا؟ لا أدري لعلها تقصد بانفصالها عن أبي، كان يؤذيها بشدة، ولكن لِمَ شملت الراحة والأمان كُلّ جوانب حياتها بلا وجودنا؟ فنحن هنا وهي هناك! كُلّمَا مررتُ بضيق والتفتُّ هنا ولا أجِدها تمتلئ نفسي بالمرارة والسخط عليها، وأحيانًا ألتمس العذر لـ "ريم" التي تصف أمي بالأنانية والساذجة وتقارنها بـ "سحر" كثيرًا، لا تتجرّأ على أن تفعلها أمَام "كريم" ولا أدري لمَ، أستغرب له لِمَ تلك الحماسة والغضبة لأمي وهي التي تركته هو الآخَر! ها نسيَ ما يقوله أبي مرارًا؟ ماذا

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ستقول لزوجتك وأولادك عندما تكبر؛ أين أُمّك؟ أمي مطلقة! ينظر له "كريم" مستهجنًا أيْضًا هو لا يدرك أن أبي محقٌ، لقد وضعتنا في مأزق لتريح نفسها من معاملة أبي لها، إن تقدم "معز" لخطبتي ماذا سأقوُل لأهله؟ عفوا، أمي ليست هنا لترحب بك وبأهلك فأمي مطلقة تستقر في بيت أهلها؟ الصداع يكاد ينسف رأسي، لو كانت موجودة لسألتها الآن وفي اللحظة، لِمَ تفشل قصص حبي يا أمّي يا حالمة؟ ليس ذنبها ولكني أكره من نفسي ذلك الجانب الّذي يشبهها، ماذا سأفعل إن تركني معز وابتعد وولى وهرب منّي؟

تلك الأم الأنانية الباردة: أخبريني؛ إن قصدتُ طنط "سحر" في أمر هل ستغضبين؟!

لن أهتم بغضبها، هي تحيا هناك كما تريد هي اختارت راحتها على راحتنا. أحيانًا يملأني الكره لها ولنفسي ولـ "يوسف"، أكره الجميع..

تدفع "ريم" الباب وتدخل متعجبة وهي تحمل تليفونها وباليد الأخرى ترفع شعرها.

"ريم": هل جننت؟! تتحدثين مع نفسك؟

"مريم": نعم جننت.

"ريم": لا أقصد! ولكن ما بك؟

وتجلس "ريم" قبالتها في هدوء وعيناها على وجه "مريم" الممتقع وهي تحثها على البوح والحديث وتتفحص وجهها، بينما "مريم" تبلع ريقها بضيق ولا ثريدُ التحدث؛ فتميل "ريم" يمنةً ويسرة برأسها وتبتسم باقتضاب:

"ريم": ولِمَ لا يأتي لخطبتك؟!

ترفع "مريم" رأسها مباشرة في وجه "ريم" مشدوهة وتهم بالرد ولكن الكلام يتحشرج في حلقها ولا يخرج.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"ريم": إن كان يريدك بحق فليأتِ إلى هنا كما يفعل الجميع.

"مريم": يقول إنه لا يستطيع إخبار أهله بأنّه يريد أن يخطب قبل التخرّج.

"ريم": كاذب، لو كان يريد سيتصرف.

تتأملها "مريم" بانتباه وتأثّر

"ريم": اتركيه ولا تهتمي، فتهبُّ "مريم" في مكانها ساخطة وغاضبة وتقاطعها:

- لا تعيدها ثانية، قلت لك لن أتزوج بتلك الطريقة.

"ريم": حبيب قلبك لن يأتي ولا تغضبي منّي، أهله مقتدرون ولكنه هو الذي لا يريد الارتباط وإلا لِمَ يتردد هكذا في خطبتك؟!

"مريم": "ريم" لو سمحت!

"ريم": هل تريدين أن أخدعك وأسُّمعك ما تريدين؟ لم أقصد أن أُغضبك ولكنه ثالث شاب يهرب. فتقاطعها "مريم" بصوت متهدج صارخة وتخرج من الغرفة:

"مريم": صه

تتأملها "ريم" بتأثّر وتوتر وتخرج خلفها مباشرة، تجلس "مريم" متكورة على الكنبة في الصالة فتهبط "ريم" بجوارها وهي تهم بوضع ذراعها على كتفها فتدفعها "مريم" في لوم وعيناها ممتلئة بالدموع وهي تقول بصوت متهدج:

"مريم": كلامك يضايقني لا تتحدثين، لا أدري لِمَ أتحدّث معك؟ يُترك مقبض باب الشقة، يبدو ثمة من يقف خلفه من الخارج!

"ريم" تصرخ على "مريم" بتأثّر وبِنَبْرةٍ حرص:

"ريم": إنّي أخاف عليكِ، ألا تنظرين لوجهك وهيئتك؟ وجهك شاحب وتنقطعين عن المذاكرة وتستسلمين للنوم كُلّما فرّ منك كلب

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم" صارخة اسكتي.. اسكتي.

"ريم": حبيبتي، أنا أختك لن يخاف عليك أحدٌ أكثَر منّي أنا أنصحك وأحرص عليك، لمِ تتضايقين من كلامي؟

أنتِ لا تتعلمين من أخطائك أبدًا، وأنا اخاف عليكِ!

"مريم" تجهش بالبكاء.

ينفتح الباب وتظهر "سحر" مشدوهة ترسم ابتسامة حائرة بلطف وعيونها مفتوحة تفيض بالفضول وشفاهها مطبقة تماما، على ما يبدو أنها سمعت حديث الأختين؛ فتنظر مباشرة إلى "مريم" التي تبكي وهيئتها تثير الشفقة وما إن تظهر "سحر" حتى تهُزّ "ريم" قدمي "مريم" لتتوقف عن البكاء وتهِبَّ واقفةً وهي وتحدث "سحر":

- طنط "سحر" اتفضلي. "سحر":
- ناديت عليكم لم ترُدوا فجئت أخبركم أن الغداء جاهز.

وتتظاهر بأنها لم تنتبه لبكاء "مريم" فتنظر جانِبًا نحوها وتقوُلُ بِنَبْرةٍ متأثّرة وفاحصة كُلّ خصلات شعرها التي تغطي وجهها والدموع التي تبلل وجنتيها:

- ما بك يا "مريم"؟ خير يا بنات؟ "ريم":
- إنها خائفة من... فتقاطعها "سحر" بسرعة وتقوُلُ:
- خائفة ممَ؟! "ريم":
- من الامتحانات.

بينما "مريم" تحاول الرد فلا تقوى وتسعل لتصفي صوتها من أثر البكاء وترفع بكفيها شعرها للخلف وتتوقف عن البكاء وهي تبلع ريقها وتحاول استعادة هدوءها، بينما "سحر" تجلس قبالتها لتجعلها تتحدث وتخبرها ولكن "ريم" تباغتها وتقوم من مكانها وهي تضع كفها على بطنها وتقوُلُ:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- أنا جائعة بالفعل، -وتنظر لـ "مريم"- ادخلي اغسلي وجهك واتبعينا يا "مريم".

وتتجه إلى الباب وتخرج منه فتجد "سحر" أنه لا مفر من أن تقوم هي الأخرى وتذهب مع "ريم" إلى الشقة الأخرى، تتبع "سحر" "ريم" بضيق وعيناها مليئة بالتساؤلات والشكوك وتخفي كُلّ هذا بابتسامة لامبالية

"مريم" تنظر لهم وتقوم من مكانها بتثاقل وهي تقشعر جبهتها على إثر استرجاع كلام "ريم" فتمتلئ عيناها بالدموع ولكنها تقاومها وتمسح على رقبتها بكفها وهي تحاول دفع الخواطر الحزينة عنها بعيون مليئة بالأسى والضيق والحيرة.

تشم "ريم" رائحة الطعام وهي تتجه إلى السفرة وتجلس قُبَالَةَ "فؤاد" الّذي يتحدث في التليفون بينما "سحر" تتجه إلى المطبخ لتجلب باقي الطعام وهي تهُزّ رأسها بضيق وحيرة وتعود بَعدَ دقائق وهي تحمل طبقًا كبيرًا من اللحم المشوي يتصاعد منه البخار وتضعه أوسط الطرابيزة وتجلس بجوار "فؤاد"، تضع اللحم أمَام "فؤاد" ثم "ريم" التي تتجنب النظر في عيني "سحر" مما يجدد فضولها من جديد ويتناولون الطعام بتلذذ، تنظر "سحر" لـ"فؤاد" الّذي ما أن ينهي المكالمة حتى يضع التليفون جانِبًا ويتجه إلى السفرة مباشرة ويأكل بنهم.

"سحر" تأكل "فؤاد" بغيظ مكتوم و"ريم" بحيرة وغيظ أيْضًا بينما "ريم" و"فؤاد" يتناولان الطعام بشهية، بَعدَ لحظات تتفاجأ "سحر" بقدوم "مريم" وتنضم إلى السفرة وتأكل مباشرة وهي تنظر لها بحيرة وقد تبدد أثر البكاء عن وجهها وهي الأخرى تأكل بشهية مما أثار ضيق وتعجب "سحر"

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

تتلفت "ريم" إلى "مريم" وتبتسم وترفع قطعة لحم أخرى وفؤاد مستغرق في تناول الطعام شارد الذهن، فَجْأةً يرن الهاتف يرد "فؤاد" "فؤاد": "كريم"...

وينصت بينما "مريم" و"ريم" تنظران باتجاهه وهما تأكلان، ينتظران ما في المكالمة، يبتسم "فؤاد" ويهتز بنشوة وبحرارة:

- ادخل واصطحبهم معك.

فتلتفت "ريم" و"مريم" على إثر قوله وهما مندهشتان.

"سحر" تسأل "فؤاد" فيشير لها بالإنتظار ويواصل كلامه لـ "كريم".

- "كريم" أدخلهم معَك، تعالوا.

"فؤاد" يهبّ واقِفًا وهو يتأهب للخروج بينما يلتف وينظر لهيئة "سحر" ويهز رأسه بترقب وكأنه يتمم على هيئتها قائلا لا وقت لتبدلي ملابسك هما سيدات مثلك قريبات لي سيتناولن الغداء معنا، أحضري طعامًا إضافيا ليكفي الجميع.

تتسمر "سحر" في مكانها وتبتسم بهدوء ولا تَرُد ثم تقوم من مكانها بهدوء وهي تنظر لملابسها وتنظر لـ"فؤاد" بضيق ثم تعاود الابتسام وهي تنظر لـ"ريم" و"مريم".

ما إن تدخل "سحر" إلى الداخل باتجاه المطبخ حتى يتناهى صوت صخب في المكان من الخارج و"ريم" و"مريم" تنظران لبعضهما وتضحكان بسخرية ويظهر "فؤاد" مُجدَّدًا ويقول بضيق وخيبة لم توافقا على الدخول، أعدّي لنا عصيرًا وأحضريه إلى الحديقة، سنجلس هناك، فضلا البقاء فيها، فتنظر له "سحر" بإنصات ولا تعقبّ ويخرج هو وتدخل هي إلى المطبخ ثم يعود وينادي عليها ويقترب منها ويهمس في أذنها بكلام بينما هي ترمقه بضيق ولا تَرُد ويخرج مُجدَّدًا من الباب و"سحر" تدخل، وتنفجر "مريم" و"ريم"

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

في الضحك وتحاولان مقاومة الرغبة في الضحك وهما تدركان ما يحدث ويسمعا من ناحية المطبخ صوت صك أكواب وأطباق وغلق وفتح أدراج بقوة فتضحكان في سرهما.

شمس الظهيرة تعكس الوهج على أوراق الشجر والمكان، يلف المكان هدوء كبير، تدفع "مريم" البوابة وتدخل بزيها المدرسي وبيدها مقلمة وبالأخرى منديل تمسح به جبينها وتجفف حبات العرق وبلوزتها البيضاء ملتصقة بذراعيها وتبدو متوترة مرهقة متململة تُمْضِي من البوابة الكبيرة وهي تدفعها بكفها فتلسع يدها الحرارة فترفع كفها بضيق وتتركها على حالتها وتهرول إلى الداخل بخطى متثاقلة. ترن الجرس فتجد الباب فُتح ولا أحد بينما تسمع صوت "ريم" تتشاجر وهي تتحدث بصوت مرتفع في التليفون فتومئ "مريم" برأسها وتدخل وهي تجر قدميها مباشرة باتجاه غرفتها تضع المقلمة على سطح المكتب وتقف أمَام المرآة تلمح وجهها أمَام المرآة فتتوقف في مكانها تتأمل وتنظر لهيئتها الحائرة المتوترة وعيونها المرهقة، تزم شفتيها وتلقي بجسدها على السرير وتتنفس بعمق وهي تتنهد وهي تفتح ذراعيها على سريرها تظهر "ريم" داخلة من الباب. "ريم" متسائلة بترقب:

- أجبت جَيِّدًا؟ كيف الامتحان؟

"مريم": وهي تتقلب على السرير بتعب وتمَلمُل يأتي صوتها وهي تتقلب مكتوما:

- كان معقولا

تزم "ريم" شفتيها وتبتسم، إذن كان جَيِّدًا وإلا لكنتِ قُلتِ زفتًا!

فتضحك "مريم" وقد التفّت وأصبح وجهها لوجه "ريم" وتجلس في اهتمام متسائلة لـ "ريم":

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- مضى شهور على خطبتكما وشجاراتكما لاتهدأ، كان صوتك عالِيًا وأنتِ تتشاجرين مع أيمن! "ريم" تزفر بضيق:
- إنه غبيٌّ ولم أعد أحتمله. "مريم" بنبرة تهدئة:
- هو اعتاد على ذلك، وأنت أيْضًا. ريم:
- ولكنني تعبت منه

لا تَرُد "مريم" وتنصت بلامبالاة اعتيادية.

"ريم": عندما يعود أبي سأخبره أنّي لن أكمل الخطبة تلك.

"مريم" تهِبُّ جالسة وباستنكار: ستتركينه!

ويجول في خاطرها وتعكس عيناها خواطر شتى أكبر من ردة فعل لما قالته أختها أن الأمر أبعد من ذلك بالنسبة إلى "مريم" على ما يبدو.

"ريم": بتململ وحنق تعبت منه ومن الشجار من وقت للثاني معه.

"مريم" ببراءة وبتلقائية: كفي عن الشجار معه إذن.

"ريم": كُلّ ما يضايقنى يفعله.

"مريم": أخبريه أن هذا يضايقك، قولى له..

تهُزّ "ريم" رأسها بنفاد صبر وبغير أمل في فهم "مريم" وتقوُلُ:

- قبل أن يفعل ما يغضبني أقوُل؟، هل أعلق قائمة بما يضايقني؟ أخطاؤه كثيرة ولم أعد أحتمله البتة.

وفي محاولة لتهدئتها ولعلم مسبق أن ما يجري معتاد ومتكرر فتقول بِنَبْرةٍ صوت هادئة لا تتناسب وثورة "ريم" تلك المرة "مريم":

- أنتِ أيْضًا تفعلين ما يضايقه، أم لا تفعلين ما يضايقه؟

تتأملها "ريم" ولا تَرُد وتشرُد بعيدًا ثم تقول بصوت متوتر:

- أقوُل لماما؟

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فتفاجىء "مريم" مما قالته وتتلقفه بتعجب ودهشة وتذوب الكلمات على شفتيها وتحملق في وجه "ريم" التي تغيبت بعيدًا في خواطرها وتتحدث كأنها تحدث نفسها"، لا أحب آراءها ولا تفكيرها، ولكن هي أمي ويجب أن تقف بجواري وتخبرني ماذا أفعل. تتأملها "مريم" بدهشة وترقب.

"ريم": إلى متى تظل هكذا؟ عليها أن تغير من نفسها، إنها مقصرة معي، هي تريد أن تريح بالها وترفع عن نفسها المسؤولية أنها أنانية كالعادة، وبثورة ونفاد صبر: غدا سيخذلها إخوتها كما خذلها زوجها، هي تستحق ما جرى لها، أخذت تهاتي وتعطي وتأخذ إلى أن أغراها صمتها وصبرها وعطاؤها في أن كسرها ومرر حياتها وكاد يدمرها لا أُريدُ أن أكون مثلها أعطي وأصبر! وأصبر وأعطي، لا أُريدُ أن أتحول لروز أخرى، كُلّ هذا وتنزل الكلماتُ على سمع "مريم" كالصاعقة وترمقه أختها بتعجب وتحبس أنفاسها بين الدهشة والفضول في معرفة المزيد!

تلتفت "ريم" والدموع تنساب على وجهها وتمتلئ عيناها بالمرارة والندم بينما "مريم" نظرها ثابتة على وجه "ريم" ولا تتكلم وجبهتها مقشعرة، لا تتراجع "ريم" وتواصل حديثها وهي مدركة لدهشة وذهول "مريم" وتجلس بهدوء وتململ وانكسار بجوارها على طرف السرير وهي تقول وهي تنظر أمَامها بانحناءة وبصوت متهدج:

"ريم": لا أُريدُ أن أكون مثل أمي أتزوج رجل كذاب وأناني، -"مريم" تجحظ عيناها وتنصت بذهول ولم تستغرب نوعية الشتائم وما تقول بحق أبيهما فهي لم تعتد على ما يبدو من أختها هذا-، أقدم باليمين فيضربني بالشمال، يغادرني مبتهجا ليعود بَعدَ دقائق ليكومني على الأرض بَعدَ لقاء مع أم أو أخت أو أخ، -وصارخة- لا أُريدُ

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

أن ألهث خلف تعثره وأدفع فيه وهو يتململ منّي ويوبخني بأفظع الشتائم والسباب، لن أحتمل أن أصبر على حياة أهان فيها ومن حولي يعاملونني ما بين شامت ومشفق، لن أقبل أن أتعثر في أبنائي وأبيهم يلهث خلف وهو يضربني.

تضع "مريم" كفها على وجهها وتضم شفتيها وهي تهُزّ رأسها لا تَوَدُّ أن تسمع المزيد، بصوت متهدج متأثّر بالبكاء تكمل "ريم":

- لا أُريدُ أن أتجرع الذل من رجل حقير وقاسي يتباهى أمَام أهله أنه يضربني ويسبني ويخلف الضرب آثارًا على جسدي، ويستعمل أولادي من أجل الضغط عليّ، يذلني لأني أُريدُ أن أحتمل لأجلهم، يركلني لأن غدًا العيد وأُريدُ أن يفرح أبنائي بالعيد وبملابس العيد كباقي الأطفال وأنا أُداري جُرحًا في جبهتي وآخر في ركبتي وآخر مستورًا تحت الملابس. "مريم" بصوت متحشرج:

- كفاية اصمتي.. اصمتي.. وصارخة: كفاية

"ريم" وهي تبكي ساخرة: وأنكفئ لأجمع الطعام المتناثر أرضًا بَعدَ قذفه له على الأرض بسبب مزحة لم تعجبه وهي تثني على كلماتِ أغنيةٍ عاطفية وهتاف الجمهور.

ولا أن يختار أن يوجه لي السباب أمَامهم لكسرى وإذلالي، ذلك الحقير كان يضحك بهستيريا مثل تيتا الماكرة الخبيثة التي كانت هي الأخرى تشاركه الضحك وهي تتظاهر بأنها تنصحه أن يكون هادئًا من أجل أعصابه في التعامل مع أمي، كانا يضحكان كان يروي لها ما يفعل وهي تبتسم بمكر، كنت أُراقبهما وأنا جالسة أتذكر جَيِّدًا، لم أكُن أستوعِب حينها، لقد كان يتكرر هذا كثيرًا بأغلب مرات تطاوله عليها وعمل حفلة إهانة وتجريح يسمعها الجميع، الضيوف وأعمامي وزوجاتهم كان يضحك وكانت أمه تضحك! وأمي تبكي وأنا مذهولة

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

لا أدري لِمَ يحدث كُلّ هذا، هل كُلّ هذا كان يتكرر بسبب وجودنا؟ هل لو لم تنجب لكانت أنهت تلك الصلة معه؟ كانت أشبه بعبدة يفعل بها ما يشاء، كان وغدا وحقيرا، تمسح دموعها المتساقطة تباعا بدون أن تتوقف عن الحديث:

هل هذا هو الحب؟! الحقير يعشقها وهي كانت تُبتز باسم الحب، اجترت مشاعرها باحتراف من قبل الخبيث، لم تجنِ شيئا، ذهبت كما جاءت بطولها كما دخلت ولكن على ظهرها أثقال من الانكسارات والشروخ والكثير من الذكريات المحزنة.

بينما تلتفت "مريم" لـ"ريم" زاجرة تجدها تبكي والدموع تبلل وجهها وعيناها تلونت بلون الدم فتجهش "مريم" وهي تخفي وجهها بكفيها وتهُزّ رأسها بغضب وانفعال وتحاول بكفها أن تشير لـ"ريم" أن تصمت ويتهدج صوت "ريم" وتكرر قائلة بغضة وتأثّر بالغ وبصوت مرتعش:

- لن أكون مثل أمي ولو حتى من أجل أطفالي. وبإدراك وحنق: لقد استهلكت نفسها وأذلّت نفسها قبل أن يقهرها هو ويذلّها هو، لو كانت أذكى قليلا لعرفت كيف تعيش أفضل مما كانت معه، لا أُريدُ أن أكون مثلها في أيّ شيء.. في أيّ شيء.

التفتتْ "مريم" لأختها التي تتكلم بعزم وانتباه بكامل وعيها وعزمها الّذي تعكسه نظرات قوة وإصرار وتحدي وهي تمسح دموعها برفق، "مريم" تنظر لـ "ريم" باستنكار وضيق فتتجاهل "ريم" ذلك وتواصل بكل إصرار وقد هدأت قليلا:

- هي من قبلت، لِمَ رفضت فَجْأةً أنه كان من أجلنا؟ لِمَ لمْ تواصل من أجلنا أيْضًا؟ هي السبب في كُلّ ما حدث لها، أنا غير مدينة لها بشيء، هي أمي ولكني لن أعوضها عما لاقته منه، هي كانت تريد

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

أن تكمل فلِمَ انسحبت؟ إن كان من أجلنا حقا فنحن مازلنا في حياتهم وبينهم، انسحابها غير مقبول! أنا لا أحب أن أذهب إليها وأراها بين أهلها تبتسم بغباء ودعة، إنها مثله كاذبة تغلي من الداخل وتبكي كثيرًا أنا أعرفها.

"مريم" تنظر لـ "ريم" بضيق ولا تَرُد "ريم" تقترب من وجهها وتسألها مباشرة وهي مدركة أن كلامها لا يعجبها

"ريم": ألا تبكي أُمَّك بمفردها؟!

"مريم" صارخة: لا تبكي، هي أكثَر راحة هناك وسعادة من هنا.

فتضحك "ريم" بسخرية وحنق وبإصْرَار: لا، بل تبكي هي نادمة.

"مريم" تهِبُّ واقفة: ليست نادمة، أنتِ متناقضة، لا أدري ما الّذي تودين الوصول إليه؟ تلقين باللائمة على أُمَّك أنها كانت ضعيفة مع أبيك وتكرهين منها أنها ذهبت عندما نفد صبرها وكنت تريدين أن تظل في الوقت الّذي تكرهين فيه ضعفها وتقوُلين إنها هي الأنانية والكاذبة أيْضًا! أنتِ الكاذبة والأنانية يا "ريم". "ريم":

- "مريم"؟!
- بدأتُ أفهمك يا أختي، أنت تتقمصين شخصية أبيك وأمك معًا، تريدين أنت تكوني مستقرة في حياتك مثله الآن.

تقاطعها "ريم":

- طبعًا فهو نجح بينما هي قابعة في بيت أهلها

"مريم" باستنكار:

- انتقي كلماتِك. "ريم" تواصل حديثها متجاهلة ما سمعت:
- وهي الخاسرة، هي دائمًا خاسرة لم تكسب شيئًا وهو الفائز.

بسخرية واستنكار وتهكم "مريم":

- فائز؟! وهي خاسرة؟! "ريم":

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- أيّ أنه كان على صواب وهي حساباتها كلها خاطئة.

بتهكم وسخرية وحنق قالت "مريم":

- أنت! تلقين باللوم عليهم من البداية للنهاية وتصفينها بالخاسرة وهو الفائز. فهمتك!

"ريم" ترتبك وتتشكك في أن تكون بالفعل "مريم" تدرك ما تعني "ريم" وما خلف كلامها فتنظر لها بترقب وتشكك

"مريم" وهي تهُزّ رأسها وبغصّة في كلامها:

- أنت تكرهين نموذج أُمّك وتفضلين عليه....
- أنا مشفقة عليها، -"ريم" مقاطعة وكأنها لا تَوَدُّ أن تسمع ما ستقول- أنا مشفقة عليها يا "مريم". بمرارة "مريم":
- وطنط "سحر" تعجبك؟!

في تلك اللحظة يدخل "كريم" وهو منشرح الصدر، يبتسم ابتسامة عريضة وعيونه تلمع بالفرحة والانتشاء، مبتهجا عائدا من الخارج

كريم: وعليكم السلام أخواتي.

ولكن يتعجب من هيئة أخواته ونظراتهما لبعضهما البعض ويظل يتفحص وجوههما بفضول بينما تفضل "ريم" أن تغير دفة الحديث فتهمهم بكلام غير مفهوم محاولة أن تنبه "مريم" بألا تكمل حديثهما بينما "مريم" تلتفت منسحبة من المكان وهي تجر قدميها باتجاه باب الغرفة في صمت متأثّرة ومتململة، بينما "كريم" يقف بين الاثنين لا يدري ماذا يفعل، ينظر لـ "ريم" تارة ولـ "مريم" أخرى متعجبا، ينتظر لو يشرح له أيّ منهما ما يجري، و"مريم" تخرج من الغرفة واجمة رأسها مثقل ترفع رأسها بعناء وعيونها مليئة بالأسى والضيق وتحملق أمَامها في الفراغ. يهرول خلفها "كريم" ويمسك ذراعيها ويهم بسؤاله عمّا بها فيتناهى إلى أسماعهم فَجْأةً صوت

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ضحكات أبيهم وزوجته يعقبه صوت انغلاق باب الشقة وصوت أقدامهم تتباعد عن المكان يتبعه صوت آخر لموتور سيارة تدار صوت محركها قادم من بعيد فيلتفتا لبعضهما البعض ولا يعقبّان "كريم" يرفع حاجبيه بلامبالاة بينما "مريم" تخفض نظرها وهي تسترجع أمرا لم يكد يبعد، وتبتلع ريقها وهي تطلق زفرة بخيبة أمل وتسير إلى الداخل، "كريم" ينادي عليها بلوم فتلتف وبِنَبْرةٍ حانية:

- سأعود حالا يا "كريم"

فيومئ برأسه متفهما ويُلقي بجسده على الأريكة مسترخيا وهو يستعيد حالة الانسجام والانتشاء التي دخل بها ويبتسم في ابتهاج ثم ينتبه إلى "ريم" بالداخل فينادي عليها هي الأخرى قائلا:

- ريمو؟

يأتي صوت "ريم" من الغرفة ممتزوجا بنبرة تململ وحزم "ريم":

-اتركني الآن يا "كريم"

"كريم" مستغربا: أو ك براحتك!

وينظر باتجاه دخول "مريم" بفضول واستنكار معًا، وهو يضرب كفًا بكفٍّ ويبتسم مازحا وقد راق له على ما يَبْدو أنه بات على عدم اطلاع كما في السابق على مشاجرات أخواته، أولًا بأول فيبتسم في استياء ولا مبالاة، ومع وقع أقدام "مريم" مقتربة من الصالة، ينتبه لقدوم "مريم" من الداخل فيرسم الجدية على وجهه ويترقب مجيئها ويتصنع حديثا فيميل للخلف وهو يقول:

"كريم": النتيجة قربت تظهر.

"مريم": 37 يوم. ربنا يستر.

"كريم": اطمئني.. لا تخافي، إن شاء اللّه ستحصلين على مجموع كبير.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وتظهر "مريم" وتظل واقفة في جانب من المكان قُبَالَةَ "كريم" وتبدو بهيئة واهنة مرهقة.

"مريم": دعواتك يا "كريم"

"كريم": تعالى مالك؟ سأذهب غدا لماما هل تأتين معي؟

"مريم": أرجوك.. خذني من هنا.

وتظهر "ريم" من جانب الباب تنظر عليهم بلوم فيتجاهلاها، في اليوم التالي توقفت السيارة بجوار سوار حديقة بيت جدي، ذهبنا إلى أمي بالفعل وما إن توقف "كريم" بالسيارة حتى هبطت منها أحمل حقيبة صغيرة من الملابس وتتبعني "ريم"، وجدنا تيتا "أنوار" تجلس في جانب من الحديقة بصحبة خالي صالح و"إبراهيم"، جلسنا معهم قليلا، "كريم" ربما من سيظل معهم كعادته!

صعدت السلم أُسابق الوقت والهواء الّذي أتنفسه، وما إن وصلت إلى الباب حتى وجدت وجه أمي فارتميت في حضنها وتماسكت لكيلا أبكي؛ فربتت على كتفي وهي تقبلني وعانقت "ريم" بشوق وأغلقت الباب، تبادلنا أنا و"ريم" نظرات اللوم والاتفاق على ألا نخبرها فابتسمت "ريم" وأرخت أسارير وجهها المتوتر وبدأت تداعب ماما كعادتها بامتداح جمالها وشياكتها بينما أنا ظللت صامتة أرسم الابتسامة على وجهي عنوة حتى لا تلمح أمي ما بداخلي ولكنها تحس بي جَيِّدًا وبريم وبـ"كريم"، فهي مفرطة في رقتها وإحساسها بمن حولها، أرخت نظرها وابتسمت، علمت أنها أدركت أن شجارًا وقع بيني وبين "ريم"، أعرف تلك النظرة وتلك اللزمة؛ فبادرت بسؤالنا وهي تنظر لوجهي مباشرة أنا و"ريم"، هل من أكلة معينة تودون تناولها اليوم؟! سؤالها المعتاد أدركنا على الفور أنها لن تتحدث في أسبَاب الشجار رحبت بذلك "ريم" بشدة وقفزت في مكانها وهي تتجه إلى

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

غرفة نومنا وهي تقول سأبدل ملابسي، وبقيت أنا بمفردي مع أمي وجودها يعيد ترتيب كُلّ شيء بداخلي وجدتها تتأملني بحنو بالغ فاقتربت منها وارتميتُ في أحضانها، ومن ثمّ هبت قائمة وهي تقول: سأعد لي قهوة ولك عصير؟ فقلت: لا سأشرب نسكافيه، فضحكت بصوت مرتفع وقالت: في هذا الجو الحار يا "مريم"؟ فأومأت مؤكدة وأنا أبتسم، واتجهت إلى المطبخ وتبعتها أنا بدوري.

ضحكتُ بصوت عال حتى تسمع "ريم" أنّنا لا نستثنيها بأيّ حديث في غير وجودها، أمي شديدة الحساسية والذكاء واللطف والرقة، صفاتها تلك جلبت إليها المعاناة، لم يقدرها، حتى أختي التي تبدل ملابسها داخل غرفة نومنا في بيت أمي، أمي التي تعيش هنا ملكة بين أهلها الجميع يقدرونها بينما أختي تصف حياتها هنا بأنّها تقبع في بيت أهلها! وأن إخوتها سيخذلونها، مثلما فعل بها الزوج السابق الّذي هو أبي وذلك لأنها متسامحة وحنونة وعواطفها جياشة!

ولكن هل لم تفكر أمي لِمَ يقابل صنيع طابعها بالنكران والإساءة؟ لِمَ لا تقلل منها وتنزل إلى نهج غالبية البشر! أنا مقتنعة أنها الأرق والأفضل ولكن معاناتها ونكران فضلها يهزني بشدة ويصيبني بالخيبة والخوف عليها من الناس، أرتبك ولكني لا أرَى أحدًا أفضل منها كما هو الحال مع أختي!

هل سيخذلها إخوتها كيف ستتصرف إن حدث ذلك معها؟ لن يحدث أو ربما يحدث، أولى بي أن أهتم وأفكر في كيف علينا ألا نخذلها أنا وإخوتي، ريم قد خذلتها، كما لا أتصور أن أمي لا تعرف وتستشعر بما تفكر فيه "ريم" وتزن به الأمور الآن.

الكارثة أن تدرك أن "ريم" ترى زوجة أبي نجحت بينما هي فشلت في الاحتفاظ ببيتها وزوجها؟!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

إنها صدمة كبيرة، أعرف أمي إن شعرت بهذا أو تأكدت ستصمت لن تتكلم.

قطع سيل خواطر "مريم" صوت "ريم" من داخل غرفة النوم:

- أخرجي من حقيبة الملابس البنطلون الأحمر.

"مريم" بتململ وضيق: نسيت أن أضعه.

"ريم": إنه بالحقيبة فقط افتحيها وأحضريه!

"مريم": وهي تلتفت إلى المطبخ على أمّها: "حاضر"، وهي تهم بفتح الحقيبة ببطء. تعبر نسمة هواء فواحة تحمل مزيجًا من روائح الزهور وأوراق الشجر، فتحات النوافذ المشرعة على الحديقة وبدت الجدران بدرجة لون أفتح يميل إلى الكريمي منه للبيج الدافئ، تهتز الستائر الشفافة وتتماوج أو راق الزهور في إصيص بجوار زاوية عمود قريب من باب الشقة جانب ويتحرك اغلفة الكتب بالرف الأعلى من المكتبة المواجهة للنافذة من يسار المكان تميل "مريم" وتضع صينية عليها كوبان من الصيني الملون بيد منحنية نصف قوس تعلوهم رغوة كثيفة من الكريمة، ينتبه "كريم" المسترخي على الأريكة وهو مستغرق تصفح النت من على تلفونه بين يديه

"مريم" وهي تجلس في الكرسي المواجه للأريكة

"مريم": اللاتيه يا "كريم"

"كريم" وهو يرشف: تسلم يدك.

"مريم": تعالَ نجلس ونتناوله في الحديقة.

"كريم": بعدما يغادر أقارب طنط "سحر".

"مريم" مردفة وقد تذكرت وباستدراك:

- معقول؟! مازالوا هنا.

"كريم": نعم

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم": أنا من فتحت لهم في الصباح، قد أتوا مبكرًا، أمّها وابنها "إبراهيم".

"كريم": دعينا نجلس هنا.

"مريم": لا شيء فيها، تعالَ نخرج إلى الحديقة، هم بالداخل في الشقة الكبيرة ونحن بعيدًا، ثم هل نحن صغار سنزعجهم؟!

"كريم": لا ولكن لا أُريدُ أن أُثير غضب أبيك، أنا محتاجٌ لمبلغ من المال، وتقريبا كالعادة عليّ أن أتجنب ثورته وغضبه، وكما تعرفين نوافذ الشقة مطلة بالكاملة على واجهة الحديقة من ناحية الشارع الثاني كله. "مريم" باستدراك وهي تبتسم:

- ماذا ستفعل بالنقود؟! أنتظر حتى تظهر نتيجتي لأني طلبت منه موبايل جديد.

- آيفون! قلت لك لا يناسبك ولن يريحك عن تجربة صدقي!

"مريم": ولكن شكله أنيقٌ وعندما أدخل الجامعة سأحتاج له لزوم المظهرة، وتضحك مازحة ويبادلها "كريم" الابتسامة بترقب، وفي جدية قال "كريم":

- لعبة المظاهر لا تنتهي، ما أن تبدأين تجدين نفسك تتطلعين إلى آخر وآخر وصولا إلى السيارة ثم على قضاء إجازة الصيف خارج البلاد أم داخلها مثل عامة الشعب!

تضحك "مريم" بشدة وهي تكرر ما قاله بإعجابٍ ودهشة:

- عامة الشعب! "كريم":

- هناك الكثير ممن جنى عليهم حب المظاهر، البعض اضطر للكذب والبعض الآخر كلفوا أنفسهم ما لا يطيقون ليظهروا كما تمنوا أو أخبروا به. وتسببت في عقد لآخرين.

"مريم": عقد؟!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"كريم": نعم، وحقد وسخط نقمة على ظروفهم وطبيعة معيشتهم ومستواهم، لعبه قذرة.

"مريم": ليست لعبة كما تصف، هي رغبة في الظهور بمظهر مُرضٍ للشخص ذاته وأن يبدو في عيون من حوله بصورة جيدة ولامعة.

"كريم": إرهاق على الفاضي.

كل واحد يجب أن يكون نفسه، وفي النهاية ما عليه كُلّ منا هو الّذي ينكشف ويبقى ليُعرف أمَام من حوله، فلِمَ التحايل ولِمَ التعب؟

وبِنَبْرةٍ نصح عندما لمح الاهتمام والانصات الكبير من "مريم" والاقتناع في عينيها اللامعة التي تتأمله بإكبار وتصديق:

"كريم": قدمي نفسك وعلى الآخرين أن يتقبلوك كما أنت أو يرحلوا لا تحاولي أن تلفتي انتباه أحد لك ببساطة قد تنجين ثم ينصرفوا لأخرى تبذل مجهودًا أكبر في لفت انتباههم وهكذا، ولن ينتهي السباق المزيف والمرهق من قبلك، كما أنت اتخذيهم أصدقاء ومنهم اختاري الأنسب لك والأفضل، والبقية زملاء دراسة، ما إن تدخلي في تلك الدائرة فستتعبين وتخسرين وقتك وجهدك وتركيزك ثم أنت طالبة في الأول والآخر.

فتبتسم وهي تؤمئ برأسها في تصديق واقتناع وبدعابة تقول:

- هايلة تلك المحاضرة في إشارة إلى أنه ينصحها.

فيبتسم وهو يقول: إحنا بندردش، ثم من كان سيخبرك؟ أنا من جربت، ثم ألا تدرين أن من هو أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة؟ ما بالك وأنا أكبر منك بثلاث سنين؟ فتضحك – ويردف "كريم": ادخلي أحضري الآلة واحسبي؟!

ويضحكان ويقطع حديثهم الودي صوت ضحكة صاخبة قادمة من ناحية غرفة نوم "ريم" و"مريم" فينظرا لبعضهما البعض باستياء

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ودهشة معًا فيهب "كريم" و"مريم" تحاول أن تثنيه ويتجه مباشرة إلى غرفة "ريم" و"مريم" وينظر بداخلها في اتجاه الصوت، تستمر "ريم" في التحدث في التليفون ويتخلله ضحكات متقطعة ومتلاحقة، وبدون كلام منه ينظر لها غاضبا و"مريم" تتابعه بترقب وقلق وهي تزمّ شفتيها وتهُزّ رأسها بقلق تتابع ما يجري بحذر ويعود "كريم" ويجلس من جديد وهو ينظر باستياء ويرفع الكوب مُجدَّدًا ويرشف منه قليلا في محاولة لاستعادة هدوئه ثم يأتي صوت "ريم" من الداخل وقد اتخذت نبرة جادّة وهادئة فينظر "كريم" لـ"مريم" بتعجب ولوم على "ريم" فتبتسم "مريم" متعجبة هي الأخرى وترفع كوبها وهو يشير بإصبعه على الغرفة قاصدا "ريم".

"كريم": انهم يمثلون الحب، كلام بالساعات وشجارات لا تنتهي ومعرفة قريبة لم يمضِ عليها أيام وتمت الخطبة وتلاها الحديث بالساعات في التليفون. إنهم يمثلون الحب على بعضهم البعض

"مريم" تنصت بترقب وتتظاهر أنها تتلذذ باللاتيه ومستغرقة في تناوله، وكلّما أصابت كلماته شيئًا بداخلها تتظاهر بأنّها لا يعنيها.

"كريم": الصادق فقط في تعاملهم مع بعض انهم يتشاجرون انما الحديث والاشواق والحنين والآهات فكلها مزيفة

"مريم" تحملق في وجه "كريم" فيتراجع في حديثه وهو يقول هذا رأيه ويحاول أن يقول ما يظن أنه ثناء على العلاقة بين "ريم" وأيمن خطيبها ولكنه يقول بحزم وجزم ولكن هذا ليس الحب.

"مريم" تبادره بالسؤال متظاهرة أنها غير مهتمة: وما الحب؟

فيرد بتلقائية: الحب يسبقه المعرفة هل يحب أحد شخصًا لا يعرفه؟

"مريم": هذا حدث ويحدث

"كريم": ويبدأ مشتعلا وكبيرا في بدايته؟

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم": ماذا؟!

"كريم": الحب يولد صغيرا ويكبر، فكل اثنان مخطوبان هذه الأيام الحب يولد قبل قراءة الفاتحة. (يتكلم بجدية وحنق واستنكار).

"مريم" وهي تبتسم مازحة:

- قد يكونا قد أحبا بعضهما البعض بالفعل.

"كريم": لا أظن هذا.

"مريم": إن لم يكن أحبها فلِمَ أتى ليخطبها؟

"كريم" ضاحكا: المحبون لا يتزوجون.

"مريم" يُسئها ما سمعت فتبتلع ريقها بصدمة وتأثّر وتخفض نظرها وتدور الأفكار برأسها بينما "كريم" يواصل حديثه بِنَبْرةٍ المحلل للموضوع: للأسف طبعًا الحب لا يصل لأبواب البيوت. أغلب من يشرعون في الزواج الآن أسراب تتدافع في موسم التزاوج لتلحق دورها لا أكثَر، وزيجات غير متكافئة ولا ناجحة، شبه حياة وشبه حب، ولكنهم والمثير للدهشة والملفت للانتباه أنهم يعرفون كيف يواصلون عملية التمثيل أنهم سعداء ويغرقون في حب بعضهم البعض. إنهم يتقمصون دور المحبين هروبا من الحقيقة وهي أنهم تسرعوا أو لأن بعضهم ترك من يحب وفضل أن يتبع سياسة القطيع فيتقدم لبنت فإن تم الموافقة يتفقوا على متطلبات الزواج وخلافه ويتزوجوا ظنا منهم أن هذا الأنجح، فأغلبهم يستقر بداخلهم أن هذا هو الأقرب إلى النجاح والأمن.

"مريم": وأين هم من يحبون؟!

"كريم": موجودون.

"مريم": لِمَ لا يتزوجون مِمَن يحبون؟

"كريم": أكيد هناك أسبَاب مثل الظروف التي لا تسمح.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم": ولِمَ تسمح الظروف دائمًا لمن لا يحبون بأن يتزوجوا؟

"كريم": ظروفهم تسمح.

"مريم": كذب وخداع، من يحب أحدا سيفعل كُلّ ما باستطاعته ليرتبط به، لا أن يحبه ويبقى معه لوقت ثم يختفي ليذهب ويتزوج أخرى لا يعرفها ولا يحبها ويتقمصوا دور المحبين أمَام كُلّ من يعرفونهم، إنهم مرضى وحقيرون.

"كريم" ينصت لـ "مريم" بدهشة وتأثّر وفضول

"مريم" تحاول تهدئة نبرة صوتها وحدتها وهي تراقب عيون "كريم" التي تتفحصها بقلق وترقب وتحاول أن تبتسم لإضفاء مسحة من أنه مجرد إبداء للرأي لا أكثَر، ولكن "كريم" يتفحصها بترقب وينصت باهتمام غير ما كان يتكلم بهدوء وبترتيب.

"كريم": أحيانًا البنت تكون السبب في أن ينصرف الشاب عنها ويخطب أخرى.

"مريم" وتستسلم لطبيعة النقاش وتبادل الآراء وتتجاهل أن يسيء "كريم" فهمها ويرحب هو بنظرات عينه بذلك وتتبدل نظراته إلى الحوار المتبادل وقبول حدتها وثورتها

"مريم": لا خطأ

"كريم": أنا شاب وأقوُل لك هذا عن تجربة أصدقاء كثيرين.

"مريم" كثيرين؟!

"كريم": هذا ما حدث ويحدث.

"مريم": ولِمَ يترك الشاب من يحب ويخطب أخرى لا يحبها ولا يعرفها؟

"كريم": البعض يخاف من الحب.

"مريم": وهل هناك أحد يخاف من الحب؟ وهل الحب يخيف؟!

"كريم": الحب طوق حول عنق الرجل لا يحب أن يكون موجودا يلزمه

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ويقلقه ويوجهه، هو كثقل عليه يرغمه على فعل الكثير ويود أن يتصرف على حريته.

"مريم": لا أفهم!

"كريم": الحب يقيد البعض ويشعره أنه ملكا للتي يحبها.

"مريم": ألا يرضيه أنه قد امتلكها وتحب منه أن يمتلكها؟ هل هذا الشعور لو لم يوجد ألا يغضبه؟

"كريم": يحبه ويحرص عليه عندما يكون له أمًا منه فيوجد من لا يريد هذا ويهرب منه

"مريم": ويرتبط بمن لا يحب؟!

"كريم": للأسف.

"مريم": وهل يكون سعيدا معها؟

"كريم": الحب عندنا مختلف عنه لديكم يا "مريم".

"مريم" بحنق وضيق: ولمَ يا "كريم"؟!

"كريم": لعلمك هناك بنات لا تفضل الزواج من الشاب الّذي تحبه أيْضًا.

"مريم": إنهن قلة.

"كريم": قلة موجودة، قد يحب شاب ما واحدة من تلك القلة وتجعل حياته جحيمًا، عندما يحبها ويجدها ترفضه وتتهرب منه وتذهب لآخر لأسبَاب متعلقة بها هي أخبريني ما هو شعور هذا الشاب؟! وتتلاقى عينا "كريم" و"مريم"، ويبدو من تلك اللحظة التي تلاقت أعينهما فيها أن كُلّ واحد منهما قد علم أن موقفه تجاه الحب يمثل تجربته هو. بصوت متحشرج تَرُد "مريم":

- كلنا نسيىء إلى الحب عن قصد ودون، فيقاطعها "كريم" بحزم وتأثّر وتأكيد "كريم": لا، كُلّ ما يتم يكون بقصد؛ فما من أحد يعيش

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

مشاعر الحب ويتخلص منها ويدير لها ظهره عن عدم قصد وعن علم وتخطيط مسبق، كُلّ منا يعرف ماذا يفعل. "ريم" تعرف ماذا تفعل ولكن الّذي لاتعرفه أنها على خطأ ولن تجد السعادة التي تتقمصها الان. "مريم" تحملق في وجه "كريم" مشدوهة!

"فؤاد" يتكئ على الأريكة مسترخيا في بيجامته القطنية فاتحة اللون ويعتدل في جلسته ببطء ووهن والأدوية متناثرة على الطرابيزة أمَامه وبجوارها كوب به بعض الماء المتبقي منه وبجوارهم تليفونه الّذي يرمقه بترقب ولا مبالاة معًا، بينما "مريم" تدخل شرائط الدواء إلى علبها مُجدَّدًا و"سحر" قادمة من الداخل تجفف يديها بمنديل وتنحني جانِبًا وتلقى به في السلة وهو يرمق التليفون وبعدما تنتهي "مريم" من ترتيب العلب المبعثرة تنتصب في مكانها وهي تتأمل وجه أبيها وهيئته بتأثّر وود قائلة بِنَبْرةٍ تَهَذُّب جم:

- بابا؟ وهي تحاول مساعدته ليعتدل مرتاحا في مكانه فيدفع نفسه ويعتدل معتمدا على نفسه فتقشعر جبهته متألِمًا فتنظر "مريم" مرتبكة إلى الجوار في التماس لمساعدة تبادر بها "سحر" بلا جدوى وتلمح الضيق على وجه أبيها والانزعاج فترتبك وتسرع بالانصراف لتتركه يرتاح.

مُجدَّدًا "مريم": بابا؟

بضيق وحنق "فؤاد": ماذا؟!

"مريم": ألف سلامة يا بابا عن إذنكم. تصبحون على خير

لا يرد "فؤاد" ومازال منزعجا ينظر أمَامه بنفاد صبر ويزفر بضيق مكتوم، تسارع "مريم" بالانصراف وتكرر وهي تتلعثم "مريم":

- تصبحون على خير

"فؤاد" يؤمئ برأسه ولا يرد.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"سحر": وأنتِ من أهله.

تخرج "مريم" وتغلق الباب خلفها في هدوء متجهة مباشرة إلى الشقة المقابلة ويتناهى إلى سمعها صوت ضحكات مكتومة لـ "كريم" و"ريم" فتغلق الباب بسرعة وقد ساورها الفضول والترقب وما أن تدخل تنظر لهم بدهشة وتعجب بينمها "كريم" و"ريم" ينبتها لانغلاق الباب فينفجرا في الضحك فتبتسم "مريم" وهي تنظر لهم متسائلة ومستنكرة.

"كريم": أنا استغربت أيْضًا

"ريم": أشفقت عليه بشدة.

وهي تحاول استعادة شيء من الجدية ولكنها تضحك، وهو يضحك

"كريم": كاد طبق الشوربة يسقط على ملابسه!

"مريم" تكتم ابتسامة وتنتبه لِمَا يتحدثون عنه فتهُزّ رأسها في استنكار وهي تنظر لوجه "كريم" و"ريم" بلوم فيضحكان من جديد فتستسلم هي الأخرى محاولة كتم ضحكاتها.

"مريم": صه صه وهي تنظر لـ "كريم" تارة وثانية لـ "ريم" وهما يتجاهلاه أمَام سيطرة الضحك عليهم.

"كريم": أحرجته

"ريم": هو مخطئ أنه يفرط في الدلال ويحب المبالغة.

"كريم": هي عملية، ويضحك وهو و"ريم".

"مريم" تتأملهما وهي تضحك، تتمنى لو يتوقفا لكن بلا جدوى.

"ريم": بابا يفكرني بعبد الحليم -"كريم" و"مريم" يضحكان -خاصة لما كان يظهر في أدوار يؤدي فيها دور البائس المسكين ويقشعر جبهته ويهز يديه ويرخي جفنيه وينظر بعيون نصف مفتوحة.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"كريم": بينما هي تتصرف كالآلة، وضعت الطعام أمَامه وتركته لتنصرف كأنها تقول دبر أمرك.

"ريم": حتى قطعة الفراخ لما سقطت من يده وقعت مباشرة في طبق الشوربة لم تهتز.

"كريم": كفاية اهتزازه هو. "مريم" و"ريم" تضحكان.

"ريم": كان في غاية الحرج منا، لو كنت هممت أنا وساعدته في تناول الطعام لثار.

"كريم": وهاج وماج كالعادة، عندما كنا لدى الدكتور كاد يصفعني أمَامه -وبمرارة وضيق- عادته المفضلة توبيخ وإهانة أمَام الجميع! الدكتور نظر إليه مذهولا!

"مريم" و"ريم" ينظران لبعضهما البعض بتأثّر ومن ثم تحاول "ريم" استعادة دفة الحديث -و"مريم" هي الأخرى تشجعها بنظرات التشجيع وتبتسم -قائلة:

- طنط "سحر" ضبطت كفتى الميزان.

"كريم": فعلا، ولكن كان يجب عليها أن تساعده! رغم أن ما يعاني منه حسب الطبيب هو اضطرابات معوية بسبب إسرافه في تناول طواجن اللحوم والخضار كثيرة الدهون.

"مريم": طيب وماذا سيأكل؟

"ريم": كُلّ شيء ما عدا هؤلاء.

"كريم": ولكن طنط "سحر" لا تحب كافة أنواع الشوربات.

"ريم": والعمل؟!

"كريم": يأكل ما تجود به.

"مريم": ليس لها حق!

"كريم": أعدَّت شوربة بالفعل له ولملابسه.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ثلاثتهم يغرقون في الضحك.

"كريم": تدهشني بكونها عملية ولا تعترف بحركات العندليب.

"مريم": عندليب؟!

"ريم": بابا يقصد.

"كريم": كان يظن أنه سيتدلل للنهاية من كانت تحتوي لزجته ذهبت.

"مريم": لزجته!

"ريم": هل تحتاجين لشرح ما يقصد؟! أجيبي؟ (فينفجروا ضاحكين)

تقدم الغروب وأخذ ضياء الشمس في الرحيل يلملم أضواءه ويدلف نسيم خفيف تهتز على إثره أو راق الشجر في الحديقة التي تكشفها النافذة بينما "سحر" منكفئة على دفترها المزركش مستغرقة في الكتابة وهي ممددة على الأريكة تتنهد وهي تكتب ثم تتوقف على إثر تداخل الحروف فقد ضعف الضوء في المكان فتضع الدفتر وهي تنظر مباشرة لمفتاح النور، تقوم متململة وتجلس ثانية على إثر دوار ألمَّ بها فتسترخي في مكانها وتتنهد وهي تزفر بوهن وتفتح عينيها بصعوبة وثقل وتبتلع ريقها بمرارة وغصة وتحاول أن تسعل لتبدل مذاق اللعاب في فمها، جاهدة تسعل وتبتلع ريقها وهي تحاول القيام مُجدَّدًا، تنتبه على طرقات على الباب فتقوم بوهن من مكانها لتجد "مريم" فتبتسم في وجهها وتفتح الباب، تدخل "مريم".

"سحر": تعالي يا "مريم"

"مريم": طنط "سحر"، ممكن دورق العصير؟

"سحر": تريدينه الآن؟!

"مريم": يعنى لو جاهز يا ريت. بارتباك وتبتسم "سحر":

- طيب ثواني. "مريم":
- حاضر. وتومئ برأسها

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

تظل واقفة مكانها تتجول بعينيها في المكان بمرح ثم تلتفت باتجاه النافذة فتلمح أسفَل منها على الطرابيزة دفترًا، الدفتر المزركش الّذي سبق ورأته فتبتلع ريقها ويساورها الفضول فتلتفت حيث دخلت "سحر" ناحية المطبخ لتتأكد أنها لن تعود، وما إن طمأنها صوت الخلاط وهي تعد العصير وحركاتها المتلاحقة في فتح وغلق الدورق وتشغيل الخلاط وصوته وهو دائر حتى هرولت مسرعة على أطراف قدميها بحرص وترفع الدفتر وتفتحه بسرعة وتقلب ورقاته بتعجل وهي متوترة، تنظر تارة باتجاه المطبخ حيث دخلت "سحر" وتارة في الصفحات التي تقلبها بسرعة وتلتقط عيناها بعض الكلمات وتبطئ من حركة عينيها وتتوقف أمَام السطور سريعا وتنظر له بريبة وفضول فتلتقط كلمات متفرقة من كُلّ صفحة، الصفحة التي فتحتها أو لًا كلمة "فؤاد" فتقلب الصفحة مسرعة فتلمح يوم السبت الماضي وتقلب فتلمح كلمه "ريم" وتقلب فتجد صفحة بيضاء خالية من الحروف تغلق الدفتر بسرعة وتضعه بحرص في مكانه وبنفس الوضعية وتجري على أطراف أصابعها وتجلس بجوار الباب وهي تتظاهر بأنّها تعبث في زخرفة إطار برواز خشبي قريب من الباب حتى أن "سحر" عندما عادت لم تلتفت وظنتها "سحر" مستغرقة فاقتربت منها وسألتها باهتمام: هل به شيء؟ شرخ؟

"مريم": لا ولكن.

فتقترب "سحر" وتنظر عن قرب فتومئ برأسها قائلة:

- لقد سقط بعضًا من لونه الذهبي؟

فلم تلتفت "مريم" وظلت تمسح على الإطار باهتمام وهي تُرُد:

- فقد قليلا، ظننته أخذ اللون الأبيض ولكنه سليم والإضاءة هيئت لي أنه كسر لكنه فقد درجة من لونه الذهبي اللامع

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"سحر": غير ظاهرة جليا، فقط تكون واضحة لمن يتأمل فيه عن قرب.

"مريم": فعلا

"سحر" لا تشغلي بالك، العصير ها هو.

"مريم" شكرا ياطنط وتخرج "مريم" مسرعة في آلية وتغلق "سحر" الباب بتلقائية وهدوء.

"مريم" تهرول باتجاه المطبخ غير عابئة بإخوتها في الصالة وتدخل مباشرة إلى المطبخ تضع العصير على رخامة المطبخ وتنظر أمَامها مشدوهة يملأ الفضول والتوجس عينيها وهي تمتم مذكرات؟ إنها تكتب خواطرها في هذا الدفتر الّذي رأيته على الطرابيزة من قبل وتحت النافذة وكثيرًا ما رأيتها تطل منها، من ذلك الركن، مكانها المفضل إذن!

ماذا يكون في تلك المذكرات؟ اسم أبي و"ريم" ويوم السبت الماضي! إنها تدون أيْضًا خواطرها بالتواريخ! ماذا تكتب فيه؟

تلمع عيناها بالأفكار وهي تحاول دفعها ولكن باستسلام تهمس: "أُريدُ أن أقرأ ما كتبت."

تناهى إلى سمع "مريم" صوت "كريم" و"ريم" من الصالة فتقوم بصب العصير في عجالة وهي ترُد "مريم": حالا حالا!

صوت "كريم": هل تفككين الذرة؟!

صوت "ريم": بطيئة لدرجة الملل والغيظ، أنتِ ستقومين بصبه فقط

"مريم" من مكانها لا ترُد وتنظر باتجاههم بتوتر وبلامبالاة ترفع الدورق وتصب كوبين لمنتصفهما من العصير وتضيف أكثَر حتى يمتلئ وتهم بالخروج من المطبخ وتهرول باتجاه الصالة، تقرب العصير تضعه أمَام "كريم" و"ريم" على الطرابيزة وتجلس متكومة

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

في مكانها وسط نظرات السخرية والضيق منهما، ويرفع "كريم" كوبه و"ريم" أيْضًا ويحتسيان العصير ويعاودا مشاهدة التليفزيون بينما "ريم" تغرق في أفكارها وتنظر لأخيها وأختها بترقب وكأنها لأول مرة تراهما وتلتفت إلى التليفزيون، تثبّت نظرها عليه متظاهرة أنها منشغلة في المشاهدة ومسيطرة عليها فكرة واحدة؛ أن تجلب الدفتر وتقرأه. ترمق "ريم" بطرفها قد تود لو أن تخبرها ولكنها تلتفت نحو شاشة التليفزيون بحزم وتتنهد بتوتر وتتقافز في رأسها الأفكار تقوم من مكانها متجهةً إلى غرفتها بينما "ريم" و"كريم" مستغرقان في التعقيب على أحداث الفيلم الّذي تترَدد الخلفية الموسيقية للأحداث وتتداخل بين فواصل الحوار بين الممثلين، "مريم" تقفز على سريرها وتحتضن ركبتيها بذراعيها، وعيناها تفيض أفكار وخواطر في جو من الحيرة والتوتر تفرك جبهتها وهي تحاول دفع الأفكار وإسكات صوت ما ربما ينهاها وتغرق في الشرود والأفكار ثانية.

تفرد "مريم" قدميها وتستند للخلف وتقوم بشبك ذراعيها معًا وقد هدأت أسارير وجهها وأخذت تهُزّ رأسها وهي تحاول ترتيب أفكارها وبداخلها عزْم على الإطلاع على ما في الدفتر.

أثناء ذلك يرن هاتفها ترفعه على الفور وهي تَرُد "ندى" أهلا ندنودة وتنصت ثم تَرُد غدا! ... أوك تنوري سأنتظرك، وإياك أن تتخلفي مثل المرة السابقة..... أوك باي.

وتهمهم "مريم" بضيق: ما كان وقته أبدًا يا"ندى"! وتعبث في التليفون برتابة، تظهر "ريم" داخلة من باب الغرفة تنظر لـ "مريم" ساخرة وهي تضحك وتقول: لن أقطع خلوتك مع ذاتك وأشواقك!

فقط جئت لآخذ تلفوني، وتكتم "ريم" ضحكها فترمقها "مريم"

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

باستنكار متعجبة وتقول: أشواقي؟!

فتومئ "ريم" برأسها بتأكيد وتنظر في عينيها نظرة ذات معنى تدركها "مريم" فتَرُد عليها بلوم ساخرة:

"مريم": تركنا الأشواق لكِ، اشبعي بها.

"ريم": لذلك جئت أأخذ تلفوني لأجدك تتحدثين في التليفون!

"مريم": كنت أردّ على "ندى".

"ريم" تتأملها بتشكك مداعبة ولكن "مريم" تتجاهل نظراتها وتزفر بضيق واستياء:

"ريم": اتصل بكِ؟

"مريم": كُلّ يوم تفتحين هذا الموضوع؟! قلت لك انتهيتُ منه.

"ريم": لِمَ ياغشيمة؟!

"مريم": شكرا.

"ريم": رِنّي وأغلقي الخط ستجدينه هو يتصل.

"مريم" بسخرية وهي تضحك باستياء: تقصدين أذكره بي؟!

"ريم": ممكن. "مريم":

- "ريم"! لا تثيري غضبي وأغلقي الحديث في هذا الموضوع تمامًا

"ريم": وآخرتها يا "مريم"؟ لمَ تعاقبين نفسك وتعذبينها؟!

"مريم": أنا؟ -وبحزم- من يريد أحدًا هو الّذي يذهب إليه ولا يحتاج إلى تذكير، وهل بالمرة سأعلمه كيف يهتم بي ويحافظ على شعوري ولا يهملني وألا يثير غيرتي لابتزاز الاهتمام منّي بينما هو لا يكلف نفسه بأن يهتم؟!

وأن أتقبل عيوبه بفخر وفرح وهو يحاسبني على الكلمة؟!

"ريم" تنصت بترقب ولا تَرُد.

"مريم" سأغلق قلبي أفضل رحمة بقلبي وكرامتي.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"ريم": الحب ليس حربًا بين اثنين يا "مريم"!

"مريم" ولا هو معمل وحقل تجارب للعواطف وينقلب من حيث لا تدري أن اعترضت على ما لا يروقك سلخانة للقلوب لتركيعك وابتزازك وسلب إراداتك.

"ريم": من قال هذا؟ وترتبك قليلا ربما ثمة ما استرجعت من أمور ما وفي محاولة للتأثير عليها تبتسم بدلال قائلة:

- لو كان هو الّذي اتصل بك وليس "ندى" ما كان هو شعورك إذن؟

تنظر لها "مريم" مشدوهة وتطوف اللهفة بحدقتيّ عينيها ولا ترُد

"ريم" تشعر بها وتتفهم ما تقول فتبتسم بِودٍّ وتخرج بتأودة متجهة إلى باب الغرفة بينما "مريم" تقاوم الانزلاق لخاطر تقاومه وتعاود التفكير فيما بات مسيطرا عليها كيف تحصل على الدفتر!

تنبهت "مريم" إلى أن "سحر" تقوم بكتابة خواطرها في الوقت الواقع بين العصر والمغرب لقد لمحتها مرات في الحديقة في هذا التوقيت تراءى إلى ذهنها أنه انسب وقت لتفتعل سبب لتدخل هناك ومن ثمة تأخذه ولكن كيف ستأخذه منها هل تجذبه من بين يديها؟! أخذت تفكر كيف لها أن تحصل على دفتر المذكرات.

اندفعت وتراجعت كيف ستحصل عليه منها وهي لا تعرف مكان اخفائه هل ستذهب إلى الشقة في غياب "سحر" وتبحث عنه وتأخذه؟!

تهُزّ رأسها بضيق واستنكار قائلة:

"مريم": أنا لست لصّة لأدخل مكانها وأفتش فيه.

ويوقفها خاطر وصوت داخلي يرد عليها ولِمَ تحاولين أخذه من الأساس، فتَرُد وعينيها تمتلئ جدية وحزم لقد قرأت أنها تكتب عنّي أنا وإخوتي وبابا أيْضًا! تقولها بغير اهتمام، يبدو أن ما يهمها مضمون المذكرات وما تكتبه عنها هي وإخوتها فتطرد على إثره أيّ

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

خاطر يثنيها عن أن تأخذ الدفتر وتستغرق في التفكير في كيف ستحصل عليه من الشقة وبدون أن تفتش أو أن يكون هذا في غياب "سحر". تستند للخلف في سريرها وهي تدبر كيف تنفذ هذا وبتلك الكيفية، تلتفت يمينا وتنظر في ساعة الحائط المعلقة على جانب الغرفة الساعة الحادية عشرة مساءً ترُد وهي تنظر لقرص الساعة، سأحاول غدا وسوف آأخذه وهي بالمكان ولن أفتش عنه، لن أفتش عنه، لا أقبل هذا، أنا لستُ لِصّة، وأمَام الخاطر والصوت لداخلي المتجدد في هذا الصدد تقول على استحياء وبِنَبْرةٍ حازمة:

- سأقرأ ما تكتبه عنا فقط.

أصبح شغل "مريم" الشاغل هو الحصول على دفتر المذكرات كما رسمت ورأت!

تجلس مع إخوتها وتخرج قليلا تقضي وقتًا مع "ندى" وتتحدث في التليفون مع باقي صديقاتها، تتجول في الحديقة وتشتاق إلى "يوسف" وتنتظر الفرصة المناسبة لأخذ دفتر مذكرات زوجة أبيها!

مرَّ أُسبوعان وهي تدخل عند "سحر" مرات في اليوم ولكنها لم تعد تلمح الدفتر كما لم تفكر في الدخول والبحث عنه، خاصة وقد تغيبت "سحر" ثلاث مرات خلال هذا الأُسبوعين عن البيت.

"مريم" قد اتخذت قرارها؛ لن تأخذه إلا في حضور "سحر"!

"ريم" تتجول في الحديقة وهي تتحدث في التليفون وتشيح بذراعها يمينا ويسارا يتخلل حديثها الضحك في التليفون قائلة في دلال:

"مريم": لا، إياك أن تأتي. بابا مسافر في شغل من يومين.

تنصت وترُد مازحة بتأكيد: يوم الخميس..

تتظاهر بأنها قادمة من الداخل متململة تسير باتجاه الاستراحة وتمر بجوار "ريم" التي تداعبها وهي تربت على كتفها مازحة كأنها تتخذ

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

من كتفها عكازًا مستندة على كتفها بالحديث فتتوقف "مريم" قليلا إلى أن تفلتها "ريم" لتمر متجهة مباشرة إلى الاستراحة وقبل أن تستقر على الكرسي وتجلس تقع عيناها على نوافذ الشقة الكبيرة المفتوحة على الحديقة فتنصت واقفة وتعود أدراجها وتدخل وعيناها مليئة بالعزم على أمر، لم تنتبه لها "ريم" المستغرقة بالحديث في التليفون.

"مريم" توقف في الردهة مرتبكة تفكر وهي تفرك في أصابعها وتعض على شفتيها بارتباك ثم تتقدم خطوات وتقف أمَام الباب مباشرة وتخفض نظرها بعيدًا عن عدسة الباب وتقف في مكانها متظاهرة بالثبات، لم ينفتح الباب ترتبك "مريم" تحاول مُجدَّدًا وهي تحاول التحكم في حالة الإرتباك والتوتر المسيطر عليها بإيماءة عن اليمين وتضُم شفتيها بنصف ابتسامة وتعاود رن الجرس من جديد وتنتظر دقيقة كاملة وتقرر الذهاب وفي عينيها ضيق، وقبل أن تستدير لتمشي تسمع صوت فتح الباب وتظهر "سحر" وتلتفت "مريم" مبتسمة:

- "مريم"! تعالي.

"مريم" تدخل مباشرة وكأنها وجدتها فرصة للدخول بينما يبدو على "سحر" بعض التوتر تخفيه بابتسامة خفيفة وتستسلم لدخول "مريم"، تدلف "مريم" إلى الداخل مباشرة وتتفاجأ بالدفتر وقد ظهر فترتبك وتبتلع ريقها مرتبكةً ومن خلفها "سحر" تنظر نحوها متسائلة لِمَ أتت، "مريم" تلتفت مبتسمة وهي لا تدري ماذا تقول، كيف تُخلي المكان من "سحر" لتكون هي بمفردها مع الدفتر كيف ترفعه وتذهب به، تتلعثم وهي تحاول التحدث:

- طنط "سحر"؟ جئتُ أسألك متى سيأتي بابا؟

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"سحر": يوم الخميس.

"مريم": يوم الخميس! "سحر" تنظر لها بترقب وتنتظر أن تذهب.

"مريم" لا تجد ما تقوله وترى أن عليها أن تنسحب، ويرن جرس باب الشقة الكبرى فتهرول "سحر" لتفتح الباب وهي متململة مضجرة، تلمع عينا "مريم" وتجدها فرصة ذهبية أُهديت إليها، فبينما "سحر" ذهبت لتفتح تتقدم "مريم" إلى الطاولة المجاورة للأريكة أسفَل النافذة وتغلق دفتي الدفتر وبسرعة تحمله، ويتناهى إلى سمعها في مكانها صوت "سحر" وهي ترحب بـ "إبراهيم" فتبتسم "مريم" وتظهر فرحة في عينيها وتبادر بالاستئذان لتذهب وهي تخفي الدفتر خلفها بينما "سحر" قد انشغلت باستقبال ابنها.

صوت "سحر": "إبراهيم" أهلا يا حبيبي تعالى ادخل..

صوت "إبراهيم": كيف حالك يا ماما؟

"سحر": الحمدُ للّه. تعالَ لك وحشة كبيرة.

وهي تدخل بصحبة "إبراهيم" تسير بجواره مبتسمة وهما يدخلان إلى الداخل فيقول "إبراهيم":

- أهلا "مريم" أخبارك ايه؟

"مريم": أهلا يا "إبراهيم"، الحمد للّه بخير، أستأذنكم.

وتتجه مباشرة إلى الباب لتخرج بينما "سحر" منشغلة بالترحيب بابنها وقد دخلت بصحبته إلى جانب في المكان.

"مريم" تمسك الدفتر جَيِّدًا وتهرول به داخلة من باب الشقة تتجه مباشرة إلى غرفتها وتغلق الباب خلفها بإحكام وتجلس على السرير ودقات قلبها تتقافز في صدرها وتبتلع ريقها بتوتر وصعوبة وتتحسس الدفتر بين يديها غير مصدقة أنها أخيرًا قد حصلت عليه وأصبح بين يديها، تضع كفها على الغلاف والخواطر تتدافع في رأسها

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

بين فتحه والتفكير الّذي يدور برأسها وهي تقول هل رأتني؟ لا أظن فهي انشغلت بـ "إبراهيم"

ماذا أفعل الآن؟! وتفتح الدفتر وتمر على أوراقه فتجده ممتلئًا بالصفحات المكتوبة والتي يتجاوز عددها منتصفه، فتغلقه ثانية وهي تتساءل في نفسها كيف سأستطيع أن أقرأ كُلّ هذا اليوم؟ ولأنني يجب أن أرجعه ثانية قبل أن تكتشف الأمر، أأنقله لديّ في أوراق؟! أم أقوم بتصويره؟!

تُمسك "مريم" الدفتر بين يديها تنظر عليه بعين تكاد لا تخفض طرفها عنه، توتر وأفكار متضاربة في رأسها ويبدو أنها استقرت على فكرةٍ ما، فتنظر في الساعة ثم تزمّ شفتيها وتعاود الاستغراق في التفكير، يمضي الوقت ثقيلًا والأفكار كثيرة، تستقر على أن تقوم بتصويره؛ فتنهض من مكانها حيث رأت أنها لن تستطِيع قراءة صفحاته المكتوبة في يوم، ستقوم بتصويره لاحقا، ولكن إلى متى ستبقيه معها؟ يجب أن أقوم بتصويره غدًا.

لقد جاء الصباح أخيرًا، نهضتُ وارتديت ملابسي ووضعت الدفتر في حقيبة يدي وأخذت بعضَ النقود من "ريم" وخرجت مندفعة إلى الشارع أفكر في مكتبة من بين ما أعرفهم، فكرت في أن أتوجّه إلى مكتبة بعيدة عن هنا تمامًا؛ فلا أضمن من يقوم بتصويرها، ربما يلمح عبارة أو معلومة أو يكون فضوليا ويثب نظره على سطر أو ما شابه فيكتشف الأمر ويمكن أن يسألني أو يحاول معرفة لمن الدفتر هذا، لا أظن كُلّ هذا ولكن قد يحدث واحدٌ منهم، دخلت المكتبة ومددت يدي بكل حزم إلى البنت الواقفة في المكتبة كانت دون الخامسة عشرة -وكان هذا جَيِّدًا- كانت متعجلة ككل البائعات في محال الملابس والمكتبات وسترات بيع المياك اب تود لو تنفد من

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

العمل قبل القيام به! كما وأنها لم تهتم لتفتح أو تمر بنظرها على الكلمات وقد اخترت أنا مكتبة بعيدة عن بيتنا كثيرًا، لقد اجتزت مسافة لأختار أبعد مكتبة عن سكننا، وقد اهتديت لتلك المكتبة، صورت الفتاة كشكول طنط "سحر" المزركش، وطلبت من فتاة المكتبة أن تقوم بتدبيس الأوراق المصورة عن الكشكول لتصبح أقرب إلى ملزمة من عشرات الأوراق، كبدتني بعض النقود ولكن فضولي لا يهدأ.

أخذت الكشكول ووضعته في حقيبتي بعناية ومعه وضعت النسخة المصورة واستقلّيْتُ الباص وعدت إلى البيت مسرعة وكأني أحمل ممنوعات، هي فعلا ممنوعات عن القراءة والتداول والتناول، كان يوبخني ضميري، فبحوزتي ما ليس لي ولا يخصني ولكن هو معي الآن تلفت جَيِّدًا وأنا أدلف إلى البيت عبرت الحديقة مباشرة إلى البوابة الصغيرة ثم الردهة وتجنبتُ تمامًا أن ألتفت عن يساري إلى جهة الشقة الكبرى، فوراء الجدران بالداخل "سحر"، لا أظنها ستدون خواطر جديدة في الكشكول، فهي نائمة الآن، سأحرص على أن أُعيد الكشكول إلى مكانه قبل العصر إلى المغرب؛ فهما موعدها المعتاد غالبًا حسب مذكراتها في تدوين خواطرها.

دخلت مسرعة إلى غرفتي لم أجِد أحدًا من إخوتي متيقظًا، و"ريم" نائمة في سريرها، ففتحت الباب ودخلت، وضعتُ المذكرات في كتبي في الدرج الأوسط بين كتبي وضعته بين الكتب وأغلقت الدرج وجلست أفكر كيف أُعيد دفتر مذكرات طنط "سحر" إلى مكانه من جديد؟ وأنا أتساءَل هل اكتشفت عدم وجوده بالأمس بعدما ذهب ابنها وعادت لتواصل وتستأنف ما كانت تكتب؟!

لا أدري ولكنني سأعيده.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الفتاة ثنت الغلاف من الظهر لتتمكن من تصوير الأوراق جميعها ولكن الثنية غير ظاهرة تركت خط طولى مائل بوسطه فهي قد تقوم بذلك هي الأخرى أثناء البدء في فتحه للكتابة! لن تنتبه، ولكن هل إن اكتشفت أنه غير موجود ستخبر أبي؟! لا أظن أنه يعرف أن لديها دفتر مذكرات في الأصل، أتوقع إن لم تجده ستبحث عنه، حينها أكون قد أعدتُه لمكانه، ولكني أخذته من على الأريكة وهي لاتتركه عليها غالبًا، فمؤكد ستكتشف أنه أُخذ، هل ما فيه سيجعلها تسكت؟!

لا أدري كيف ستتصرف حيال عدم وجوده؟

على كُلّ حال سأعيده إلى مكانه.

أنا لم أقرأ ما كتبت في دفتر مذكراتها بَعدَ؟! ولكن عليّ أن أُعيد الدفتر أو لَا، كيف تعيدينه وقطعًا اكتشفت اختفاءه؟ ماذا أفعل إذن؟!

أُريدُ أن أُرجع الدفتر إلى مكانه؟! مكانه كيف؟!

مؤكد أنها قد اكتشفت أنه غير موجود ويمكن أنها تشك فيّ أنا. هل يمكن أن تشك في ابنها؟!

أنا وهو من دخلنا عندها عندما كان الدفتر على الطرابيزة، لا أظن أنها ستشك فيه، أكيد وهي تودّعه لم ترَ في يديه الدفتر كما وأنهما كانا جالسيْن معًا، فمتى مدَّ يده وأخذه؟ وقد تنتبه لعدم وجوده قبل أن يجلسا على الأريكة، فهو مكانها المفضل، ولو لم يكن وجلسا في مكانٍ آخر في الصالون أو على السفرة أو غيره، الدفتر كان على طرابيزة الأنتريه أسفَل النافذة المطلة على الحديقة، مؤكد أنها ستشك بي أنا!

كيف أتصَرَّف؟ هل ستواجهنى أم ستخبر أبي؟

"مريم" تهُزّ رأسها بسخط وهي تحاول إبعاد كُلّ الخواطر عنها وهي متوترة ومتعصبة، لقد أخذتُ الدفتر وقمت بتصويره ومعي نسخة

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وسأقرأها وهي مؤكد قد اكتشفت الأمر، سأعيده على كُلّ حال وسأقرأ ما كتبته عنا وتتصرف كيفما تشاء، وليفعل ما يشاء، أنا لا أتوقع منه أيّ تصرف كما لا أستبعد أن تقلبه عليّ، فيلكن، دفترها سيعود إليها لتكمل ما تكتبه عنا وأنا سأقرأ الآن ما كتبت! لن أدع الأفكار تمزقني وتحيرني وتربكني، لا بل سأقرأ ما كتبته زوجة أبي عنّي أنا وإخوتي.

أمامي ساعتين حتى يأتي إخوتي من الخارج، "كريم" ذهب إلى النادي و"ريم" ذهبت لشراء لوازم لها من سنتر بيع مستحضرات التجميل وقد تستغرق وقتًا حتى تنتهي وتأتي، وبابا مسافر فمن سيطرق الباب؟ غيرها سأتظاهر أنّي نائمة وإن عاد "كريم" أو "ريم" مبكرًا سأكون قد قطعتُ شوط في القراءة.

تعاود الخواطر رأس "مريم" فتهبُّ واقفةً بإصْرَارٍ، قلت سأعيده إليها ولكن سأقرأ ما كتبته عنا والأن وتفتح الدرج بحزم وتنظر على دفتر "سحر" المزركش مستقرًا بين الكتب في الدرج وتخرج النسخة المصورة وتعيد الكتب فوق دفتر "سحر" ثانية وتغلق الدرجة بإحكام وتحمل الدفتر تجذب الكرسي وتجلس إلى المكتب تفتح ترفع الغلاف وتلمع في رأسها فكرة وتفتح الدرج وتخرج دفتر "سحر" ويبدو أنها فضّلت أن تقرأ منه فتغلق النسخة المصورة وتنحيها جانِبًا وتضع الدفتر بين يديها وترفع الغلاف وتظهر الصفحة الأولى أمَامها مكتوب عليها "سحر" بحروف مزخرفة، تقلب "مريم" الصفحة الثانية مدون بها تواريخ بدون أحداث بجوارها مكتوب خمسة تواريخ كلهم جروا خلال خمس سنوات، الأول يرجع لخمس سنوات مرت وبعده تاريخ بعده بشهر ثم بعام ثم تاريخين وقعا في ثلاثة أشهر فقط، قلبت "مريم" الصفحات في عجالة وهي تحتار بأيهم تبدأ فعادت لتقرأ من

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الصفحة الأولى فقلبت صفحة التواريخ بلا أحداث، الصفحة التالية مكتوب فيها تاريخ في أعلى الصفحة وأسفَله كتبت بخط القلم نقطتين وعلامة استفهام قلبت "مريم" الصفحة بها علامة استفهام كبيرة مكتوبة بقلم حبر ومجسمة كأنها مرسومة وحوافها محددة بسن القلم تملأ الصفحة في المنتصف، قلبت الصفحة مكتوب بأعلاها علامة استفهام وعلامة خطأ كبير بنصف الصفحة أيْضًا فتضحك "مريم" وهي متعجلة لتقرأ الصفحات المكتوبة فتقرر القراءة من بَعدَ صفحات وتختار المكتوبة والممتلئة بالسطور المكتوبة فتمرر أوراقًا وتتجاهل أخرى، وتبدأ من أول الصفحات المكتوبة وتبدأ في القراءة كما هو مكتوب، تستند تأهبا للقراءة بلا توقف وبفضول وبجدية، تغريها الصفحات المكتوبة جميعها، تمسك الدفتر جَيِّدًا وتبدأ في القراءة تسعل وهي تصفي صوتها لبدء القراءة عصر اليوم ..

"استغربتُ له جدًا، وجدته بَعدَ أن ارتديت الفستان الّذي اختاره لي أن أرتديه حتى أنه طلب منّي أن أضع ميك اب بألوان معينة فلم أعارضه، فمن اليوم الأول وأنا أطبق توصية أمي، المهم حمل ثلاثة صناديق هدايا ملونة صغيرة الحجم وقد أتى بهم من الداخل وأخبرني أنه عليّ أن أُقدمهم لأولاده على اعتبار أنّي من قمت باختيارهم وشرائهم لأقدمهم إليهم، لم أفهم شيئًا ولكن أسعدني نظرة الفرحة والامتنان في عيون أولاده، ولكن لمَ فعل هذا؟! مسألة تقديم الهدايا هذا أعطاني فكرة عن نوعية التربية التي تلقوها كما كان تعاملهم معي بالغ التهذيب عكس ما صورهم لي؟! "مريم" بدهشة وحنق في نفسها: "لمَ يا بابا ماذا قلت لها عنا؟! ولمَ أفهمنا أن هي التي قامت بجلب الهدايا لنا؟! " وقلبت "مريم" الصفحة

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

صباح اليوم..

"بعد الإفطار أخبرني أنّنا سنذهب لنقضي يوما عند أهله ولكي يقدمني إليهم، كما أنهم يريدون أن يتعرفوا إليّ، وجهزت نفسي وتمم على هندامي بعناية وطلب منّي أن أرتدي كُلّ المجوهرات التي اشتراها لي، وبالفعل ارتديتها كلها وما إن وصلنا إلى هناك حتى وجدت أمه تتفحصني بريبة، لم أتوقف أمَام نظراتها ورحب بي إخوته الرجال وأخته الوحيدة كانت لطيفة معي وفرحة لنا بشدة ولم ألتفت إلى أمه، لا أدري لمَ تتأملني بضيق بهذا الشكل! تقمصتْ دور الحماة من أول مقابلة ومارسته عليّ، لم أُلقِ لها بالا وطوال الوقت كنت أتجاهل ما تقول وكل ما يصدر عنها، وكان "فؤاد" فخورًا بي وقضينا يوما جميلًا وعدنا، فرحتُ جدًا في هذا اليوم، شعرت أنّي ملكة بالفعل وسط كُلّ الموجودين."

"مريم": دعوت العائلة لتعرفها على زوجتك أم لكي يروا المجوهرات التي اشتريتها لها؟ لم يخبرنا أحد بهذا...!

مساء الأحد..

"كان يتحدث مع صديقه المقرب في التليفون وسمعته يقول من بين ما قاله إنه الآن فقط يشعر أنه قد تزوج وأنّه لم يكن يعرف ما هو الزواج من قبل وأنّه قد منّ اللّه عليه بزوجة تستحقه وتعتني به وهو سعيدٌ معها. فرحت جدًا لعلمي أنه سعيد معي.

صوت "مريم": أوك يا بابا!!

عصر الاربعاء..

"معاملة "فؤاد" مع أولاده حازمة وبها شدة وبعض الغلظة وهم يهابونه، ذكرني "فؤاد" بعمي "عبد المجيد"، لقد كان حازمًا مُهابًا كبيرَ عائلته كما "فؤاد" بالضبط، ولكني أكره انفلات لسانه عليهم

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وحدته في معاملتهم، أخاف أن يتحول في معاملته معي في يوم من الأيام، ولكن للآن هو يعاملني بحب! هل يحبني بالفعل؟! مؤكد."

صوت "مريم" ساخرة: سنرى!!

مساء اليوم..

"فور أن أخبرني "فؤاد" أن أولاده يحبون تناول الحلويات؛ قمت بعمل عدة أصناف وقد نالت إعجابهم، فلقد أخبرني أنهم محرومون منها وأنّه كان يقوم بشرائها لهم من المحلات لأن أمهم كانت خائبة ولا تجيد صنعها، وأنه كان ينهرها كثيرًا على فشلها المتكرر في عمل الحلويات، خاصة وأنّه يحب الحلويات ويطلبها منها، فرحت لأنها أعجبتهم وقد أكل منها معهم أمامي وخاصة "مريم" التي تعشق تناول الحلويات، لقد أشفقت عليها وأخبرتها أن تطلبها منّي متى أردات! معقول؟! امرأة لاتعرف كيف تصنع الحلويات لزوجها وأولادها؟!"

صوت "مريم" وتردد ما قرأت: وخاصة "مريم" التي تعشق تناول الحلويات!

ولكن أول مرة أعرف أن أبي يحب تناول الحلويات وأنّه كان يتشاجر مع أمي لتصنعها؟!

بضيق تقلب "مريم" الصفحات تارة للأمام وتارة للخلف وتتجاهل التي قد قرأتها وتعاود كر الأوراق وتستقر على صفحة جديدة لم تُقرأ...

السبت السابعة مساءا..

"فؤاد" ممتن لي لأني نجحت في أن عمل على توفير الهدوء في بيته، أخبرني أنها كانت غير طبيعية، لم تسعَ لتحقيقه، كانت تنكش وتفتش وتفعل الخلافات والمشاكل قائلًا إنه: يدوري كان بضيق

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

صدري وأقوم بضربها لتسكت، معذور يا "فؤاد"، سأظل أو فر الهدوء والسلام في بيتنا يا حياتي.

صوت "مريم": معقول تبحثين عن أو هام لتصدقيها يا زوجة أبي؟!

وبحنق لمَ تخبرها بهذا الأكاذيب يا أبي؟!

وتفلت "مريم" بعض الصفحات من النصف وتعود لقراءة صفحات من البداية...

مساء الأحد..

"كيف أنت الآن يا "إبراهيم"؟ لقد أو حشتني يا حبيبي؟! أشعر بألم ومرارة في حلقي، أولاد "فؤاد" يصل صوت ضحكاتهم إليَّ وأنا هنا بينما ابني وحيدًا يجلس بمفرده الآن، كنا نقضي أوقاتنا معا قبل أن أجيء إلى هنا، اجتماعهم المستمر بصحبة بعضهم البعض يثير ضيقي وغضبي، ثرثارون يضحكون كالبلهاء، يحدثون الصخب في الأجواء، "فؤاد" أيْضًا يكره حالات هياجهم هذا ولكن لمَ يضيق "فؤاد" بلم شمل أبنائه؟ أنا أحب هذا لهم ولكن ابني وحيدٌ بينما أبناء زَوْجِي يفصلُ بيننا حائط ويجتمع الثلاثة معًا، باستمرار أسمع أصوات ضحكهم والموسيقى التي يسمعون، حتى في الحديقة معًا وإن ذهب أيٌّ منهم إلى مكان فالباقون يعلمون، اشتقت إليك يا "إبراهيم"، ربنا يرعاك ويحفظك يا وحيدي يا حبيبي."

صوت "مريم": اجتماعنا يزعج أبي ويضايقه؟! لمَ يا أبي لِمَ؟!

مساء الثلاثاء..

"من فرط الزهو وشعور الفرحة الّذي أشعر بها أوَدُّ لو نخرج كُلّ يوم، كُلّ يوم بلا توقف، إنه يدللني بشدة أمَام أقاربه وأهله باستثناء أصدقائه لا أدري لِمَ؟! لا يهم فأنا يهمني عائلته فقط.

صوت "مريم": برافو يا بابا؟! فعلا أهله وأقاربه العائلة هي الأهم

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ياطنط "سحر"!

مساء الجمعة..

"أوشكت على مواجهته ولكني فضلت الصمت، أصبح يستفزني هذا التصرف منه، يبالغ في التهريج وإطلاق النكات البايخة عليّ فيضحك ويريدني أن أضحك! ففي كُلّ مرة يكون أبناؤه عائدين من عند أمهم يبالغ في إظهار حالة من السرور والفرح! بات يستفزني هذا السلوك منه، يوما سأجبره على التوقف، شاركته مرات فيكفي، أظنها لا يفرق معها في شيء، هو يريد أن يخبرها أولادها أن أباهم سعيد معي في حياته، أحيانًا أضحك على خبله ويكون مجاراتي له وسيلة لطلب ما أرغب ولكنني بدأت أختنق من هذا التصرف... لم أعد أحتمل!

صوت "مريم": يا بابا! لقد أعييت المنطق والفيزياء!!

وهي تزمّ شفتيها بامتعاض ممزوج بالشفقة وتقلب الصفحة في هدوء وبآلية وهي تهُزّ رأسها متعجبة مصدومة.

عصر الأحد..

"تشاجرنا اليوم وكنت ثائرة ولم أهدأ إلا بعدما نفثت عما في صدري ولم أهتم بأن يسمع أولاده صوت شجارنا، كان هذا يحرجه وهذا ما اكتشفته، اكتشفت اليوم له نقطة ضعف جديدة، فهو يتحرج أن يرانا أولاده على غير وفاق، أراه يفتعل الابتسامة كُلّما كان معنا الأبناء مهما كان به، كان ينتبه لكي يظهر أمَامهم فرحا منتشيًا، أظن أنه يفعل هذا لأن الأولاد ربما أو أكيد أنهم يبلغون أمهم بأحواله وأنها تريد أن تراه أو تود أن تعرف هل هو سعيد معي؟ نحن سعداء معًا بالفعل ولكني لم ألحظ هذا الشيء سوى اليوم فقط، وأصبحت أنتبه لتعبيرات وجهي في حضورهم."

بمرارة واستخفاف: "مريم": لا بأس!!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

عصر الاثنين..

"بعد الغداء مباشرة وقد فرغ الأولاد بَعدَ تناول الطعام معنا ثم ذهبوا وجدت "فؤاد" يهمس لي ويخبرني أن "مريم" و"ريم" تحتاجان إلى أُم؛ فأمهم حادة الطباع وجافة ولا تقترب منهما خاصة بَعدَ الطلاق، وقد اشتكى البنات له من أمهما، أشفقت عليهما، بيني وبين نفسي سأحاول كسبهم والتقرب إليهم، وقد أكسب "ريم" فهي مرحة وحبوبة بينما "مريم" غامضة ولا أفهمها ولكنني سأحاول. صوت "مريم": أمهم حادة الطباع؟! يتكلم عمن هذا؟!

وقد كسبتِ "ريم" بالفعل للأسف!

عصر الأربعاء..

صوت "مريم": يوم الثلاثاء كان إجازة؟!

وبتململ تقوم بتقليب الصفحات وهي تمسك بإصبعها كعلامة بين الأوراق عند الصفحة التي تقرأ منها في محاولة لقراءة والاطلاع على الآتي فيما بعده بصفحات وهي مازالت ممسكة وتضع إصبعها بين الصفحات التي توقفت عندها، وتظهر صفحة جديدة متقدمة بين الصفحات تمرر "مريم" بصرها عليها

وتقرأ بصوت متململ:

"بكيت اليوم كثيرًا، أشفقت على نفسي واتصلت بأمي وظللنا نتحدث أكثَر من ساعة، هدأتني؛ ولولاها ما استمريتُ معه، إنه للمرة الثالثة يخطئ في اسمي وينادِني بـ "روز"، لم أكُن أعرف أن هذا هو اسم طليقته، -صوت "مريم" اسم أمي؟! - لمَ تخطئ وتقوُلُ اسم أمي وأنت تنادي زوجتك يا أبي؟!

وتمرر "مريم" صفحة أخرى وتتوقف وهي تعتدل في جلستها.

عصر الاثنين..

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

صوت "مريم": ما سر العصر في كتابة مذكراتك؟!

"صحوت من نومي منتشية وأشعر بالارتياح وسأظل أعيش بذلك الفكر وهذا الخاطر، "محمود" الحياة معه بتفاصيلها لها متعة كبيرة، تتجدد كُلّ مرة أستحضره فيها!

صوت "مريم" من "محمود"؟

وتنكب على السطور تقرأها وتعيد ما قرأت.

""محمود" الحياة معه بتفاصيلها لها متعة كبيرة تتجدد كُلّ مرة أستحضره فيها، عشت معه أجمل أيام حياتي"

صوت "مريم": من "محمود" هذا؟!

وتستأنف القراءة هو معي في كُلّ أو قاتي، صارت الحياة أكثَر روعة وتقبل بَعدَ أزمتي الأخيرة، هذا أفضل من أن أترك "فؤاد" أن يتركني هو، كان عليّ أن أستمر، لا أُريدُ أن أعود لبيت أهلي، لا أُريدُ، كما وأنّه لا يقضي وقتا كبيرا هنا، الحياة معه فوضوية وبلا طعم، لا أراه إلا وقت تناول الطعام والوقت الثقيل كوزنه وروحه، عندما يتراءى لي "محمود" فكل شيء يمر ممتعا ومحببا ورائعا، اللّه يرحمك يا "محمود" صوت "مريم": "محمود"؟! هل هو زوجها الراحل نعم تقول اللّه يرحمك يا "محمود"، إذن "محمود" متوفي! هل هي تستحضر طيف زوجها الراحل وهي تعيش مع أبي؟! هذا مربك ومعقد ما هذا ياطنط "سحر"؟!

مساء الاثنين..

صوت "مريم" في نفس اليوم كتبتِ للمرة الثانية؟!

"بالصدفة علمت أن "فؤاد" حاول للمرة الخامسة رد طلقيته، لم أواجهه كما في كُلّ مرة، أعرف ولكني تضايقت بشدة منه وبتُّ لم أعد أُطيقه، لا الحديث معه ولا النظر في وجهه، وهدأت لأني علمت

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

أن أم الأولاد رافضة أن تعود إليه، ولكني غضبت منه، لمَ يريد أن يرجعها؟! هل من أجل أولاده؟! مؤكد، خاصة وأن ابنته الكبرى على وشك أن تخطب، فيريد أن يحافظ على الشكل الاجتماعي؟ أو لتفادي الحرج أمَام أهل خطيبها المنتظر، لا أدري ولكني أعرف أنها رفضت، إنه وغد على كُلّ حال، لم أعد أغضب أو أثور مثل أول مرة عرفت فيها كبدته اليوم عقدًا ذهبيًا يزن 67 من الجرامات، هذا يطفئ غضبي قليلًا."

صوت "مريم": برافو يا "سحر"؟! برافو، هذا العقد الّذي جئت لتعرفينا أنه جلبه لك يومها! كان ذوقه سيئا ولم يكن جميلا ولا شيء.

مساء الاربعاء..

تمرر "مريم" بعينيها على الكلام وهي تزمّ شفتيها ولا تقرأ وتهبِط بنظرها إلى آخر الصفحة وإلى المواجهة لها وتقلب الصفحة وتمر سريعا على السطور وهي تقول باستنكار:

ما هذا يا زوجة أبي؟ ألا تعلمين أنّي قد أقرأ ما تكتبين يومًا هل أحد يكتب تلك الأمور الفاضحة؟! ولكن لمَ تظلين معه وأنت تشمئزين من عشرته في الأمور الخاصة بينكم؟!

وتهُزّ "مريم" رأسها وهي تسترجع شيئًا وتقوُلُ باستنكار في استياء تلجأ لطيف "محمود" وتقوُلُ بمرارة مازحة اللّه يرحمه!

وتمرر صفحات وتتوقف لدى صفحة وتستأنف القراءة:

صباح الاثنين..

صوت "مريم": صباح! جديدة هذه كُلّ الأوقات كانت بين عصر ومساء، ولكن هذا جيد ربما من باب التغير ولدفع الملل!

"عدنا من الخارج أمس في وقت متأخر وكنت بقمة الفرح، حضرنا حفل زواج ابن أحد أقاربه في فندق كبير وفخم واستمتعنا بالحفل،

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

أجواءه كانت ممتعة وأصوات الأغاني والموسيقى ورقص العروسين على أنغام الموسيقى وسط تصفيق الحاضرين، "فؤاد" قال لي أنّي كنت أشيك واحدة في الحفل واقتربت منا قريبة له وصافحتني وانحنت على وقبلتني ثم نظرت لـ "فؤاد" وقالت له لم أكُن أعرف أن زوجتك جميلة إلى هذا الحد!

صوت "مريم" مازحة في استياء: إن جمالك يا زوجة أبي من النوع النادر! وتضحك مقهقهة باقتضاب وتقلب في الأوراق وصولا إلى الصفحة الأخيرة بفضول وتفحص.

عصر الثلاثاء..

"اليوم شدد عليّ "فؤاد" ألا أخبر أولاده بخبر حملي، أخافني الحقيقة، أخبرني أنهم قد يؤذونني، لا أظن ولكن كلامه أقلقني وأخافني فلم أخبرهم، حتى أنه قال لي أن أتظاهر بأيّ شيء حتى أنه عندما عدنا من عند الطبيبة في متابعة لم أردّ على ابنته الكبرى عندما سألتني ما بك وجهك شاحب، ولِمَ دخلنا قال "فؤاد" كما قُلت لا تخبري أحدًا حتى تسلمي من اذى امهم مؤكد ستجن عندما تعلم أنّي حامل؟! لم أخبرهم ولكن حز في نفسي أنّي لم أخبر ابني هو الآخَر ولكن السبب هنا مختلف نهائيا فأنا في حرج أن أخبره، سأمهد للأمر معه، أمّا أولاد "فؤاد" فهو سيخبرهم عندما يظهر عليّ الحمل، يا رب سترك."

صوت "مريم": حامل؟! يا رب سترك! وبسخرية مريرة:

أفهمك أنّنا زومبي؟ شكرا يا أبي؟!

مساء الاثنين..

"تأكدت اليوم من إلهام قريبته أن أم الأولاد لن تعود له أبدًا؛ ففرحت بشدة واطمأننت، حمدا للّه. كيف علمت إلهام؟ مؤكد لأنها من العائلة

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فهي تعرفها وقد تكون علمت بطريقة أو بأخرى وقد أخبرتني حمدًا للّه.

صوت "مريم": إلهام ناقلة الأخبار وذائعة الأسرار الشهيرة وتضحك

"مريم" مازحة وتقولُ: ياله من لقب!

ومردفة: وهل أمي أيْضًا تشكر اللّه؟!

عصر الاربعاء..

صوت "مريم": عصر وراء عصر! مازحة بخصوص توالي الكتابة في عصر يومين متتالين.

"بعد أن مَرَّ يومان وأنا أتجاهل ما يجري، لا أفهم سبب ثورته على أبسط الأمور وصمته وتغيبه عن البيت، واجهته اليوم بشكوكي فنفى أنه كاذب ولكن ماذا أفعل؟ عليّ أن أتجاهل ظنوني، وإن تأكدت! ماذا أفعل؟ لا أدري فبعد أن تخلصت من إمكانية عودة طلقيته يذهب ليعرف أخرى عليَّ لست متأكدة! أوَدُّ لو أنّي أظلمه، هو أنكر ولكن إحساسي يخبرني بأن ثمة شيء هناك يجري؟! تعبت."

صوت "مريم": امرأة أخرى؟!

أبي يعرف أخرى على زوجة أبي يا للهول؟! ولكن لا أظن هذا يحدث ليست أخلاقيات أبي لا تظلمي أبي يا طنط!

قلبت "مريم" بآلية الصفحة، مساء الأحد:

"تعبت اليوم بشدة كُلّ جسدي يؤلمني والدوار لا يفارقني حتى فرحة الحمل خفتت، أظنني تعجلت في مسألة الحمل، مرات إجهاضي أخذت من عافيتي، لو كانت تكمل ربما كان لديّ عدد من الأطفال، "إبراهيم" كان مقدرا أن يكون ابني الأكبر والوحيد، وها أنا سأنجب لك أخًا، ولكني بالفعل متعبة بشدة."

صوت "مريم": مرات إجهاض!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

أنا أيْضًا كنت أتساءل؛ لديها ابن واحد فقط؟!

افرح يا "إبراهيم" مامتك ستنجب لك أخًا!

وتقهقه "مريم" مازحة

عصر الثلاثاء..

وتقلب "مريم" صفحات الدفتر بضيق وانزعاج وتأثّر، تمر عيناها على السطور المكتوبة بغير انتباه، تبلع ريقها بغصة وتعاود الانتباه وتنظر في السطور تتفحصها وتقرأ من جديد، تنتبه على جرس باب الشقة وتسمع صوت "سحر" تتحدث إلى "ريم" فترتبك "مريم" في مكانها وتضم على الفور دفتي الدفتر وتضمه لصدرها وتهبُّ واقفةً مكانها وبسرعة تفتح الدرج وتدخل الدفتر مكانه وتلمع في رأسها فكرة وتتجه مباشرة إلى باب الغرفة وتفتح القفل السحري (التراباس) للباب في هدوء متجنبة أن يصدر عنه صوت، وتخرج منتصبة الظهر إلى خارج الغرفة، وما أن تخرج "مريم" حتى تتلاقى عيناها بعيني "سحر" مباشرة والتي تقف قُبَالَةَ "ريم" فتلتفت "ريم" على "مريم" بترقب بينما "سحر" تنظر مباشرة لوجه "مريم" التي تنظر لها هي الأخرى بترقب في ثبات وتظل واقفة مكانها. "ريم" تبتسم لـ "سحر" قائلة:

- "كريم" في النادي لم يعد بعد.

"سحر" وقد ارتبكت قليلا: كنت سأطلب منه أن يحضر لي بعض الأشياء من السوبر ماركت.

"مريم" تنصت لِمَ تقول "سحر" ولا تَرُد وتتفحص وتحلل نبرات صوتها وبدأ الهدوء يتسرب إلى جوارحها، "سحر" ترمق "مريم" بنظرات تعجب وضيق مكتوم، و"ريم" كعادتها مبتسمة بمرح:

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- سأتصل به أخبره بما تريدين، أخبريني بما تودين شرائه من السوبرماركيت وأنا أخبره في التليفون.

"سحر" بتردد وارتباك؛ وقد بدا لها وتيقنت أن "مريم" لم تخبر "ريم" بأمر الدفتر فتبتسم قائلة، دعيه يأتي وقتما يريد وسأنتظر ربما يأتي من تلقاء نفسه بَعدَ قليل. ريم بإلحاح:

- لا أخبريني، هو في النادي من ساعات.

"مريم" تجلس في أول كرسي بجوارها و"سحر" تنظر مباشرة إليها، بينما "مريم" لا تنظر لها وتنصت في صمت مردفة وتُرُد على "ريم":

- بل سأنتظر حتى يعود أو أؤجلها لغدٍ

"ريم" تبتسم بدهشة من ترددها المفاجئ بَعدَ إلحاح وجدية ولا تُرُد، "سحر" تتراجع للخلف وتخرج وتبتسم لـ "ريم" بِودٍّ

"ريم": أو ك ياطنط

وتبتعد "سحر" عن الباب و"ريم" تقف لدى الباب تنظر نحوها وتغلق الباب في هدوء وببطء وهي تقول متعجبة:

"ريم": ظننتها محتاجة الآن! هي أدرى!

"مريم" تنظر لـ "ريم" بترقب ولا تُرُد، عيناها مليئة بالأفكار و"ريم" تجلس بجوارها في استرخاء.

"ريم": "مروة" تسلم عليكِ.

"مريم" مردفة من شرودها وتوترها: كيف هي؟!

"ريم": بخير

بالمناسبة، أنا توًا عُدت قُبيل أن ترن طنط "سحر" الجرس، فقط دخلت الحمام غسلتُ يدي فوجدتها ترن الجرس. "مريم" تؤمىء برأسها مردفة وتنبسط أسارير وجهها.

"ريم": هل "كريم" تأخر؟!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم": لا أظن

"ريم": ولكن أنا أظن أن طنط "سحر" جاءت الآن لترى من هنا وهل عدنا أنا و"كريم" من الخارج أم لا.

"مريم" تنصت بإمعان في ترقب وبحزم: لم تتأخروا

"ريم" تومئ مؤكدةً وهي ترفع كتِفَيها في تعجب وتتجه إلى غرفة نومها هي و"مريم"، بينما "مريم" تنظر لها بترقب وعيناها مليئة بالأفكار وتستند على كرسيها وتشرد، وعيناها تعكس توترًا وقلقًا وتبتلع ريقها بغصة وتنظر لباب الشقة والفضاء من حولها بخيبة على إثر استرجاع ما قرأت، وتهُزّ رأسها بحيرة وتململ وأسى، "سحر" تتوقف لدى الباب مترددة في الدخول وهي تضع قبضة يدها أسفَل ذقنها وعيناها مليئة بالغضب والحنق، غارقة في أفكارها تحاصرها حالة من الحيرة والقلق والخوف، تستشعر غصّةً في حلقها فتزمّ شفتيها باستنكار ولوم وتلتفت وهي تفكر في فتح الباب ثانية ومن ثمّ العودة إلى "مريم"!

تزفر بغيظ وتوتر وتتجه مباشرة بخطى ثقيلة باتجاه الدولاب وتفتح الدرج وتتحسس بكفها ظهر الدفتر وسط الملابس وعيناها مليئة بالسخط والغضب، تنكفئ عليه وهي تثني ركبتيها وتظل في مكانها تتقاذف رأسها الأفكار والخواطر تغمض عينيها في أسى وتزمّ شفتيها في ندم.

الظلام يلف أرجاء الغرفة إلا من شعاع خافت يصدر من الأباجورة على كومود يتوسط سريرا "ريم" و"مريم"، جسدها غارق في ظلام الغرفة إلا من رأسها يتسلط عليه شعاع خافت من الأباجورة، تمتلئ عيناها بالأفكار والخواطر قلقة متوترة، "مريم" تتقلب في سريرها

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

غير قادرة على النوم، وهي تلتفت وتتحرك بهدوء خشية أن تحسَّ بحركتها "ريم" فتسألها وتحاصرها بالسؤال: ما بك؟!

فتستدير "مريم" ببطء وفي هدوء لتستقر على جانبها الأيسر وظهرها لـ "ريم" المستغرقة في نوم عميق، "مريم" تدفع الغطاء عنها في ضيق وتتململ مستشعرة حرارة غضبٍ تغزو جسدها النحيل، يوقفها تذكر ثمة ما قرأت في المذكرات ويهيمن على خاطرها فتسترجعه في نفسها، صوت "مريم" ويمتلئ بالأسى والغيظ معا:

عصر الجمعة:

"فؤاد" قام بضرب ابنه "كريم" اليوم ضربًا شديدًا أمَام أصدقائه كما عاقب البنات بعدم الذهاب إلى أمهم، أخبرني أنها توسط من يرجعها إليه وأنها نادمة وهو لا يحتمل سماع شيء عنها فأفرغ غضبه في أولادها، أشفقت على الولد فقد نزف دمًا من فكِهِ، وشِفَّتِه فُتحت وكانت الدماء تتناثر على قميصه.

كان "فؤاد" ثائرا بشدة، ولتهدئته خرجنا لتناول العشاء، وبغصة وأسى وتمتلئ عيناها بالدموع وهي تهُزّ رأسها باستياء؛ لقد اكتشفت أن وراء تحريضه عليهم في ذلك اليوم هي.

"مريم": قلبك طيب يا زوجة أبي.

تبتلع ريقها بضيق ومرارة ويقفز إلى ذهنها شيء آخر كتبته "سحر" وتسترجعه على مهل وعيناها منتبهةٌ تحاول تحليله وتفسيره.

صوت "مريم":

مساء الأحد..

"لم أعد أحتمل الحياة مع هذا الخسيس! صوت "مريم" باستنكار ممزوج بالسخرية خسيس! وتسترجع ما تذكرت صوت "مريم" أنه

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

يحاول رد طليقته، إنه هو من يحاول ردّها لا هي من تريد، إنها كرهته أنا أعلم هذا، هي من تركته، لقد كرهت إيهام نفسي أن ما يخبرني به هو الحقيقة، لم أعُد أطيقه! كما لا أُريدُ هذا الجنين.

ليتني ما حملت، أم أولاده على كُلّ حال لن تعود؛ فلمَ كنت أشعر أنّي مهددة؟! مما يقوله ويخبرني به من أكاذيب.

تغمض "مريم" عينيها في أسى وتفر دمعتان منهما وتسقطان على خديها ويعلو صدرها بالنحيب على إثر البكاء المكتوم الّذي تنفجر به غير قادرةٍ على منعه ومقاومته، ثم تضع يدها على فمها فور أن تسمع صوت سرير "ريم" يُصدر صوتًا وتغلق عينيها بسرعة وهي تعضُّ على شفتيها بينما الدموع تتنساب حارة على خديها، تجذب "سحر" ستارة النافذة بتوتر ويظهر ضوء الصباح جليا من فتحات النافذة عيناها ذابلة ووجهها شاحب، يبدو أنها لم تنم ولم تغمض عيناها، تذهب جيئةً وذهابًا في المكان وهي تضم شفتيها في توتر وقلق بالغ، تقاوم فكرة تلح على ذهنها وتعكس عيناها حالة ثورة داخلية وتوعُّد وضيق وغضب كبير، وتزفر بضيق وهي تتأمل المكان في سخط وضجر وحيرة، وتهوي على الأريكة بوهن وتسند رأسها خشية السقوط بذراعها، وعيناها مهمومة.

تندفع المياه من فتحة الصنبور و"مريم" أمَام الحوض منحنية توجّه الماء بكفيها إلى وجهها ويهاجمها خاطرٌ مفاجيء فتجهش بالبكاء فَجْأةً. يأتي صوت "ريم" من الردهة أمَام الحمام وهي تنادي على "مريم":

صوت "ريم": سأسبقك، الحقي بنا.

تنتبه "مريم" لِمَ قالته "ريم" دون أن تلتفت ويعلو وجهها نظرة غضب مكتوم.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"كريم" يجلس بجوار "ريم" وقبالتهم تجلس "سحر" والإفطار معد على السفرة ينتظرون مجيء "مريم" التي تدخل بخطى ثقيلة تجر قدميها وتتظاهر بالحيوية فترفع رأسها وتتقدم منهم وتقولُ باقتضاب وتجلس مباشرة في مكانها:

"مريم": صباح الخير، أنا آسفة تأخرت عليكم

"كريم" مازحًا: جدًا!

"ريم" تتفحص وجه "ريم" وتنظر لـ "كريم" ليتوقف عن المزاح فينتبه لوجه "مريم" مشدوهًا ويتفحصه وهو يأكل بينما "سحر" لا ترفَع عينيها من طبقها وهي تضع أطباق الإفطار وتتظاهر بأنها لم تنتبه لشيء. "ريم" تنظر لـ "مريم" وتود لو ترفع عينيها لتسألها ما بها ولو بالإشارة. "كريم" يتناول طعامه في جدية، ولا تزال عيناها مليئة بالأفكار والقلق.

يمر الوقت ثقيلا، الكل يرفعُ الطعام إلى فمه وعيناه مليئة بالقلق.

"كريم" مردفا: بابًا عائد غدا إن شاء اللّه.

ترتبك "سحر" وتهبُّ واقفةً وهي ترفع طبق به بقايا الطعام وتدخل مباشرة إلى المطبخ وتتولى الرد عليه "ريم"

وهي تومئ برأسها مؤكدةً ما قال "ريم": آه إن شاء اللّه.

"كريم": متى؟ تحديدًا هل تعرفين؟

فتطلّ "ريم" على "سحر" وتودّ لو تسألها فينظر لها "كريم" لتتوقف فيعاودوا تناول الطعام.

"مريم" وهي تُحرِّك الطعام في فمها ببطء وبغير شهية صامتة تمامًا تراقب ما يحدِّق في ترقب وفَجْأةً يسترجع ذهنها بعضا مما قرأته، فتميل برأسها للأمام وترفع عينيها وهي تحتوي بنظرتها أخويها

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

اللذين يجلسان حولها وتتوسطهما هي مسترجعة صوت "مريم":

مساء الاثنين:

"شدد عليٌ بألا أخبرأولاده بخبر الحمل وأنّه أيْضًا لن يخبرهم إلا في حالة ظهور الحمل عليٌ، لأنهم سيغيرون من الطفل القادم وستقلبهم أمّهم عليٌ بدافع الغيرة -وتنظر تارة لوجه "كريم" وتارة لوجه "ريم"، وذهنها مستمر في استرجاع ما كتبت "سحر" - فأمهم امرأة حقودة.

تدفع "مريم" الطبق بعيدًا بضيق على غير قصد وتنتبه لذلك "ريم" التي تنظر بطرف عينيها على "مريم" بتوجس وقلق، ويستمر عقلها يسترجع وعيناها مثقلة بالأسى، وفي تلك اللحظة تصادف عينا "مريم" عيني "سحر" التي تنظر مباشرة في عينيها.

صوت "مريم": أعلم أنه مازال يحبها بينما أنا أخبره أنّي أحبه فأجعله يستشعر أنه مقصر في حقي ويشعر بالذنب حيالي وبالغضب والسخط عليها وعلى أولادها؛ فهي قد تركته وذهبت ومع هذا مازال يحبها ولا يقوى على إخراجها من قلبه، وأنا التي تحبه ولا يقدر لها هذا أو يستطيع أن يبادل حبها بحب ويطردها هي من قلبه.

"مريم" بأسى واستياء وتعجب تتأمل عيني "سحر" التي عادت وجلست في مكانها وهي ترشف من كوب الشاي متظاهرة بالثبات والهدوء، واستياء وسط استغراق "ريم" و"كريم" في تناول الطعام بينما، ينتهي"كريم" من طعامه ويقوم من مكانه في عجالة:

"كريم": أحضري لي النسكافيه هناك يا "ريم" لو سمحتِ.

"ريم": حاضر.

"مريم" ذهنها يواصل استرجاع ما قرأتْ وهي تنظر في طبقها وقد توقفت عن تناول الطعام.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم" في نفسها: لا أعرف لمَ يقول لي هذا، فأولاده يحترمونني - وترمقها "مريم" بخيبة - فهو يخبرني أن أمهم تقوم بتحريضهم عليه وعليَّ، لمْ أرَ ذلك ولكنه ردده لي مرات -وترمقها بلوم وحنق و"سحر" تتجنب النظر في عينيها وترشف من كوب الشاي- و"ريم" تحاول أن تفهم ما يجري وهي تنظر بطرف عينيها إلى "مريم" تارة وباتجاه "سحر" تارةً أخرى!

صوت "مريم": ما دامت تفعل هذا فهي تغار منّي بلا شك، فأنا قد أحل محلها الآن. فيختفي الصوت وتضحك "مريم" فَجْأةً بصخب في شبه بهستيريا وتغادر المكان في هدوء وهي مازالت تضحك، يتخلل صوتها الأسى والسخرية.

تهب "ريم" على إثر ذلك وهي متعجبة وتنظر مباشرة لوجه "سحر" فتجدها تنحني للأمام بأسى واضطراب وتهتز يداها وهي تحاول إحكامها على كوب الشاي أمَامها، "ريم" تلحق ب"مريم" وهي تقول:

"ريم": ما بها "مريم"؟! ماذا حدث؟!

وتهرول مغادرة المكان و"سحر" ترفع عينيها بثقل وتطل عليها بغصة في انكسار وحيرة.

"ريم" تندفع إلى داخل الشقة تتجه مباشرة إلى غرفة نومها هي و"مريم" بينما "كريم" ينادي عليها قائلا:

"كريم": أين النسكافيه؟!

ريم: لحظة يا "كريم"!

فيصمت وينظر عليها بفضول وترقب.

"ريم" تندفع إلى داخل الغرفة تطل في أرجائها لا تجد "مريم" فتتراجع وتدور بعينيها في الأرجاء.

"كريم" متسائلا: ما بك؟

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"ريم": أين "مريم"؟!

"كريم" وهو يشير إلى جانب في الداخل: في الحمام -بفضول مستدركا- ما بها "مريم"؟ شكلها مرهق وعلى غير عادتها. ما بها يا "ريم"؟!

ريم وهي تتعجل خروج "مريم" وتُرد على "كريم" باقتضاب وقلق:

- لا أعرف. باستنكار والحاح "كريم":

ـ "ريم"؟!

"ريم" بقلق: واللّه لا أعرف

يميل "كريم" وهو ينظر باتجاه الحمام وينادي بحزم:

- "مريم"؟! "مريم"؟!

بحلول المساء استعادت "مريم" هدوءها وجلست بين إخوتها وأمَام ملاحقتهم لها بالأسئلة لمعرفة ما بها أخبرتهم أنها خائفة وأعصابها متعبة من فرط القلق؛ فنتيجة امتحانات الثانوية العامة أو شكت على الظهور وأنها تخشى ألا تحصل على مجموع يؤهلها للالتحاق بكلية الألسن التي ترغب بدخولها كما يستقر في علمهم عن رغبتها فيما بَعدَ الثانوية، يحاول إخوتها تصديقها وسط قلقهم وأمَام تمسكها بهذا السبب يستسلموا لِمَا أخبرتهم به.

تستقر "مريم" في مكانها بين إخوتها وقد استقرت على فكرة في ذهنها، تتنهد بارتياح على إثرها تعكسه نظرات عينيها التي صارت أصفي وأهدأ.

"كريم": "ريم" أحضري لي كوب من العصير ولـ "مريم"

"ريم" ضاحكة بمزاح: وأنا حرام عليّ؟

"كريم" مازحا: أنتِ أدري بحالك!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

تضحك وتقوم من مكانها وتتجه مباشرة إلى الباب وتخرج فتنتبه "مريم" والتي تجدها فرصة فتومئ مبتسمة لـ"كريم" وهي تقوم من مكانها بهدوء وتتجه مباشرة إلى غرفة نومها هي و"ريم" وتدخل وتدفع الباب قليلا خلفها وتدخل إلى المكتب، تفتح الدرج وترفع الكتب عن الدفتر المزركش وتظهر أسفَل منه النسخة التي قامت بتصويرها في المكتبة، تتركها في مكانها وتقوم بإخراجه وتعيد الكتب ثانية في مكانها وتغلق الدرج وتتوقف لحظات في مكانها وهي تعيد فكرة استقرت في رأسها وتمسك الدفتر في يدها إلى جانبها مختبئا في جانب ذراعها الّذي تدفعه للخلف وهي تثبته إلى جانبها وتفتح الباب وتخرج من الغرفة متجهة مباشرة إلى باب الشقة وتمر بسرعة من خلف "كريم" وهي تقول في عجالة حتى لا يتنسى له أن يوقفها:

- لحظات وسأعود.

"كريم" مناديا بدهشة متعجبا: "مريم"؟!

من خارج باب الشقة صوت "مريم":

- راجعة يا "كريم"!

فيلتفت أمَامه ثانية بذهول، ويقول في امتعاض: طيب!

تدخل "مريم" من الباب مباشرة إلى داخل الشقة الكبيرة

وتتمهل في خطواتها قليلا في الردهة، تميل برأسها وتطرق سمعها تستوضح وتحدد مكان "ريم" و"سحر" وتتأكد من ابتعاد واتجاه الصوت إلى أنهما بالداخل في المطبخ، بالفعل فتدخل مباشرة في ثبات وتتجه إلى الأريكة وتجلس بسرعة عليها وتجذب مخدة صغيرة وتضعها فوق الدفتر على حجرها وتستند للخلف وتجعل يديها تستقران على المخدة وهي تتلو ريقها بصعوبة في قلق وتوت

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

بينما صدى صوت "سحر" و"ريم" يقتربان وأنهما قادمتان من ناحية المطبخ، تقف "مريم" على الفور فتحكم "مريم" وضع المخدة فوق الدفتر وتتركها على الأريكة وتهرول باتجاه المطبخ فتلحق بها قبل أن تخرجا إلى الصالة، وتتفاجأ بوجود "مريم" فينظرا لها مشدوهين بتعجب.

"ريم" تحمل بين يديها صينية عليها ثلاثة أكواب من العصير، تتقدم "سحر" بخطوة واحدة بينما "سحر" تتفحص عيني "ريم" وتتوقع شيئًا، متعجبة وبعتاب "ريم": "مريم"؟!

"مريم": تأخرت فجئت أتعجلك.

"ريم": معقول؟! لم أتأخر بعد! وتلتفت "ريم" بعيون متسائلة إلى "سحر" التي لا ترُد، "مريم" تتركهم وتهرول باتجاه الباب وتغادر المكان فترمقها "سحر" بذهول و"ريم" تنادي عليها بدهشة:

"ريم": "مريم"... انتظري!

وتلحق بها وهي تحمل العصير وتخرج من باب الشقة الكبرى و"سحر" تقف مكانها لا تدري ما يجري من حولها.

"ريم" تدخل من الباب وهي تحمل صينية العصير وتنظر إلى داخل الشقة بتوجس وتوتر وتجد "مريم" قبالتها تتحدث مع "كريم".

مقاطعة في استنكار وهي تضع الصينية:

"ريم": لم تدخلي الحمام! بتهكم وكانت من نظراتها تتوقع ألا تجدها في الصالة! أخبريني ما هذا؟ أخبريني على الفور، ثمة ما يحدث وأنا لا أفهمه، ما بينك وبين "سحر"؟

"كريم": "سحر"! هل حدث شيء يا "مريم"؟

"مريم": لم يحدث شيئًا.

"كريم" –"ريم": "مريم"؟!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

و"مريم" تنظر لهما في ثبات وفي هدوء تهُزّ رأسها ولا تتكلم وسط نظراتهما المليئة بالتوجس والقلق معًا، ويلتفتا وينظرا لبعضهما البعض بنفاد صبر وحنق.

"مريم" تمد يدها لتحتسي العصير وترشف منه فيرمقها "كريم" باستنكار و"ريم" بتوعد وذهول.

قبل انقضاء وقت الظهيرة تدلف "سحر" إلى الشقة الصغيرة وهي تتجه مباشرة صوب غرفة نوم "مريم" و"ريم" وقبل أن تقترب من الباب تجد "مريم" قادمة من الداخل وهي تسعل لتنبهها أنها هنا، وبالفعل تلتفت "سحر" ببطء على صوت سعال "مريم" وتنظر في عينيها بلوم وغضب وتوعد، و"مريم" تتقدم باتجاه "سحر" بخطى ثابتة في هدوء وهي تبادلها نظرات اللوم والاستنكار وتتقدم في استنفار، تستشعر "سحر" أن "مريم" لا تخشى مواجهتها فترتبك قليلا وتتماسك أمَام خاطر مَرَّ في ذهنها وتقوُلُ متخطية بدايات أخرى للحديث:

"سحر": هذه هي التربية التي تتغنوا بها؟!

"مريم" تجدها بداية مختصرة للدخول في متن المواجهة فتبتسم هازئة وبمرارة:

"مريم": تخيلي لو كانت تربية أبي، ما كان مصير دفتر مذكراتك حينها؟!

تحملق فيها سحر ولاترد، لقد تفاجأتْ من نبرة صوت مريم وتتحرك "سحر" خطوات للخلف لتكون أقرب لأن تكون في الغرفة منها إلى الصالة قُبَالَةَ "مريم" وهي تخمن أن "مريم" قد قرأت الكثير لتقول ما قالته فتبتلع ريقها بصعوبة وتنظر لها بتوعد

"سحر": تربيتك تسمح لك بتفتيش، وسرقة أغراض الآخرين؟!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم": نعم.. تسمح!

"سحر": وأين الأساور؟!

تتلقف "مريم" ما قالت بذهول متفاجئة وتحملق غير مصدقة ما تسمعه فتستشعر "سحر" الانتصار فتثبت وتعتدل في وقفتها وتدب القوة والثقة فيها.

"سحر": سأخبر أباكِ بما يجري حوله، ابنتك "مريم" قد ضحك عليها شاب وبعدما اختلى بها.. "مريم" صارخة:

- اخرسي يا كاذبة لم يمسسني أحد، أنتِ كما وصفتيه حقيرة وخسيسة.

"سحر": تشتمين زوجة أبيك؟

"مريم": أتلفقين لي التهم لتشوشي على مذكراتك؟

"سحر": ليست لي.

"مريم": الدفتر أعدته إليكِ ولكن معي نسخة مصورة، ثم هنا دفتر سجل كُلّ الأحداث بالتواريخ والأسماء والإشارات والدلائل.

"سحر": تودين تخريب بيت أبيك؟!

"مريم": إطلاقًا.

تطمئن "سحر" قليلا وتتأمل عيني "مريم" لتصل لِمَا تنتوي بلا جدوى.

"سحر": ستخبريهم؟! أباك وأخوتك وأمك؟

"مريم": لا أعرف.

تنفعل "سحر" وباستنكار واستخفاف: وما هو الّذي تعرفينه؟ أن تشوهي صورتي أمَام زَوْجِي وتتسببين في تخريب بيتي؟!

أنتِ بنت خبيثة وماكرة وسيئة التربية، وأنا سألقنك درسا لن تنسيه أبدًا.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم": لن أردّ عليكِ.

"سحر": لمَ قُلتِ إني.... منذ قليل؟!

"مريم": لأنكِ أنتِ التي تودين تشويه سمعتي! أنسيتِ ما قُلتِ؟!

"سحر": ما هذا؟! لمَ كُلّ هذا؟ ألا تستحين من نفسك حقا!؟

اعتدتُ تدوين خواطري اليومية، منذ سنوات، لمَ ينبش أحد خلفي ويفتش في أغراضي؟

- لم أفتش في أغراضك
- وكيف حصلتِ عليه إذن؟
- كان على الأريكة وأنتِ تعلمين.
- أنتِ فتاة مهذبة، أنا مصدومة فيكِ بالفعل، لمَ يا "مريم" تأخذين دفتر مذكراتي؟!
- لم أقصد.
- لم تقصدي؟!
- دفعني الفضول لفتحه وعندما لمحت أسماء إخوتي أردتُ أن أعرف ما الّذي كتبتِه عنا. ترتبك "سحر" بتوتر:
- كُلّ منا لديه آراء ومواقف تجاه كُلّ من حوله، لا أحد يطلع عليها، ولا نخبر بها أحدًا.

تومئ "مريم" برأسها ولا تَرُد.

- أبوكِ سيعود عند السادسة مساءً!
- أعلم. دفتر مذاكرت حضرتك لديكِ.
- حضرتي؟! بَعدَ كُلّ ما جرى منك؟
- ماذا جرى؟
- سرقتِني.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- لاتقولي سرقت، أم أعجبتك تهمة السرقة والأخرى أن شاب ضحك عليّ؟!
- لا أقصد، ولكن أنا لا أنام يا "مريم"، أنا مصدومة وخائفة على بيتي وعلى حياتي. أنتِ لا تدرين شيئًا، أنتِ صغيرة.
- صغيرة! وتقوُلين إنك ستخبري أبي أنّي ...
- لا لا، لم أجِد ما أُدافع به عن نفسي، لم أقصد.
- ولكن كنتِ ستقولين هذا لأبي عنّي إن أخبرته بما في مذكراتك؟! أليس كذلك؟
- أنا أُريدُ البقاء هنا مع أبيكِ، لا أُريدُ العودة إلى بيت أهلي، أنا فقيرة يا "مريم" وأخاف... أبوكِ يوفر لي الأمان ولا أحتاج لشيء من أحد ولا أحمل همّ توفير احتياجاتي كما كنت قبل أن أتزوجه. (وتبتلع ريقها بغصة وهي تخفض نظرها لأسفَل باستياء وهي متيقنة أن هذا الأمر قد اطلعت عليه مريم من خلال المذكرات)، واستطردت قائلة: وأخاف الناس، أنا لا أستطيع أن أعول نفسي وابني قد كبر، ولكنه يتعلم، لا أُريدُ أن أعود لبيت أهلي. الحاجة والخوف هما من يجعلان أيّ امرأة تتقبل حياةً لا تجد فيها راحتها ولا تريدها، أنا مجبرة على الاستمرار، أنتِ صغيرة، دفعك فضولك لتطّلعي على ما أكتب، وبُعدك عن أُمّك جعلك تتخبطين في الحكم.
- ولِمَ أقترب منك؟!

تتنبه "سحر" وتتماسك ثانية وتنظر لها بغضب:

- أعلم أنكِ قرأتِ ما كتبته. "مريم":
- أغلبه.
- شاطرة! جئت لتهديدي؟

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- لقد أعدتُ إليكِ دفترك. جئتُ لأرى ما في رأسك وما تنوين فعله، أنا نادمة أنّي سرتُ خلف فضولي واطّلعت على ما في مذكراتك.

تظن "سحر" أنها تعتذر فتقوي موقفها وتبتسم بحنق ولوم.

"مريم": قبل أن أطلّع على مذكراتك كنت لا أعرف أبي!

"سحر "ترتبك بشدة وتتوتر ويظهر أسى في عينيها. "مريم" مردفة:

- كنت أظن أن أبي رجل محظوظ في الحب! تتركه أمي بعد حب فيتزوجك ويجد الحب.

تحملق سحر في مريم محاولة فهم ما تقول وما سبب الدموع في عينيها في نفس اللحظة، وتستعيد مريم نفسها بسرعة وتلمع عيناها وتختفي الدمعة وترتسم ابتسامة واثقة على شفتيها..

واستطردت مريم:

- وأنه سعيد في حياته معكِ وأن أمي مسكينة وفاشلة وأنك المرأة النموذج للفهم والوعي والحكمة، تعرفين كيف تحصلين على كُلّ ما تريدينه وتسيطري وتوجهي كُلّ الأمور لصالحك، وأنت هادئة متبسمة في حكمة وذكاء!

تنصت سحر مأخوذة بالحيرة يخالطها الصدمة؛ فما تسمع يهوي على سمعها كالمطارق وتتأرجح في عينيها نظرات الذهول والشفقة معا مطبقة شفتيها تماما وتسحب ريقها بمشقة!

أما مريم فتتطلع في عيني "سحر" بذهول وهي تحاول أن تصدق أن هذا الحوار يدور معها وهذا المعنى والجانب تحديدا، في حين ترمقها "سحر" بضيق وحرج.. واستطردت مريم..

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- وكنتُ أظن أن الحب يأتي ويذهب بإرادتنا وأن الرجل لا يحب كما تحب المرأة وأن حبه يختلف. لم أعرف أن بعض الرجال أقوى في حبهم، وأن الحب لا يغادر القلوب بمغادرة أصحابها المكان أو بألم.

ثوقف "مريم" كلامها في هدوء على الفور لرؤيتها الدموع تحتشد بعيون "سحر" الّتي تنصت مصعوقة وتتيقن أن "مريم" قرأتْ من المذكرات ما يتعلق بزوجها السابق "محمود"؛ فتميل برأسها جانِبًا إلى الأمام وتسند يدها على الحائط.

- وأن الحب هو الحب وأن الزيف ينكشف وأن الحب هو قوام كُلّ حياة بين رجل وامرأة، وأن الزيف والوهم ينطلي ويُصدق، خاصة وأنه يظهر للآخرين كشيءٍ رائع وحقيقيّ، وأن إيهام المرء لنفسه بأمور وتصديقها هو مخدر يُعينه على الاستمرار والمُضي في الحياة بقدر أقل من الآلام والأوجاع، وعلمتُ أن أمي لم تفشل لأنها عاطفية، بل هزمها أبي لأنه لم يُقدِّر الحب، وكانت النتيجة أنها الآن في راحة بعيدًا عنه؛ فأخرجته بالكامل من قلبها.

"سحر" تنصت في ترقب مشدوهة تنتصت عن كثب.

- وأنه يقاسي في بعدها، يتوهم السعادة والنجاح ولكن هي من نجحت، ظاهريا هو نجح في تكوين أسرة؛ زوجة وابن قادم وأمي هناك بَعدَ الخلاص تستجم وتستعيد نفسها، -"سحر" تتفهم شعور "مريم" ولكن يروق لها ما تسمع فتحل الطمأنينة في أو صالها منعكسة في صفاء بعينيها وتنصت بضيق أقل- وإن البعض لديهم قدرة على صنع ونسج أوهام باستمرار على أن يقيموا واقعًا حقيقيًا -وبتحفز وتحدى لاتغيب عنه السخرية - وأن الهدوء في بيتنا كان وهمًا يدفع ثمنه أبي الذي يحرص على إظهار وجوده بأيّ شكل مهما كلفه! وأن الحب ينتصر، وأن الحب لا ينتهي بتلك السرعة التي يجري

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

بها، وأن الطرف الأقوى في الحب يتألم ولكنه أبدًا لا يخسر، وأن من لا يُقدِّر ويفرط فيمن يستحق الحب يعاني لاحقا، وأن خسارة من يحبوننا بصدق خسارة قد لا تقبل التعويض.

"سحر" بمرارة: هل أنتِ فرحانة بما عرفتِ واكتشفتِ؟

"مريم": مثل كُلّ شيء، ساءني بعضه وأرضاني بعضه.

"سحر": ستخبرين أباكِ؟ وإخوتك وأمك؟ هل ستخبرينهم؟

تظهر "ريم" تطل مائلة برأسها من خلف الباب من جهة الردهة في وضعية ثابتة متصلبة، يبدو قد مر وقت وهي هكذا بمكانها، أذنها تستقبل ما يقال ونظرات عينيها تعكس وقع ما تسمع، تزفر بضيق، تغمض عينيها وتفتحهما، تسيطر عليها حالة من الاضطراب والحيرة والتردد وعدم الاتزان، تعض على شفتيها بغيظ وترى أن تبقى ولا تظهر نفسها لـ "مريم" و"سحر" فتظل واقفة في مكانها.

مريم مردفة..

- شيء واحد هو ما أغضبني منك.

تنظر لها متسائلة مترددة وخجلة.

"مريم" بِنَبْرةٍ عاتبة وساخطة:

- أرجوكِ لاتتلاعبي بعقل أختي.

يظهر وجه "ريم" تنظر بذهول مصدومةً ومضطربةً ونادمة وتلصق ظهرها بالحائط.

"سحر": أختك؟!

"مريم": اتركينا لِمَا تربينا عليه، الوضوح والبساطة والتلقائية في معاملة الآخرين وفي ومواجهة الآخرين إن لزم الأمر، وأن نكون أنفسنا، نقدم ونظهر أمامهم ما نحن عليه، وأن ما نود ونريد أن

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

نظهر ونكون عليه يجب أن يكون حقيقيا بسعي وحرص منا؛ وإلا فلا نتقمصه ونتظاهر به كذبا..

"سحر" ترمقها بنظرة زاجرة في ضيق ولوم.

مريم: أنتِ لكِ شخصيتك وقناعاتك ووجهات نظرك في تسيير أمورك.

سحر: مريم!

مريم: لا ألومك يا طنط "سحر"، أنا لا ألومك.

ترّق "سحر" وتستقبل منها طنط وأنها تناديها بطنط ثانية برحابة وترحيب وتستشعر بوادر السلام واستعادة الود فيما بينهما وتبتسم على استحياء في حرج وغصة من الموقف.

"مريم" تتأملها بشيء من الود في التماس العذر، وتلمع الدموع في عينيها.

"مريم": أعرف أن لديك أسبَابك ولك طريقتك التي دفعتك، ربما ظروف تخصك وحدك لتقتنعي بأنها ضرورية ومناسبة للتعامل بها مع غيرك..

تنتبه "سحر" لدموع "مريم" مستغربة متسائلة بينما "مريم" تواصل، و"ريم" تسند رأسها للحائط ويعلو صدرها ويهبط وهي مغمضةٌ عينيها ولا تتحرك.

"مريم": لا تظني أنّي بحالة رضى أو سرور وفرح بما قرأت! فأحيانًا كنتُ ألوم على أمي أنها ذهبت!

ويظهر وجه "ريم" وهي تطلُّ إلى الداخل بعيون مليئة بالدموع وترمق دبلة خطوبتها في يدها بحنق وسخط.

- كانت هذه الفكرة تريحني وترضيني بشدة وهي أنني ضحية وأن لي ظروفًا خاصة أستحق بسببها الدعم والرعاية المفرطة

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

والتعويض، فهم مقصرون بحقي! نعم هناك تقصير ممن حولي وعليهم أن يعوضونني مقابل اختياراتهم الخاصة.

وبصوت متهدج أقرب إلى الصراخ:

- كنت أراها أنانيّة، أمي ليست أنانيّة؛ هو من كسرها بطبيعته وتركيبته الغريبة - وفي عفوية وبراءة - لا تفعلي مثل أمي، لا تكوني معه مثلها.

تتحرّج "سحر".

- لا ألومك، لا تسيئي فهمي، هو لا يستحق إلا ما تفعلينه.

"سحر" تنظر بلوم وتأثّر واستنكار وترتبك.

- أقصد لا تسمحي له أن يهزمك.

"سحر" بضيق:

- أنتِ صغيرة ولا تفهمين الكثير.
- أرجوكِ كُفّي عن لعب دور المرأة حكيمة العصر، أنا قرأتُ عقلك وما بداخلك، لقد قرأتُكِ.

"ريم" تنظر في جدية وباستنكار وتؤيد "مريم" باستدراك، وتجد أن "سحر" تعي ما تفعل وتحاول تلميع صورتها وخداع "مريم" لتحسين صورتها، فتنتبه لها وتبدل اللطف والود إلى استنفار وينعكس على نبرة صوتها لتركن وتميل إلى العقلانية. تكمل "مريم":

- لن أكره الخامة الأجود لطبيعتي، أن أكون عاطفية، قلب يرق وشعور حاضر وعاطفة تلين، ولكني لن أتركها وأدعها تغلبني فتُمكِّنَ الآخرين منّي، لن أسمح لنفسي أن أُهزم كما هُزمت أمي أو أن أتبرأ من ملامح شخصيتي ولا أدفعها بلا سيطرة وتحكم مني؛ فلن يأتي اليوم الذي أكره فيه شيئًا عزيزًا من شخصيتي..

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

تنصت "سحر" بترقب، وعلى مضض تخفي نظرة لائمة لما يفاجئها مما عليه البنت من فهم وإدراك للوضع والموقف فترمقها بنظرة غاضبة.

مريم: ولن أخبر أبي بأمر المذكرات.

سحر: وإن أخبرتِه؟! أو أخبرتِ أحدًا من إخوتك؟

يظهر وجه "ريم" التي تنصت باستخفاف

"مريم": أخبره بماذا؟ ماذا سأقوُل له؟!

"سحر" ترمقها باستنكار.

"مريم": لا أُريدُ أن أقوُلَ له عنكِ، ولا أن تقولي له عني، وليس حولي ما تقولينه.

"سحر" ترتبك وتُرُد في حزم:

- وأنا لا أُريدُ إفساد جو البيت الهادىء.

تتلقف "مريم" تلك العبارة وقد داخلها يقين في أن "سحر" لن تتغير وعليها الحذر منها:

"مريم": لا تجعليني في يوم من الأيام أخبره.

"سحر": ماذا؟!

"مريم": أقوُل لك لن أخبره وأنت لا تصدقين.

"سحر": وكيف أُصدق؟

"مريم": اسألي نفسك؛ لمَ سأخبره؟

"سحر" تنظر لها بحنق وتشكيك.

تتابع "مريم" وتلمع عينيها وتقوُلُ في ثبات:

- لأنه سيأتي بأخرى غيرك، إن صدم فيك.

"سحر" تنصت بترقب ولمْ تظنها تقلل منها أو تستحف بها فترفع أكتافها بضيق متظاهرة باللامبالاة.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

مريم: وما الفائدة التي تعود علينا نحن؟ كُلّ امرأة ستكون هنا هي له ولن ندري ما طباعها وما تحمله لنا، ستظل زوجة أبينا وليست أمنا على أيّ حال.

"سحر" تتلقف ما تسمع بغصة تربط بين كُلّ ما تقوله وقالته "مريم" وقد باتت على يقين أنها لن تخبر أباها.

مريم: فلا جدوى من أن يعرف شيئًا.

"ريم" تنظر بحيرة وفضول من مكانها بجوار الحائط وهي تمسك في يديها أكياس الخضار ومشتريات السوبر ماركت ولا تفهم.

واستفهام "سحر" وهي لا تدري ماذا تقول أمَام ما قالته "مريم"، لقد أثبتت لها أنها لن تقول لأبيها مع ذكر السبب، لقد اكتشفت "سحر" وتيقنت أنها لن تخبره وكأن كُلّ ما جرى كان من أجل كشف ما تكنّه لهم وحقيقتها هي، ولن يعرف زوجها ولن يوجد ما يُهدد بقاءها فيها، لقد قزَّمتها "مريم" بردودها، ولما أوقنت "سحر" أن "مريم" لن تخبر أباها استشعرتْ الضآلة والضيق والمرارة الممزوجة بالطمأنينة لأنه لن يحدث ما يقلق استقرارها في البيت، تنظر لـ"مريم" بألمٍ عميقٍ وحيرةٍ بالغةٍ وقد تقزَّمت أمَام الابنة، ولكن تأكدت أنها لن تخبر أحدًا.

"سحر": لم أقصد ما قلت! لم أقصد. ولكن لم أجِد ما يجعلك مجبرة على السكوت وعدم إخبار أبيك بشأن ما قرأتِه في دفتر مذكراتي.

"ريم" تطرق بأذنيها جَيِّدًا وهي تنظر بغضب وفضول وتوعد وعيونها مستفهمة عما قد فاتها، فتنظر بنفاد صبر وتود لو تدخل من الباب!

"مريم" تتجاهل ما تقوله "سحر" لتبرر موقفها وتهديدها، وبغصة ويقين وتشفي:

مريم: إن أبي يعيش الحياة التي يستحق!

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"سحر" بلوم واستنكار : ما يستحق!

مريم: نعم

"سحر" لا تَرُد، وتحاول التظاهر أنها لم تفهم ما تقوله "مريم" وتعنيه وتسود لحظة صمت.

"ريم" تنظر بخيبة وندم وارتباك وتظل في مكانها تحمل أكياسَ المشتريات، تخشى التحرك أو أن تحدث جلبة وصوت يكشف وجودها في المكان فتنحني بحذر في حرص مبتعدة إلى أول الردهة وهي تسيرُ على أطرافِ أصابعها، تتحرك وهي مستشعرة أن أكتافها تحمل ثقلًا بما اكتشفت وسمعت، وتَمْضِي بما تحمل إلى آخر الردهة.

"سحر" وهي تتحرك في مكانها وقد استعادت بعضًا من اعتبارها وقوتها ويملأ عينيها الحيرة والحرج:

"سحر": لا أجِد ما أقوُله لكِ

"مريم": دفتر مذكراتك لديكِ.

"سحر" تؤمئ برأسها، ولكنكِ قرأتِه، قرأتِني كما قُلتِ.

لقد قرأتنِي يا "مريم"!

"مريم": اعتبري أنّي لم أقرأه.

ليتني ما قرأتها، وإن كنتُ ممتنةً لِمَ حدث، لقد عثرتُ وتحصلت منها على إجابة لبعض التساؤلات الكثيرة بداخلي، لقد أفاقتني بعنف.

"سحر": وهل نحن سنكون كما كنا قبل ...؟!

"مريم": طنط "سحر"، لا نية لدي أو لدى إخوتي أن نعاملك معاملةً سيئة، ولا نريد، ووجودك لا يضرنا في شيء، ستوجد هنا امرأة سواء أنتِ أو غيرك.

"سحر": لاتكرريها رجاءً، أنتِ تستخفين بي.

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.

"مريم": لا أقصد، ولكني أحاول أن أؤكد لك أن فكرة أن لدينا زوجة أب وتحدث الخلافات أو يتم افتعال المشاجرات بينا لم تكن ورادة في أذهاننا، أبي كان ليتزوج بَعدَ أن تركته أمي..

"سحر" بضيق: وكنتُ أنا!

"مريم": ونحن نعاملك ...

"سحر" تقاطعها قائلة: أُريدُ أن تظل المعاملة كما هي.

تنظر لها "مريم" بترقب بنظرات مستفهمة

"سحر": لقد قرأتِ مذكراتي!

"مريم": أُدرك وأعي ما تقصدين، ولن أقوُل إنه لم يحدث شيء، فأنا لستُ مريم التي كانت قبل قراءتِها يا زوجة أبي!

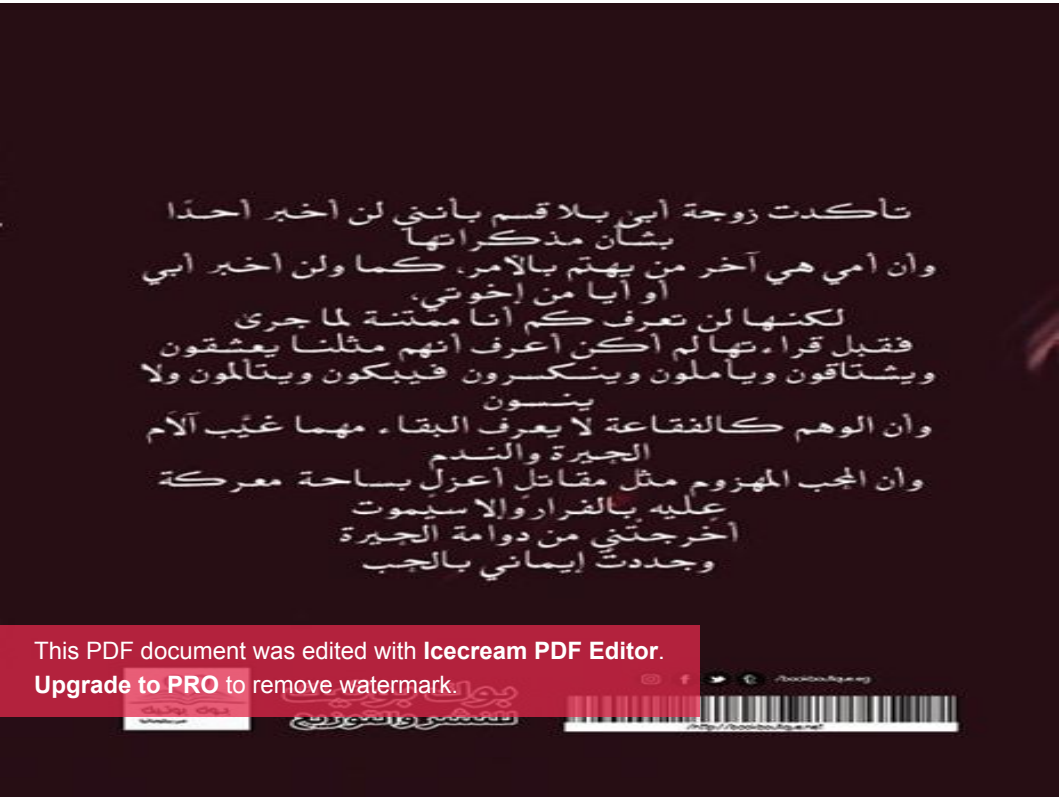

This PDF document was edited with Icecream PDF Editor.
Upgrade to PRO to remove watermark.